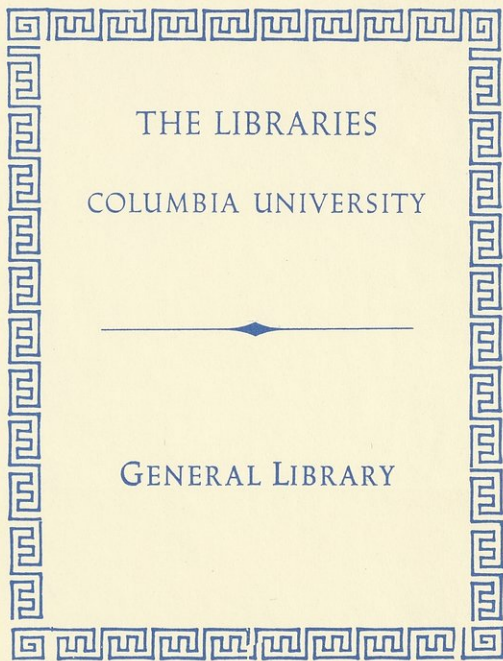


MS-960077



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY



GENERAL LIBRARY

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

75 - 960077.



حَقَائِقُ تَابِئِي فِي سِرِّهِ

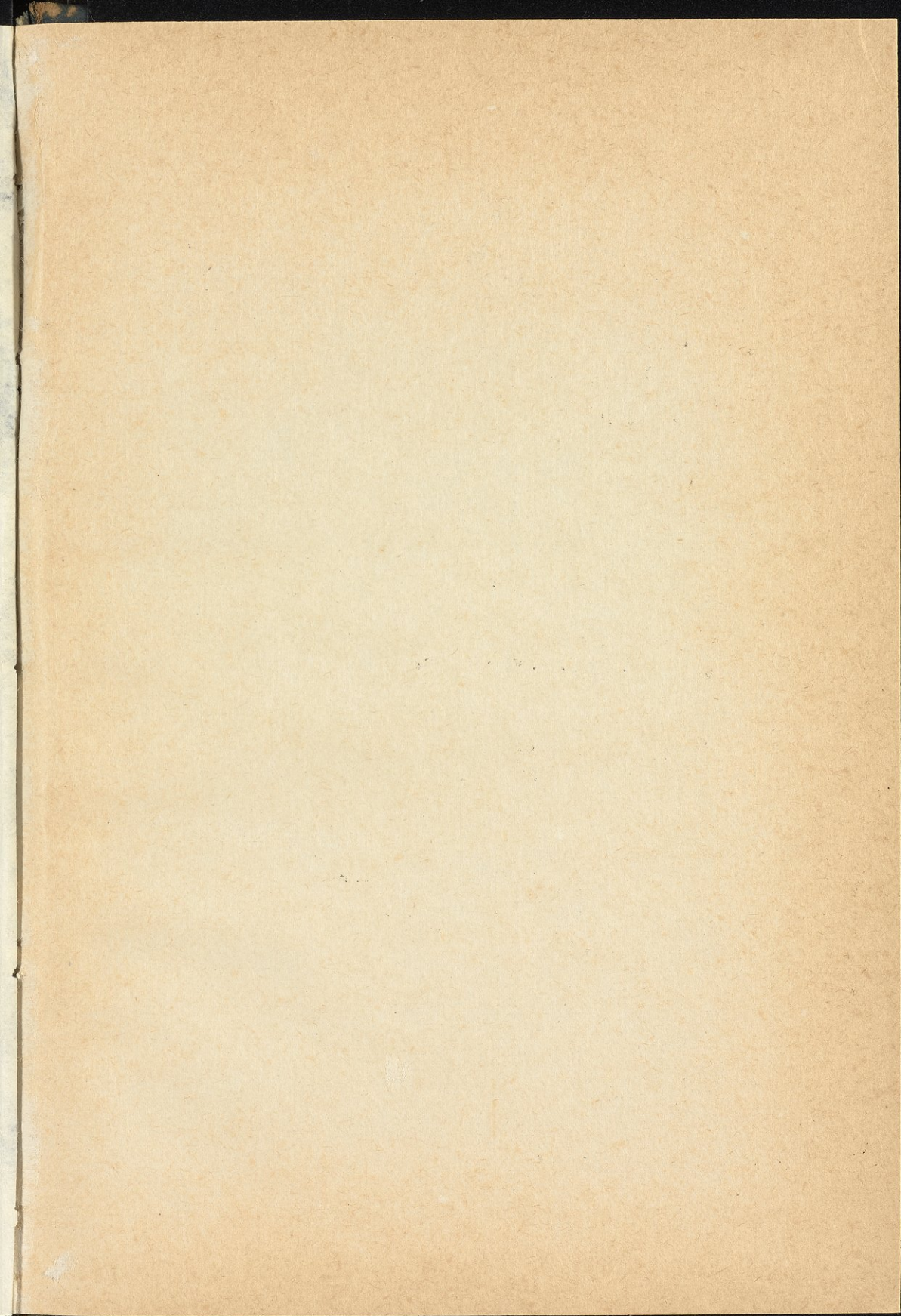
يُحَادِلُ الْمُنْحَرِفُونَ طَمَسَهَا. وَالتَّخْلَصَ مِنْهَا

لَا بِنِ الْخَطِيبِ

عَصَمَةُ الرَّسُولِ . تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ . زَوْجَاتِ الرَّسُولِ . خِدِجَةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ
الطَّلَاقِ . تَحْيِيدُ النَّسْلِ . التَّبْرُجُ وَالسَّفُورُ . التَّعْطِيلُ . أَيْنَ اللَّهُ ؟

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

أَخْطَاءُ الْمُفْسِّرِينَ ، وَسَقَطَاتُ الْمُحَدِّثِينَ . اللَّهُ مَعَنَا ، فَهَلْ نَحْنُ مَعَ اللَّهِ ؟



حَقَائِقُ تَابِئِينَ فِي السُّلَاةِ

يُجَاوِلُ الْمُنْحَرِفُونَ طَمَسَهَا. وَالتَّخْلَصَ مِنْهَا

لَا بِنِ الْخَطِيبِ

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

الطبعة الأولى

١٣٩٤ - ١٩٧٤

حقوق الطبع والنقل محفوظة

مطبعة الأفق - طهران

أحمد حسن ملاذني

BP

88

.I23

H36

فهرس

الصفحة	الموضوع	
(ط)	مقدمة الدكتور إلياس محمد العتيبي	...
(ل)	لماذا أُسميت هذا الكتاب « حقائق ثابتة في الإسلام »	...
٥	عصمة الرسول عليه الصلاة والسلام	...
٧	عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم في صباه ، وقبل بعثته !	...
٧	رأى أوبس القرني في الرسول عليه الصلاة والسلام	...
٨	لمراءة الله تعالى للمصطفى . منة المولى سبحانه على المؤمنين ببعثته	...
٩	ردّ بعض العلماء على ما جاء بكتابتنا « أوضح التفاسير » خاصا بالرسول	...
٩	الرسول : يصيب كما نصيب ، ويخطيء كما تخطيء (حاشاه أن يخطيء)	...
٩	نزول القرآن بترجيح رأى عمر
١٠	حجاب نساء الرسول عليه الصلاة والسلام	...
١١	نصح الرسول عليه السلام لسائر النساء بالصدقة	...
١١	تعقيبنا على هذا الردّ
١٢	الإسلام : كاد أن يعود غريباً كما بدأ	...
١٣	أم المؤمنين : زينب بنت جحش . مثلية الرسول للبشر : ليست مطلقة	...
١٤	يوسف عليه السلام وامرأة العزيز
١٥	سقطه الغزالي في قصة زينب بنت جحش	...
١٦	أحاديث مكذوبة : نسبت لى أفضل خلق الله ! الدليل القطعي على كذبها . تأبير النخل	...
١٧	« فلنولينك قبلة ترضاها »	...
١٩	ردّ الاستاذ على أبو طالب على تعقيبنا	...
١٩	ليس كل نظر ، ولا كل حب محرماً (بل كلاهما محرم) بنص القرآن	...
٢٠	المولى : يريد المعصية ، ولا يرضاها (وكيف يتم شيء لا يرضاه) سبحانه !	...
٢٢	« حب إلى من دنياكم : الطيب والنساء » (حديث مردود عقلا ونقلا وذوقا)	...
٢٣	التأويل الصحيح لنسيان الرسول في الصلاة	...
٢٣	لمساواة فهم قدر الرسول عليه الصلاة والسلام	...
٢٤	بعض ضحايا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبعض ما دسه عليه الزنادقة ، والملاحدون واليهود	...
٢٥	طلب الرسول عليه الصلاة والسلام من زيد خطبة زينب له (لأنك واضح فاضح)	...
٢٦	فساد قول من يقول « من قلد عالما : لى الله سالماً »	...
٢٧	تعدد الزوجات	...
٢٧	تأويل : آية التعدد بما لا يجوز . وضوح لإباحة التعدد
٢٨	« وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة »	...
٢٨	« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل »	...
٢٩	المرأة : تملك زمام أمرها في كل زواج : تعدد أو توحد	...
٢٩	الأسباب الموجبة لعدم التعدد

- ٢٩ سبب منع زواج طي رضى الله تعالى عنه : عدم جواز التزوج بمن تقل عن الزوجة حسباً ونسباً
- ٣٠ فساد التقين بعدم التعدد ، والمضار التي وقعت بسببه ؛ في شتى الأمم
- ٣١ المآسى التي وقعت في البلاد التي حرمت التعدد
- ٣١ رأى الشيخ محمد عبده في التعدد ، وخطأ هذا الرأي
- ٣٢ تشريع التعدد : يحول بين العلاقات الآتمة
- ٣٣ « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف »
- ٣٤ خطأ التطور العالمى المزعوم . الزنا ، الخمر ، السرقة
- ٣٥ رأى المحافل النسائية
- ٣٦ الرد على المرحوم وحيد الأيوبي فيما قاله في التعدد
- ٣٧ رأى المرحوم عبد العزيز باشا فهمى ، والرد عليه
- ٣٧ التعدد : من أدق النظم الاجتماعية وأرقاها
- ٣٨ الرسول عليه الصلاة والسلام : أباح التعدد مع الناقة
- ٣٩ أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام
- ٣٩ أزواج الرسول : كن مقربات ، مكتهات ، نيبات
- ٣٩ نزول آية التخيير : « لمن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها »
- أسباب تزوجه عليه الصلاة والسلام لكل واحدة من زوجاته . لم يكن من بينها شهوة ، ولا استمتاع
- ٤٠ علاقةه عليه الصلاة والسلام بزوجاته
- ٤٤ الكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يروونه من أحاديث
- ٤٥ أم المؤمنين خديجة
- ٤٧ جمال الروح والنفس ؛ لا جمال الصورة والحس !
- ٤٧ سبب عدم تزوجه على خديجة
- ٤٨ واجب كل زوجة مسلمة . متى يتمتع التعدد ، ومتى يجوز ؟
- ٤٩ مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ولم يشبع أهله من خبز الشعير
- ٥١ الطلاق
- ٥١ الفراق الجسماني : في المسيحية
- ٥١ تأديب المرأة - في الإسلام - قبل الطلاق
- ٥١ اتخاذ الخليلات ؛ مكان الخليلات
- ٥٢ الفضائح التي انتشرت بين من لا يدينون بالإسلام
- ٥٢ براءة الزاني ، وعقوبة المحبى عليه
- ٥٣ الطلاق في الإسلام : هو الواحة : التي يستظل بها ، وهو متنفس الزوجين
- ٥٤ « أبفض الحلال عند الله الطلاق »
- ٥٥ تحديد النسل
- ٥٥ « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق . . . ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق »
- ٥٦ تحديد النسل ، أو تنظيمه : واحد في الجرم والإثم ! إذ مما معاندة للخالق سبحانه
- ٥٧ إحصاء المواليد التوائم

٥٧	أضرار حبوب منع الحمل ، ورأى كبار أطباء العالم فيه
٥٩	المناداة بتعقيم الرجال : وهو أشبه بالحصاء
٦٠	التعقيم في الدول المتأخرة
٦٢	مآجاء في الأحاديث الشريفة عن التعديد
٦٢	مانسبه المعارضون لى الإمام الغزالى فى التعديد ، وخطوؤهم فىه
٦٣	التعديد : هو الشرك الحفى . تعقيب الغزالى على مقاله فى التعديد
٦٤	التعديد : مناقض للتوكل . نفاق من ألفوا كتباً بمجواز تعديد النسل
٦٤	« من ترك الزواج مخافة العيال : فليس منا » صدق رسول الله !
٦٥	الطمن فى التعديد ، ومن يقولون به « شعر »
٦٥	خطأ أجهزة الإعلام ؛ فى إذاعة التعديد ، وتحييده ؛ رغم ما قدمنا من أدلة بطلانه
٦٦	الفرق بين الحمل والهبة « يجعل ويهب »
٦٧	المولود : مستهلك أولاً ، ومنتج آخر
٦٨	قرارات المؤتمر الإسلامى المنعقد فى عام ١٩٦٥ فى هذه المسائل . وهو مقر لجميع ما قلناه
٦٩	شكر العلماء القادمين لهذا المؤتمر من شتى البلاد الإسلامية
٧١	التبرج والسفور
٧١	أصح المولى سبحانه وتعالى لسائر نساء المؤمنين بالحجاب . الأمر بفض البصر
٧٢	النظر : بريد الزنا ؛ وهو من الشيطان . مقاله الشعراء الماجنون فى النظر
٧٣	قصة الشافعى رضى الله تعالى عنه مع تلاميذه
٧٤	الذين يجوز لإبداء زينة المرأة لهم . اللباس الذى لا يجوز للمرأة لبسه
٧٥	الدعوة لى السفور . الرد على من يدعو للسفور « شعر »
٧٦	دعاة تحرير المرأة ، ونتيجة دعوتهم
٧٧	مآدته المرأة المسلمة - من صالح الأعمال - فى شتى العصور
٧٧	الإطار العام الذى يجب أن تبدو فىه المرأة المسلمة
٧٨	وصية امرأة فاضلة لابنتها ؛ حين زفت لزوجها
٧٨	حرية المرأة الغربية فى شتى المجالات
٧٩	انحلال الشابات والشبان ؛ فى هذا العصر
٨١	التعطيل « إنكار وجود الله »
٨٢	شاعر العراق « جميل صدق الزهاوى » ونأيده للتعطيل
٨٣	كفره فيما قاله
٨٤	حول إنكار البعث
٨٤	الرد على الزهاوى
٨٧	شكر الأمير شكيب أرسلان للمؤلف على رده على الزهاوى
٨٩	أين الله ؟
٨٩	المولى سبحانه : يجل عن الرؤية البصرية ، ولا يتمتع عن رؤية العقل والبصيرة

٩٠	...	بعض الأدلة على وجوده تعالى . فساد القول بالطبيعة
٩١	...	زيادة الموالي من الذكران - في المانيا - عند حاجتها اليهم بعد الحرب
٩١	...	اختلاف الطعوم ، والألوان ، والأجناس
٩٣	...	الإسراء والمعراج
٩٤	...	مقدمة البحث
٩٥	...	أحاديث المعراج ، والتشكك في صحتها
٩٦	...	قدر الرسول عليه الصلاة والسلام
٩٧	...	زيف أحاديث المعراج . وجوب تبجيل المولى سبحانه وتعالى
٩٨	...	العودة إلى حديث المعراج
٩٩	...	بطلان بعض هذه الأحاديث . وجوب إخضاع المفاهيم ؛ لمقاييس العقل
٩٩	...	القول بخلق الرسول عليه الصلاة والسلام قبل آدم ، وأدلة بطلانه
١٠٠	...	بطلان القول بكتابة اسم الرسول عليه الصلاة والسلام على ساق العرش
١٠٠	...	مغلاة المادحين للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبطلان هذه المغلاة
١٠١	...	وجوب تحرى الأحاديث . بطلان حديث إرضاع الكبير
١٠٢	...	مقاله الدكتور هيكل في كتابه « حياة محمد » والرد عليه
١٠٣	...	ذيع هذه الأحاديث . حديث الفرائق ، والرد عليه
١٠٤	...	البخارى ومسلم - الدس في الأحاديث وغيرها
١٠٥	...	كتمان الحق : لم . من حق كل مسلم أن يجهر برأيه
١٠٥	...	نتيجة أحاديث المعراج
١٠٦	...	موسى عليه السلام في السموات
١٠٦	...	محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وكيف انتاد إلى موسى في مراجعة ربه تعالى
١٠٦	...	جبريل عليه السلام . المولى جل وعلا ؛ وكيف يراجعه لإنسان ؟
١٠٧	...	لذاعة حديث المعراج بالتليفزيون . الأستاذ محمد شعراوي : مذياع الحديث
١٠٧	...	الابن العزير : الدكتور محمد عمر زبير ، وانصياعه لما قاله الشيخ الشعراوي
١٠٨	...	نقض حديث المعراج
١٠٨	...	المولى سبحانه وتعالى : وعد بحفظ كتابه المجيد ، ولم يعد بحفظ كتاب آخر ؛ ولو كان هذا
١٠٨	...	الكتاب : البخارى ، أو مسلم !
١٠٨	...	الخطأ جازر على كل مخلوق ؛ عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
١٠٨	...	قواعد مناقشة حديث المعراج ، وماورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعن صحابته
١٠٩	...	رضوان الله تعالى عليهم ؛ في رؤية الرسول لربه
١٠٩	...	مكالمة المولى سبحانه وتعالى لعبيده : « وحيأ ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا »
١١١	...	شق صدر الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ ومبلغ صحته
١١٢	...	هل تحمل الحكمة والإيمان في الطسوت ؟ فساد القول بربط البراق
١١٣	...	البراق : ليس بداية ؛ بل هو ملك
١١٣	...	صلاة الرسول عليه الصلاة والسلام في بيت المقدس
١١٣	...	أحاديث القصص

- ١١٤ طارق جبريل عليه السلام لأبواب السموات . علم الملائكة : أوسع من علم البشر
- ١١٤ بكاء موسى ؛ عند لقاء محمد عليهما الصلاة والسلام (حقداً عليه وحسداً له)
- ١١٦ سن الرسول عليه الصلاة والسلام عند الإبراء
- ١١٦ تقدم محمد ، وتراجع جبريل عليهما الصلاة والسلام
- ١١٧ فرض الصلوات . دليل عدم استطاعة القيام بها
- ١١٨ يجب أن تكون الصلاة : أحب العبادات للمؤمن
- ١١٩ ملل مدعى الإيمان من الصلاة ، وضيقة بأدائها
- ١١٩ صراحة الرسول لربه - في شأن الصلاة - تسع صمات
- ١٢٠ ارتفاع صوت موسى على مولاه تعالى !
- ١٢١ « ثم دنا فتدلى » عن به جبريل ؛ لارب العزة (تعالى عن الدنو والتدلى)
- ١٢١ الأستاذ الشعراوي : يؤيد التأويل المرجوح (بل الفاسد)
- ١٢٢ إبراهيم عليه السلام والملائكة
- ١٢٣ محمد عليه الصلاة والسلام والملائكة
- ١٢٣ تأويل الأستاذ الشعراوي لقوله تعالى « لقد رأى من آيات ربه الكبرى »
- ١٢٤ مشابهة الآية لما خاطب به موسى عليه السلام « انزبك من آياتنا الكبرى »
- ١٢٤ رد أفضل المتقدمين لهذه الأحاديث ، ومنهم الإمام ابن كثير
- ١٢٦ الإفراط والتفريط
- ١٢٦ اليهودية ، النصرانية ، الإسلامية
- ١٢٦ الطريق الوحيد إلى نقض ما اتجهنا إليه
- ١٢٨ كلمة أخيرة
- ١٣١ أخطاء المفسرين ، وسقطات المحدثين
- ١٣٢ النظريات القطعية في القرآن . أعداء الإسلام
- ١٣٣ تزييف اليهود ، وإصاقهم بالإسلام : ما ليس منه
- ١٣٤ قصة زينب بنت جحش
- ١٣٥ قصة داود عليه السلام . قصة سليمان عليه السلام
- ١٣٥ موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ؛ والمعراج
- ١٣٦ زيادة ما ليس في القرآن . سحر الرسول عليه الصلاة والسلام
- ١٣٦ يوسف عليه السلام
- ١٣٦ نسبة الفحش إلى أزكى خلق الله تعالى وأطهرهم
- ١٣٨ التفاسير الحديثة ؛ وما فيها
- ١٤٠ الذين ينتسبون إلى الإسلام وهو منهم براء
- ١٤٠ من يجرّم تعدد الزوجات (وقد أحلها الله تعالى)
- ١٤١ الدكتور مصطفى محمود ، وما يذيعه من لافك
- ١٤١ لإنكاره لجنة والنار ؛ كما أراده الله تعالى بهما
- ١٤١ تشفيبه على الحدود الواردة في القرآن الكريم ، وتهكمه بها وعليها !
- ١٤٢ مساعدة أجهزة الإعلام له ؛ فيما يذيعه من باطل وإفك !

١٤٣	واجب علماء المسلمين
١٤٥	الله معنا ! فهل نحن مع الله ؟
١٤٧	« إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » تقوى المولى سبحانه وتعالى
١٤٧	البعد عن الله : يبعث الهزيمة ، والتقرب إليه : يبعث النصر !
١٤٧	صلاح الناس : بصلاح علمائهم وأمرائهم
١٤٧	يوم ١٠ رمضان عام ١٣٩٣ يوم نصر المؤمنين على اليهود الملاحين !
١٤٨	استمرأ اليهود لملاء الله تعالى لهم « وطنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله »
١٤٨	رؤية بعض أفضل المؤمنين للرسول عليه الصلاة والسلام في المعركة ! الإيمان بالغيب
١٤٨	الدكتور فؤاد زكريا : الأستاذ بجامعة عين شمس : ينكر ما لا يجوز إنكاره عقلاً ودينياً
١٤٨	التفكير اللاعقل : معترف به عند سائر العقلاء
١٤٨	التوكل على الله تعالى ، والاستعانة به : مدعاة للنصر على الأعداء
١٤٩	« فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً »
١٤٩	« سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب » حرب البترول
١٥٠	رؤية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام : جائزة ، وواقعة ؛ ولا ينكرها : إلا جاهل !
١٥٠	كيف ينصر الرسول عليه الصلاة والسلام غيره بعد موته ؟ وقد كان لا يستطيع نصر نفسه حال حياته ؟ !
١٥٠	الرسول عليه الصلاة والسلام : حى بينما . ولا يستطيع مسلم إنكار قدرته على إنجائنا من النار ؛ فكيف لا يستطيع إنجاءنا من الهزيمة ؟ ! ومن يستطيع إنجاء غيره من النار : يستطيع إنجاءم من الهزيمة ...
١٥١	يعد المولى سبحانه من يشاء من عباده بقوى : خفية ، وظاهرة...
١٥٢	من حديث رئيس أركان حرب القوات المسلحة
١٥٢	من لطف المولى بعباده : أت ينصروهم ، ويلقى الرعب في قلوب أعدائهم
١٥٢	سبب انتصار اليهود عام ١٩٦٧
١٥٢	الله أكبر
١٥٣	بالتكبير : يحصل النصر على الأعداء دائماً
١٥٣	عودة الدكتور فؤاد زكريا لما قال ، ولإصراره عليه ، وزاد على ذلك : الدعوة إلى التنكر لما ضينا
١٥٤	الأستاذ الكبير عبد المنعم النمر : مدير البعث الإسلامية : يرد على إلحاد الملحدين ، ويضع
١٥٤	العقائد الإسلامية في موضعها الصحيح
١٥٥	أكبر الفضائل : التقوى ، والتوكل
١٥٦	زجر المؤلف للمادح
١٥٦	المدح : يجب أن يكون لله ، لا لشخص المدوح
١٥٦	الدكتور إلياس محمد العتيبي : واضع مقدمة الكتاب
١٥٧	زجر المؤلف للقادح
١٥٧	الذم : يجب ألا يكون لهوى في النفس ، وشهرة مبتغاة
١٥٧	تلخيص أبواب الكتاب ، ووجهة نظر المؤلف

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لمن لا يحمد غيره ، ولا يعبد سواه : والصلاة والسلام على من آتاه الله تعالى من الخير أَجَلَهُ ، ومن الفضل أَكْمَلَهُ ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه المتقين ؛ وعلى من تبعهم إلى يوم الدين !

أما بعد : فقد تملذت ربحاً من الزمن — ما أحلاه — على إمام السلام ، وفخر الإسلام ، وسيد من امتشق القلم : الإمام ، العالم ، العامل ؛ العارف بالله : سيدي وسندي الأستاذ الكبير محمد محمد عبد اللطيف ابن الخطيب : الذي ذاع علمه وفضله ؛ وملاً بقاع الأرض تقي ، ومعرفة ، وبركة !

وهو — حفظه الله — رغم علمه الغزير ، وفضله الكثير : يترفع أن يذكره إنسان بفضل ، أو يثني على علمه بما هو له أهل : تواضعاً منه ، وزهداً في مباحج هذه الحياة الدنيا !

فكم رأيتَه يتدل من عليائه : فيستمع إلى من هم دونه علماء ؛ بل دون تلاميذه قائلاً : عسى أن أهتدي على يد أحدهم بما لم أهتد إليه .

وبمثل هذا التواضع الجرم ، وهذا الخلق النادر : سار أستاذنا الجليل في حياته العلمية : مدافعاً عن الدين ، محافظاً على حبل الله المتين !

وبينما نراه دائماً كلماء الزلال : هدوءاً وصفاء : إذا به ينقلب فجأة كالأسد المصور : إذا ما اعتدى على حرمة الله تعالى ، أو أخل أحد — بمن يعرف أو لا يعرف — بسنة رسول الله !

فهو دائماً يرضى في الله ؛ ويغضب في الله !
وكم مرة رأيتَه ، والدمع ملء عينيه حينما يذكر الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وكم رأيتُه ونشيجُه يقطع نياط القلوب : إذا مرَّ في قراءته بذكر واقعة أودى فيها
الرسول حال حياته ، أو أصيب بسوء نزل به !

ولم أره إلا تالياً لسكتاب الله ، دائم المداصلة فيه !
وكتابه « أوضح التفاسير » ، وقد صدر منه سبع طبعات حتى الآن : لم يؤلفه
إلا بعد أن استوعب أمهات كتب التفسير : مطبوعها ومخطوطها .
وهو — رغم ما ظهر من مؤلفاته — له مؤلفات ضخام : لم تسعد بمشارك
أنوارها بعد .

فقد أراني تفسيراً للقرآن الكريم : صاغه ببيانته ، وكتبه بقلمه : يبلغ حوالى عشرين
جزءاً . وقد يزيد عن تفسير القرطبي ، ويقارب تفسير الطبري .

ومن عاداته — حفظه الله تعالى وأطال بقاءه — ألا يقلد أحداً فيما يكتب ، أو ينقل
مما كتبه الأوائل ؛ بل يقرأ ، ويقرأ ؛ وبعد ذلك يكتب بطريقة : هي بالإلهام الذى
ينزل على القلب أشبه منها بالعلم الذى ينطق به اللسان !

وقد صار حفى مراراً أنه إنما يكتب ما يكتب بدافع إلهي . يبتغى به مرضاة الله
سبحانه ، وكيد الشيطان اللعين !

وقد يقضى الليالى الطوال : ساهراً مؤرقاً : لأن واحداً من الناس طعن فى الدين ،
أو عاب فى القرآن ، أو افترى على الرسول عليه الصلاة والسلام !

هذا وقد رأيتُه — عند قدومى إلى مصر — يكتب هذه المباحث ، ويهذب فيها
ثائراً على بعض الكتّاب : الذين يراءون فيما يكتبون ، ويظنون غير ما يبطنون !
ويريدون الشهرة بما يبشونه من سموم بين سواد الأمة .

وهو كثيراً ما يكتب بقصد النفع ؛ لا بقصد الطبع ! وقد أعجبت بما كتبه من
دامغ الحجة وبلغ الاستدلال ، وواضح البرهان . فى هذه المباحث التى تعتبر متممة
لسكتابه « أوضح التفاسير » ، التى سماها — محقاً — « حقائق ثابتة فى الإسلام » .

فاستأذنته فى طبعها : لينتفع بها : فأذن بذلك مشكوراً .

ونحن إذ نطبعها الآن : فى هذا العصر المليء بالسفر والإلحاد : فإنما نريد بذلك
قطع الألسن المفترية الباغية ، والوقوف بالمرصاد لسكل من تحدته نفسه بالخروج عن جادة
الحق ، أو التعرض لهذا الدين القيم بالفساد والإفساد !

هذا وليس معنى طبعنا لهذه المباحث : أننا ندين بكل ما جاء فيها .
فقد علمنا أستاذنا الجليل : عدم التسليم لما لا ترتاح إليه ضمائرنا ، وأن ننقد ما نراه
قابلاً للنقد .

لذا فإنني - نزولاً على ما علمني - أقول بحق : إن جميع ما كتبه : يبلغ غاية
الإبداع ؛ فقد غاص في طلب آلاء القرآن والإيمان : حتى استخرجها من أصدافها :
بيضاء ناصعة ؛ شديدة النور واللمعان ، فأبان حسنهما ، وجلا بريقهما !
غير أني لا أوافق سيادته في بعض ما كتبه في المعراج ؛ رغم أن ما كتبه
رائع ونفيس !

إذ أنه لا حرج مطلقاً أن يربط المختار أو جبريل عليهما الصلاة والسلام البراق
في حلقة المسجد ، أو في الصخرة .

أو أن يطرق جبريل أبواب السموات ؛ مع علم أهلها به .

أو أن تفرض الصلوات خمسون ، وتنزل إلى خمس في العد ، وخمسين في الأجر .

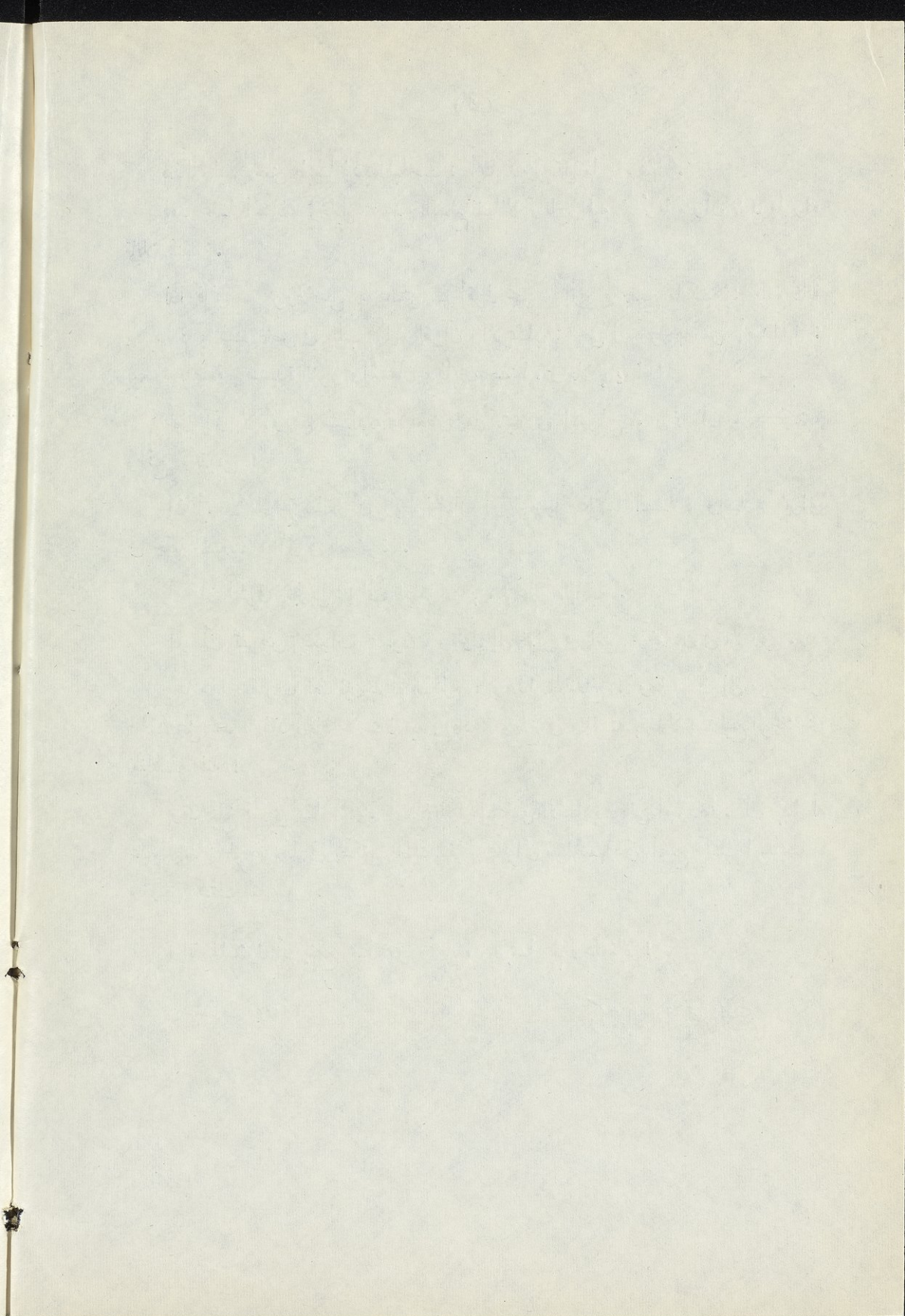
أما مراجعة رب العالمين بهذه السكثرة ، وهذا الإلحاح ، وما نسب إلى موسى من
الحقد على محمد : فقد أجاد الأستاذ فيه وأفاد ؛ وبلغ في مناقشته ؛ ما لا يستطيع الزمخشرى
منافسته فيه !

وقد بلغ تعجبي مما أثاره أستاذنا الجليل من الأحاديث التي أوردتها : أن بدا له
عدم تصديق لوجودها في الكتب المعتمدة ؛ فأراني مواضعها في أصح كتب الحديث ،
وأوثق كتب التفاسير .

والله المسئول أن ينفع بما عمل وعلمناه ، وبما علم وعلمناه !

دكتور الياس محمد العتيبي

٤ شباط ١٩٧٤



لماذا أسميت هذا الكتاب :

حقائق ثابتة في الاسلام

يحاول المنحرفون طمسها . والتخلص منها

عصمة الرسول عليه الصلاة والسلام :

هل يوجد مسلم يتوهم أن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه : غير معصوم — قبل النبوة وبعدها ؟

إذا افترضنا وجود هذا الإنسان ؛ أليس من حقنا أن نقول : إنه منحرف !
فإذا لم توافقني على انحرافه : فاقرا ما كتبته لك !

تعدد الزوجات :

لا يوجد مسلم يسمع قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فان خفتن ألا تعدلوا فواحدة . » .

ويرى سنة الرسول الكريم ، وسنة صحابته ، وتابعيهم من بعدهم ، وتابعي تابعيهم إلى يومنا هذا : وينسب إلى القرآن الكريم التناقض بقوله « وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، ويعتبر أن هذا إلغاء صريح للتعدد . ويغفل أنه تنظيم للتعدد ؛ لا إلغاء له .
ألا يجوز لي أن أقول بحق : إنه منحرف ، وإنه يريد أن يهدم « حقيقة ثابتة في الإسلام ، ؟

أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام :

لم يتزوج الرسول واحدة منهن : ابتغاء جاه ، أو شهوة : فكلهن نبيات مكتهلات — عدا عائشة — فإذا قال قائل : إنه شهواني ؛ مستدلا بكثرة زوجاته : حق لنا أن نقول : إنه منحرف ؛ بل كافر ! وألقمناه حجرا بما سقناه من أدلة ، وما أوردناه من براهين !

أم المؤمنين خديجة :

رضى الله تعالى عن أم المؤمنين خديجة ، فقد ضربت الامثال تلو الامثال : للزوجات الصالحات الطيبات ، مما جعل الرسول الكريم لا يتزوج عليها إلا بعد موتها ، وافتقاره إلى ذلك الحنان الضخم ، والحب الذي لا يعدله حب ! وقد صار ذلك شريعة لمنع التعدد : إذا توفر مثلها لزوج ؛ وأين مثلها ، أو من يضاهيها بين الأزواج ؟
فهل يحسر إنسان مسلم أن يخالفني فيما قلت ؟

الطلاق :

وهو حق مطلق من أى قيد - ولو أنه أبغض الحلال عند الله - ولكنه سمي حلالاً ، وعقدته بيد الزوج وحده « أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » .
فإذا ما قال قائل : يجب أن يكون بيد القاضى : وجب علينا أن نسميه منحرفاً ؛ يريد طمس شريعة المولى سبحانه ومحوها !

تحديد النسل :

حسبوه أنه تخلصاً من الفقر ؛ فكانت الدعوة لإليه : هى الفقر بعينه !
لقد خلق الله تعالى الأرض ، وجعلها صالحة لإطعام من يخلفه عليها ؛ فلما عجز الناس عن إصلاحها وإفلاحها : لجأوا إلى الدعوة إلى التحديد ؛ فأضافوا بذلك عجزاً إلى عجزهم ، وتقصيراً إلى تقصيرهم !
والدعوة لإليه منكراً ، يرفضها كل من ملأ الله تعالى قلبه بالإيمان ، ووثق بوعد المولى سبحانه ؛ برزق من خلق وبرأ .

ولا شك أن الدعوة لإليه : انحراف عن الجادة ، وطمس آيات الرحمن ، فى الاكوان !

التبرج والسفور :

من ذا الذى يرضى بما نراه الآن ، ويطمئن على أهله وبناته ؛ وقد صرن نهياً لانظار الأشرار والفجار !

أليس من يخالفني فى هذا : خارجاً على تعاليم الدين والقرآن ، باعثاً ما يبشئ الشيطان فى قلوب بنى الإنسان ؟ !

التعطيل :

من ذا الذي يقول بعدم وجود إله ؟ بعد أن أثبت وجوده بنفسه ، وأقام الأدلة والبراهين ، على رحمته وبأسه ، ورأينا بطشه في عذوه ، وعفوه في بطشه !

وإن الذي يقول بغير الذي قلناه : كافر بنص كلام الله ؛ غير جدير بأن ينتسب إلى نبي الإنسان ؛ وليس من بينهم من ينكر الديان : حتى الكفرة الفجرة : آمنوا بوجوده وسيادته ؛ ولو أنهم انحرفوا عن طاعته وعبادته !

أين الله ؟

ها هو الله : سبحانه تقدس اسمه ، وتعالى عن الأفكار رسمه !

فإن شئت : رأيت في أخذه ، وإن شئت علمته في عذوه ! ومن يقل — بعد ذلك —

أين الله ؟ فهو منحرف أتم انحراف : كافر أخش الكفر !

الإسراء والمعراج :

مرحباً بالرسول الكريم ، والنبي العظيم : في بيت المقدس : إماماً لسائر الأئمة !

ومرحباً به في السموات العلى ؛ ليرى من آيات ربه الكبرى !

كل ذلك نسلم به ، ونؤمن بحقيقته ؛ كأنما نراه صلى الله تعالى عليه وسلم في مروره

بالمسجد الأقصى ، وفي عروجه إلى الملا الأعلى !

نؤمن بذلك بقلوبنا قبل عقولنا ! ولسنا ننكر كل ما ينكره العقل والدين ، ونحكم

ببطلان الإفك والزور ، الذي بذره أعداء الدين في الدين ، وسقاه ورعاه السذج والبسطاء

من المسلمين ، وبث فيه ما ليس فيه إلا فاكون والمبشرون !

فهل لمسلم : يحترم عقله ، ويحل ربه ، أن يقول لي أخطأت !

فاذا قالها مؤيداً من عقله : فهو مجتهد مخطيء ! وإذا قالها معانداً مكابراً : كان

منحرفاً ضمن المنحرفين !

مباحث

عصمة الرسول . تعدد الزوجات . زوجات الرسول
أم المؤمنين خديجة . الطلاق . تحريم النسل
التبرج والسفور . التقطيل . أين الله؟
الإسراء والمعراج

تتمليك

بإذن من
الملك
الملك
الملك
الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستهدى ونستعين

حمد الله ، وصلاة وسلاما على مصطفىاه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه !
أما بعد : فقد رأينا أن نلحق بهذا التفسير أبحاثاً : ضاق المقام عن سردها
في أماكنها ؛ وهي من الأهمية بحيث لا يستغنى عنها قارىء أو باحث .
وقد رأينا أن نبدأها بعصمة الرسول عليه الصلاة والسلام : لما يقع فيه بعض المسلمين
من خطأ بالغ ، ولما شذيع : في قدر أفضل خلق الله !
وهذه هي الأبحاث كما رتبناها :

- ١ — عصمة الرسول عليه الصلاة والسلام : قبل البعثة وبعدها .
 - ٢ — تعدد الزوجات ، وماثار حوله من جدل بين المسلمين أنفسهم ، وبين المسلمين
وأعدائهم .
 - ٣ — أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام . وأسباب زواجه من كل واحدة منهن .
 - ٤ — أم المؤمنين « خديجة » رضی الله تعالى عنها ، ومكانتها بين نساء العالمين .
 - ٥ — الطلاق . وهل يجوز أن يسلب حق التطليق من الرجال ؟
 - ٦ — تحديد النسل . ونظرة الإسلام له !
 - ٧ — التبرج والسفور . وآثاره في انحطاط أخلاق الأمم وفسادها !
 - ٨ — التعطيل والدعوة إلى إنكار الربوبية .
 - ٩ — أين الله ؟ وهو سؤال استنكاري : شاع أخيراً بين شباب المسلمين وغيرهم .
 - ١٠ — الإسراء والمعراج ، وما اكتنفهما من أقوال وأحاديث ، لا يصح أن
يؤخذ بها ، أو يعول عليها .
- والله أسأل : أن يوفقنا في كل ما ذهبنا إليه من كفاح : نراه جهاداً
في سبيله ، وسبيلاً إلى مرضاته !

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

Handwritten text below the title, possibly a date or location.

First main paragraph of handwritten text.

Second main paragraph of handwritten text.

Third main paragraph of handwritten text.

Fourth main paragraph of handwritten text.

Fifth main paragraph of handwritten text.

Sixth main paragraph of handwritten text.

Handwritten text at the bottom of the page, possibly a signature or footer.

عِصْمَةُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

قَبْلَ الْبِعْتَةِ وَبَعْدَهَا

مُنْذُ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَقَّ حَقُّوقِهِ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين : الذى جاءنا بالكتاب المبين ؛ وأفاض علينا من عظيم أخلاقه وكريم خلاله : ما يجعلنا — لو اتبعناه وسرنا على هداه — فى أعلى عليين !

وأنى لنا أن نتخلق بها : وقد اختصه المولى لها واجتباها ؛ ليكون نموذجا للكمال البشرى ؛ الذى لم تبلغ شأوه ملائكة الرحمن ! ونبراساً يستضىء به كل من استنار قلبه بالإيمان !

ولن يستنير قلب : إلا إذا آمن إيماناً يقينياً بمصمته عليه الصلاة والسلام من شبهة الخطايا والآثام !

وكيف لا يكون مبرأ من الخطيئة : وقد أرسله مولاة لينجيننا من الخطيئة !

اللهم إلا إذا زعم زاعم أن المولى سبحانه ليس فى استطاعته أن يبرئه من الخطيئة !

تعالى المولى عن العجز عما أراد ويريد !

خلقه تعالى : ليكون شفيحاً لسائر الناس ؛ وكيف يشفع للناس من هو كسائر الناس ؟

بل كيف يشفع فيهم ؛ وفيهم من يفوقه خلقاً ؟ !

تعالى المولى سبحانه أن يرسل رسولا : دون المرسل إليهم ، أو مماثلا لهم !

وكيف يقع الرسول الكريم فى الإثم : وهو الناهى عنه ، المتوعد عليه ، المبغض لمن يأتيه !

صلى الله تعالى عليه وسلم : صلاة دائمة بدوامه ، قائمة بقيامه ؛ ولقانا به فى الجنة ؛

وهو عنا راض ان شاء الله !

وجنبتنا بفضله ومنه : الوقوع فى شرك البدع ، والسقوط فى مهاوى الضلالة والجهالة !

وباعد بفضله بيننا وبين ما يفضبه ، وحال بكرمه بيننا وبين عذابه ! لأنه تعالى أهل التقوى

وأهل المغفرة !

وسبحانك ربنا : لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم !

ولأنه لمن المعلوم — عقلا ونقلا — أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ،

قد عصمه مولاة من الوقوع فى مثل ما يقع فيه سائر البشر .

وأنه تعالى قد أعده ليكون نبراساً : تسير أمته على هداة ، وتقتنى آثاره في كل ما يأخذ وما يدع .

وأنه لا يبدر منه ما هو خلاف الأولى ؛ فضلا عن إتيان ما نهى الله تعالى عنه ، وترك ما أمر به !

وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرعى ربه في كل أموره : ليس في العبادة وحدها ؛ بل فيما يتعلق بشئون دنياه أيضا !

وأن الله تعالى قد حماه — في صباه — من الوقوع فيما يقع فيه أنداده من الصبيان : من عبث ساذج ، وهو برىء !

حتى السمر : الذي كان يسمره الناس في عصره : حماه مولاه تعالى منه !

فقد ورد أنه في ليلة ما : أراد أن يسمر كما يسمر الفتيان ؛ فألقى مولاه عليه النوم ، فلم توقظه من نومه سوى الشمس !

وهذه إرادة المولى سبحانه : ليعلى شأنه ، وليعلم المبعوث إليهم : أن رسوله هذا — ولو أنه كالمُرسل إليهم خلقة — غير أنه ليس كأحدهم خلقاً !

لهذا كان محمد عليه الصلاة والسلام بشراً واضح البشرية : يأكل كما يأكل البشر ، ويمشي في الأسواق كواحد من البشر في خلقه ؛ في حين لا يدانيه — في خلقه — واحد منهم ؛ ولا النبيون ، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم !

وحين قال المولى سبحانه « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » أراد بذلك : التأسى به فيما ناله من أذى قومه وعنهم ؛ ولم يرد أن يكونوا مثله ؛ إذ أن المثلية لا تتحقق إطلاقاً ؛ وأنى لهم ذلك ؟ وقد كتب عليهم الخطأ ، والخطيئة ، والإثم ؛ في حين أنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه مبرأ من جميعها !

فهو عليه الصلاة والسلام : خيرة الله تعالى من خلقه جميعاً : يوم ذرأهم وبرأهم !

وهو خير خلق الله تعالى قدراً ونسباً على الإطلاق !

فإذا ما قال قائل : كيف ذلك والمولى سبحانه يقول « قل إنما أنا بشر مثلكم » .

نقول له : إنما أراد المولى بهذا القول : إثبات بشريته ، ونفى ملائكيته !

وقد ورد أن أويسا القرني رضى الله تعالى عنه ؛ وهو من سادات التابعين قال

لأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رأيتم من مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا ظله .

قالوا : ولا ابن أبي قحافة ؟ (يعنون أبابكر) قال : ولا ابن أبي قحافة .
ولما ذكر هذا الكلام عند العارف الأكبر : أبي الحسن الشاذلي رضى الله تعالى عنه ،
قال : صدق والله أويس رضى الله تعالى عنه .

والى هذا أشار البغدادي بقوله ؛ مخاطباً أويسا :

صدقت : لقد حاز الحبيب مناقباً تقاصر عن إحصائها كل مستعصى !
صحابته : لم تحص ما خصه به إله البرايا ؛ ليت شعري من يحصى ! ؟
وحينما يقول له مولاه « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله »
يظهر لنا جلياً أن تلك هى العصمة بأجلى معانيها !

وذلك لأن إرادة الله : هى حقيقة علمه . تعالى الله أن يخطئ !

وكان عمر رضى الله تعالى عنه يقول : أيها الناس اتهموا الرأى ؛ فإن الرأى لم يكن
مصيباً إلا من محمد وحده : لأن الله تعالى كان يريه ؛ وذلك قوله « إنا أنزلنا إليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » .

وحينما نظر المولى سبحانه إلى ناسوته : (١) قال له « ليس لك من الأمر شيء » .

وحينما نظر إلى لاهوته : (٢) وهو حقيقته التى أوجده عليها .

قال « والله ورسوله أحق أن يرضوه »

وحسبه — صلوات الله تعالى وسلامه عليه — سموأ عن البشرية ؛ أنه الحق الذى
عميت عنه أبصار المشركين وبصائرهم « وتراهم يتظنون لإليك وهم لا يبصرون » فعاقبهم
المولى سبحانه على عنادهم : بعدم التمتع برؤية نوره واستجلاء محاسنه !

ولا تنس أيها المنصف الحكيم قول الرحمن المنان « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث
فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »

فهو عليه الصلاة والسلام : منة الله تعالى على عباده ، ونوره السارى بين خليقته ،
والواسطة فى رحمته ، والشفيع لمن رضى عنهم من عباده !

أذاقيم عز الطاعة ، بعد ذل المعصية . ثم تاب عليهم ، وعفا عنهم ، وشفع الحبيب فيهم !

فهل هذا بشر مثلنا يا أولى الألباب ؟ !

١ — الناسوت : طبيعة الانسان البشرية . وقيل : إن الناسوت : البشر . واللاهوت : الله
٢ — اللاهوت : ما فى الانسان من صفات إلهية : مستمدة من الإله سبحانه ؛ قال صلى الله تعالى عليه
وسلم « تخلقوا بأخلاق الله » .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : « كان خلقه عليه الصلاة والسلام القرآن » .

ردّ أحد العلماء على بعض ما جاء بكتابنا

هذا وقد تفضل الصديق الصدوق : الأستاذ الكبير الشيخ على أبو طالب : أستاذ الدراسات الاسلامية بالأزهر : بالتعقيب على بعض ما جاء « بأوضح التفاسير » متعلقاً بعصمة الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ مثبتاً أن الرسول الكريم كان بشراً مثلنا : يخطيء كما نخطيء ، ويصيب كما نصيب ؛ عدا ما يتعلق بالرسالة .

وقد رأينا أن نعقب على هذا بما يرتاح إليه ضمير المؤمن الصادق الإيمان !

قال الأستاذ : عافاه الله من الإثم ، وحماه من كيد اللعين !

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

فإن أصدق الحديث : كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ! اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ؛ وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً ؛^(١) فاجعل لنا الحزن سهلاً .

اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم ، وأكرمنا بنور الفهم ، وجنبنا الخطأ والزلل فيما نقول ونعمل ، وافتح علينا بحكمتك ، وانشر علينا خزائن رحمتك ، يا أرحم الراحمين !

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم !

أخى صاحب السيادة الأستاذ الجليل محمد عبد اللطيف ابن الخطيب

يقول الله عز وجل في غير آية « قل إنما أنا بشر مثلكم » كما قال « هل هذا إلا بشر مثلكم » ومقتضى المثلية أن يكون نبينا صلى الله عليه وسلم كسائر البشر ؛ فيما عدا ما يوحيه الله إليه : فيصيب كما نصيب ، ويخطيء كما نخطيء ؛ وإليك الدليل :

قال الله عز وجل في سورة الأنفال « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . . . الخ » .

عند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لو نزل عذاب من السماء ما نجا غير عمر » فكان الرسول عليه الصلاة والسلام في الجانب المقابل لعمر .

ولقد هم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصلى على أحد الكافرين ؛ فجذبه عمر من ثوبه ، وقال له : إنه كافر ولا ينبغي لمثلك أن يصلى عليه . فأنزل الله سبحانه وتعالى . موافقا عمر حيث يقول « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا . ولا تقم على قبره ... الخ » . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يضيق صدره من الإيذاء كما يضيق صدرنا ، قال الله عز وجل « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون »

وكان يحزن مما ينسب إليه ، كما جاء في الآية « ولا تحزن عليهم ، ولا تك في ضيق مما يمكرون » ، وقال عز وجل « ولا يحزنك قولهم » كما قال عز ذكره « فلعلك باخع نفسك على أثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

وقد عرض سيدنا عمر عليه صلى الله عليه وسلم أن يحجب نساءه بقوله له إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ؛ فر نساءك أن يحتجبن . فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل حتى نزل قوله عز وجل « وإذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » .

إلى غير ذلك من موافقات عمر للقرآن الكريم .

وجاء أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من أهل المدينة ألا يؤبروا النخل . فتركوا تأبيره ، فلم يشمر النخل ، فقال لهم « افعلوا ما كنتم تعملون » أو كما قال .

وجاء في حديث القسم أنه صلى الله عليه وسلم قال « هذا قسمي فيما أملك فلا توأخذني فيما تملك » . فمن ذلك نعلم أن القلوب بيد الله يقابها كيف يشاء . وعليه أن نقول بميل قلب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى زينب بنت جحش زوجة مولاة زيد بن حارثة ليرتب الله على ذلك ما رتب ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب ، ويحب النساء أيضا ويعجبه حسنهن ؛ بدليل قول الله سبحانه وتعالى « لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ، ولو أعجبك حسنهن ... الخ » .

ويمكن أن نحمل حب الرسول للنساء : رفعا لشأنهن ، وإعزازاً لهن . فلقد كان العرب يبدون بناتهم صغاراً ، ويجعلون نساءهم متاعا يتصرفون فيهم كما يتصرف الإنسان في سلعه وأمتعته ، وقد قال الله عز وجل « وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ... الخ » .

كما قال في الآية بعد « وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وإن يكن ميثمة فهم فيه شركاء » .

وقد كان صلى الله عليه وسلم كثير آ ما يجتمع بالنساء فيبايعهن ويعظهن كما جاء في القرآن الكريم « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئا . . . الخ ، وكان يجعل لهن يوما يعظن فيه ويأمرهن بالصدقة ؛ فكان يلقين بالقرط والخاتم وبلال يأخذ في حجره .

يا أيها الأخ الكريم رجائي منك أن تتأمل هذه الأدلة ، وأن تخلي نفسك من كل تعصب ، وأن لا تجعل حرجا على فضل الله ، وتقييداً لما يريد . فله أن يمنح بما شاء ، فكم منح من عباده ما لا يحصيه عد ، ولقد منح عز وجل سليمان بن داود قوة بمقتضاها كان يطوف على نساته في ليلة واحدة وكن سبعين أو أكثر ، كما جاء في الحديث أن سليمان عليه السلام قال لأطوفن الليلة على نساتي فتأتني كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ، ولم يقل إن شاء الله ، فما حملت واحدة منهن غير واحدة أتت بشق ولد ، وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم : « لو قال سليمان : إن شاء الله لآتت كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ، .

وعليه أن لا تستكثر على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنح قوة أربعين رجلا مع فضله على سائر الأنبياء والمرسلين .

وفقمكم الله لما فيه الخير ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين !

تعقيبنا على هذا الرد

هذا وقد رأينا أن نعقب على ما كتبه أستاذنا الفاضل ، حيث إن ما كتبه في حاجة إلى مزيد من الإيضاح :

أستاذنا الجليل النبيل : الشيخ على أبو طالب : حفظه الله تعالى هاديا مهديا ، وأفاض عليه من العلم والفهم ؛ ما يجعله أهلا لما يحمله من وراثة الأنبياء !
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد : فقد أتاني كتابك الكريم ، الذي يصلح أن يكون رسالة مستقلة يدرسها الدارسون في بشرية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم : بشرية مطلقة !

ولم يقل ذلك — على ما أذكر — سوى بعض المستشرقين ؛ وتابهم في ذلك بعض من لا أريد أن أضغك في زميرتهم ؛ فأنت مني الأخ الصادق ، والمحب المخلص الأمين !

ولولا حولى لك ، وحرصى عليك : لما عقبته على كتابك هذا ، ولا اعتبرته ضمن ما قرأت وأقرأ مما أعده من سقط القول !

أما وقد عززت كتابك بالآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية : فقد صار لزاما على أن أكتب ما عن لى عند قراءته .

وفوق كل ذلك فإن كتابك يستلزم منى ابتداء شكرك على تفضلك بالتحقيب على بعض ما ذكرته فى كتابى « أوضح التفاسير »

وأقسم غير حائث أنى ما كتبت فى حياتى شيئا إلا بعد اقتناعى به ، ورغبتى فى مرضات الله من أجله !

فإذا ما رأيتنى فى ردى هذا : متبرما مما قلت ، أو محتدأ : فذلك طبعى الذى جبلت عليه . وأعتذر مقدما عما يبدر منى من ألفاظ قد لا تستسيحها : دفعنى إليها شدة مخافتى وخشيتى من تسرب هذه الآراء إلى العامة ؛ فتصبح عقيدة عندهم ؛ يتوارثها الأبناء عن الآباء ! ونصبح بين يوم وليلة ؛ وقد سقط محمد بن عبد الله : خير خلق الله ؛ من عليائه التى بوأه الله تعالى إياها ، وصار مثلى ومثلك : ممن يحتاجون إلى من يسندهم عند مرورهم على الصراط ، ويدفع عنهم العذاب : حيث لا دافع ، ويمنهم السقوط حيث لا مانع !

وإن شر ما أخشاه على هذا الدين القويم — وقد أصبح غريبا أو كاد — هو الاستهانة بقدر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : الذى ليس فيه من البشرية سوى اسمها فحسب ! وسأرتب ردى على ما جاء فى كتابك حسب ما أوردت من أدلة : رأيتها أنت قوية مقنعة ، ورأيتها أنا ضعيفة واهنة !

أولا — أوردت قول الحكيم العليم ؛ لنبيه الرؤوف الرحيم « قل إنما أنا بشر مثلكم ، وخرجت من تأويلها بأنها تقتضى المثلية الكاملة !

بل وذكرت بالحرف : يخطيء كما نخطيء ، ويصيب كما نصيب ! لإنسان اختاره الله تعالى من بين سائر مخلوقاته جميعا : ماضيا وحاضرها ومستقبلها . وقال له : يا محمد خاطب أمتك ؛ و « قل إنما أنا بشر مثلكم ، ولست ملكا من الأملاك . فهل يكون ذلك البشر المختار من خيار الخيار : يخطيء ويصيب مثلى ومثلك بمن يخطئون دائما ، ولا يصيبون إلا نادرا ، وهى حالة أظن أنك لا تخالفنى عليها ، ولا تجادلنى فيها .

فإذا كنا — وهذا حالنا — لا نرضى أن ينسب إلينا ما نسبته للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

أترضى وأنت العارف بالله ؛ الملمس عفوه ورضاه ، الخاشي بأسه وغضبه وعذابه :
أترضى أن تنظر إلى حليمة مسلم ، فضلا عن أن يكون ذلك المسلم منك بمنزلة الإبن
أو الخادم ؟

وأنت خير من يعلم : أن النظر في ذاته جرم ؛ فإذا كانت المنظور إليها مزوجة : كان
الجرم مزدوجا ، فإذا كانت زوجة ابن : كان الإثم بالغاً حد الخروج — لاعن الإسلام
فحسب — بل عن الإنسانية ، وعن كل دساتير الفضيلة !

أما تسترّك وراء أن هذا أمر واجب التنفيذ ، لأن الله تعالى قناه ، وأن منفذه :
متعبد بتنفيذه . فهو أمر يخرج بنا إلى حد تحليل كل إثم ، وتحسين كل جرم ؛ لأن كل
ما يقع في ملك الله : لا يخرج عن رضاه وتدبيره . وهذا — كما ترى — يخرجنا من عداد
الطائفة الناجية والعياذ بالله !

وهنا تطل علينا أنوار آيات الله تعالى البيّنات : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ...
لمن شاء منكم أن يستقيم . . . ولا يرضى لعباده الكفر » والآيات التي تؤيد هذا : كثير
لا يتسع لها هذا المقام ، ولا تخفى على عليك وفضلك ! وقد توسعنا في تأويل هذه الآيات
وأماها في « أوضح التفاسير » .

فلا مناص حينئذ من أن نعتقد أن المثالية في القرآن : ليست مثالية مطلقة : بل هي خروج
من دائرة الملائكية إلى البشرية : في الخلقة وحدها « ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

وهي سنة الله تعالى مع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام « قالت لهم رسالهم إن نحن
إلا بشر مثلكم . . . هل هذا إلا بشر مثلكم . . . ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل
بما تأكلون منه . . . ما أنت إلا بشر مثلنا . . . »

وهكذا يسجل المولى سبحانه على خاصة رساله وأنبيائه : البشرية ؛ لا ليحط
من أقدارهم ؛ وإنما ليعلم المرسل لإيهم : أن هؤلاء المرسلين بشر أمثالهم ، وليسوا ملائكة
كما يرغبون ! وإلا صار الإيمان عن طريق القسر والإلجاء !

وحاشا أن يكون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم : الأمين على دعوته ، الأمين على أمته : مثلى ومثلك ، بل وإن تكون هذه المثالية بينه وبين أى نبي آخر . فالأنبياء جميعهم : دون محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام . وهذه — كما تعلم — قضية لا تحتاج إلى تدليل !

وحينما يقول المولى سبحانه في كتابه المجيد ؛ مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام : « قل إنما أنا بشر مثلكم » ، فى حين أن المخاطبين جميعا يعلمون هذه البشرية ، ويلبسونها ؛ وهو أمامهم من عداد البشر : فليس ثمة سبب للتعريف ببشريته : سوى ملائكيته فى الخلق ، والسير والسلوك ؛ التى ينكرها أمثالك عليه : فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

ثانيا — لست أدرى ماذا أردت بما أوردته من إصابة عمر رضى الله تعالى عنه . وموافقة القرآن له ؟

لقد أبرزت ياسيدى معنى لا يجوز إبرازه بهذه الصورة ؛ وكأنك تريد أن تقول : خطأ محمد ، وأصاب عمر !

ولم يبق بينك وبين غلاة الشيعة ، الذين قالوا : خطأ جبريل فى حمل الرسالة إلى محمد ، وقد كان المقصود بها عليا ؛ غير تعديل طفيف ، وهو أن المقصود بالرسالة عمر لا على .

ثالثا — قولك : إن القلوب بيد المولى سبحانه يقبلها كيف شاء . فهذا مما لا يخالفك فيه أحد من المسلمين ؛ لأن ذلك وارد فى الكتاب المستبين ، وفى أحاديث إمام المرسلين . أما الذى يخالفك فيه المسلمون قاطبة ويحاربونك عليه ، وأنا أولهم : أن الله تعالى قلب قلب الرسول الكريم ، الرؤف الرحيم ؛ إلى حب زينب ؛ فهذا ما لا يوافقك عليه مسلم ؛ ذاق حلاوة الإيمان بقلبه ، وإن وافقك عليه جل المفسرين ؛ سائحهم الله !

وقد قلت فى ذلك ؛ من قصيدة طويلة :

لم يخفى نفسه بنظرة إثم وخبيث النفوس آتت زناها

ولم تسوّ بين أكرم الرسل عليه الصلاة والسلام ؛ ويوسف الصديق عليه السلام : حيث هرب يوسف مما أحاط به ، وانغمس أرقى الناس خلقا ؛ فيما نبرى أنفسنا من الانغماس فيه !

يوسف : الممتلىء شبابا وفتوة : تختلى به امرأة مشبعة بالجمال والفتنة ؛ وفى نفس الوقت هى مالكته وسيدته : فيستغيث بربه ، ويولى هاربا مما عساه أن يوقعه فى الإثم ؛ ولم يكن فى هذا الوقت نبيا ، ولا رسولا !

ويأتى محمد بن عبد الله : إمام الرسل ، وخير خلق الله : فتفتنه امرأة هي في مرتبة زوج الإبن ؛ فلا يلبجأ إلى مولاه ليحفظه ، ولا يتهرب مما عساه أن يحط من قدره كبشر ! فلم يبلغ شأو يوسف عليه السلام !

رابعاً — ما ذكرته من اجتماع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه بالنساء .
ومن المعلوم عقلاً ونقلاً : أن اجتماعه بهن كان للمبايعة والعظة وحدها . كما يدل على ذلك مدلول الآية الكريمة ومنطوقها : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبأيعن واستغفر لهن الله ، فلا اجتماع بهن : لم يكن كاجتماع الفجرة الذين تريد أن تنزل بالرسول الكريم إلى مستواهم .
وتقول : لأنه كان يجب النساء ، ويعجبه حسنهن !

والذي عجبت له كثيراً ، وضحكت له كثيراً : نصحك لي بأن أخلى نفسي من كل تعصب ، وألا أجعل حرجاً على فضل الله تعالى ، وتقييداً لما يريد .
كأنك تريد أن تقول : إن من فضل الله تعالى على رسوله أن وهبه نعمة النظر إلى ما لا يحل ، وقد تابعت الغزالي رضى الله تعالى عنه في ذلك عني الله تعالى عنك وعنه !
(انظر تأويلنا لقصة أم المؤمنين زينب . آية ٣٧ من سورة الأحزاب) .

خامساً — انتقلت بعد ذلك إلى حديث : زعم الأفاكون أنه منقول عن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه . وهو « أوتيت قوة أربعين في البطش والجماع ، وقد رددنا عليه بما فيه الكفاية في آخر المبحث المقبل (أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام) .
وإذا كان فضل الرسول عليه الصلاة والسلام لا يتحقق إلا بإتيانه قوة أربعين في الجماع — كما ذكر في هذا الحديث المكذوب التافه : الذي تمسكت به — فما رأيك إذا ما زعم زاعم أنه أوتي قوة واحد وأربعين ؛ فهل يصير بذلك أفضل من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؟

وقد أيدت قولك هذا بأن سليمان عليه السلام قد منح قوة سبعين أو أكثر ، وأنه كان يطوف عليهن جميعاً في الليلة الواحدة .

وتقتضى هذه الأقيسة التي سقتها : أن تكون قوة الرسول عليه الصلاة والسلام في الجماع تعادل ثمانين رجلاً أو أكثر ؛ لأنه مما لا شك أفضل من سليمان . وتقتضى المفاضلة أن يكون أعلا منه شأناً في كل شيء ؛ حتى في الجماع !

ولماذا نذهب بعيداً ؛ وأمامنا كتب الحديث الصحيحة ، وفيها عن إحدى أمهات المؤمنين . قالت : « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يطوف على نسائه في الليلة الواحدة بغسل واحد ، فما أشبه طوافه على نسائه بطواف سليمان ؛ لولا أن سليمان يفوقه في عدد النساء !

وقد ردنا على ذلك الحديث السقيم — في إحدى كتاباتنا — بأن هذا الحديث لا يثبت إلا بإحدى اثنتين ؛ لا ثالث لهما .

إحدهما : أن أم المؤمنين — راوية الحديث — جاءها الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، فاختلى بها ؛ وبعد ذلك خرج من عندها فتبعته خلصة إلى أن دخل بيت إحدى أمهات المؤمنين الأخريات : فتسمعت عليه ، وعلمت أنه قد نال منها ما نال منها . وتبعته بعد ذلك حتى دخل إلى أخرى ، ثم إلى أخرى . حتى علمت أنه أتى نساءه جميعاً بغير اغتسال !

ثانيتها : أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قال لإحدى زوجاته رضى الله تعالى عنهن : إنى أتيت في هذه الليلة ضرائرك جميعاً .

وكلا الفرضين : مستحيل عقلاً ، وعرفاً ، وذوقاً ، وليس فيهما ما يدل على مكارم الأخلاق التي بعث الرسول عليه الصلاة والسلام إلينا ليتممها « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . وما أشبهنا — في هذه الحالة — باليهود الملاحين : الذين لم يدعوا نبياً من الأنبياء إلا ألقوا به فرية :

فقد زعموا أن لوطاً شرب من الخمر حتى فقد صوابه ، ثم زنى بابنتيه فحملتا منه ! سادسا — ذكرت في كتابك حديث تأبير النخل — وفي النفس من صحته الشيء الكثير — وهو على فرض صحته : تعليم للأمة للأخذ بما يقومون به في حياتهم الدنيا من مصادره ، ويسألون عنه أولى العلم به .

وفيه إشارة دقيقة إلى أن الرياح تقوم في كثير من الأحيان بهذا التأبير « وأرسلنا الرياح لواقح ، فتنقل من ذكور النخل إلى إناثها ، ومن ذكور النبات والأزهار إلى إناثه . وكيف يستساغ أن يدل الرسول الكريم — في أمر من الأمور — برأى لا يعمله ، ولا يتقنه .

إنها لإحدى المفتريات . وهذا رأي الذى ألقى الله تعالى عليه آمناً يوم القيامة !

وان لم توافقني ؛ كحادثك معي دائما : في التحيز إلى المكفة المرجوحة ؛ سأمحك الله
يا أخى وعفى عنك !

سأبما — استدلت بالآية الكريمة — وهو من الغرابة بمكان — يقول المولى سبحانه
لذيه الحبيب ، وحبيبه النبي « لا يحمل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج
ولو أعجبك حسنهن » وأولت هذه الآية تأويلا لا أرخصه للرسول صلوات الله تعالى
وسلامه عليه ؛ وهو خير الخلق قاطبة !

ولا أرخصه لك ، وأنت من خاصة المسلمين . بل ولا أرخصه لنفسى وأنا من عامتهم !
فقلت — سأمحك الله — إن معنى الآية : أن الرسول المعصوم كان ينظر إلى حسن
النساء « ولو أعجبك حسنهن » وأن ذلك كان رفعا لشأن النساء وإعزاز آلهن .

وإذا نسجنا على هذا المنوال التفسيري الفذ : لظهر لنا أن قوله تعالى « فانكحوا
ما طاب لكم من النساء » أن تزوج منهن ما تناولته تجربتنا ووثقنا من طيبه لنا .

وغاب عنك ياسيدي أن المرأة المسلبة : قد تنقل وصف المرأة إلى الرجل : فيعجبه
حسنها . وليس من الضروري أن يتابعها بالبصبة : كما يفعل فجار اليوم !

أما وقد انتهيت من الرد بإيجاز على ما قدمته لى فى كتابك من نصح أردت به
وجه الله : فها أنذا بدورى أبذل لك النصح مبتغيا به وجه الله ، وإنجأتك مما أظنه
لاحق بك من لوم !

فأقول لك — وأنت منى بمنزلة الأستاذ — أن تتقى الله فى خير خلق الله : الذى خلقه الله
من البشر ، وأرساه لآلهم ليا لفقوه ويأنسوا له « قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا »

خلقهم مولاة من البشر ، وليس فيهم جميعا من يساويه ، أو يدانيه !

الرسول الكريم : الذى تريد أن تنزل به إلى مصاف عصاة البشر : هو نفسه الذى
خاطبه مولاة سبحانه وتعالى بقوله : « قد ترى تقلب وجهك فى السماء فأنولينك قبلة ترضاها »
القبلة التى هى مقصد المسلمين جميعا ؛ وملتقى أرواحهم فى أجل عبادة الله : يدلله مولاة بقوله
« فأنولينك قبلة ترضاها » وكرر فى خاطرك لفظ « ترضاها » فإن فيه من الأسرار
ما لو تسكشف لك : لوصلت إلى ما لم تصل إليه بعلمك ؛ الذى قضيت فيه طوال حياتك !

وتذكر ما قلته أنا في الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام (من قصيدة طويلة) :

أى نفس زكية صاعها الله لطفه ؛ فبإخت منهاها !
لم يخزن نفسه بنظرة لإثم وقبيح النمسوس : أنت زناها !
بات يرفعى الإله صوما وقوما حيث باتوا والخمر تملأ الشفاها !
جاع خبير العباد حيث شعبنا وملأنا البطون حيث طواها !
أنزل الله آية فتلاها لجميع العباد : ما أحلاها !
إن عزمت الصلاة : صل لوجهي ولك القبلة التي ترضاها !

الرسول الذى يخاطبه مولاة بقوله « فإنك بأعيننا » ويقول له « امرك » .

هذا الرسول : ليس بالإنسان الذى عنيته فى كتابك ؛ بل هو لإنسان من نوع خاص : لا يخطئ - ولو كتب الخطأ على سائر بنى الإنسان - ولا ينظر إلى حليلة ابنته فيتشهاها ؛ ويقول سبحان مقلب القلوب ! وفى نفس الوقت ينهانا عن النظر ، وهو دون التشهى !

فاتق الله يا عبد الله : فى منزلة رسول الله ، وراجع نفسك فيما قلت وفيما كتبت ؛ عسى أن يغفر المولى سبحانه لى ولك ، وأن يشفع فىنا رسوله عليه الصلاة والسلام ! الذى لم يخطئ أصلا ، ولم يتطرق الخطأ إلى ضميره يوما ما : بعد الرسالة أو قبلها !

ويصح لى فى ختام حديثي معك : أن أعتذر عما وقعت فيه مما نهيتنى عنه فى كتابك من التعصب . وعذرى أنه فى نظرى : تعصب فى الحق ، ودفع للباطل : الذى تشهد به كل العقول الذكية الآبية ؛ وأنت أولها وأولاها !

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

محمد بن عبد الله الطيغري

١٩٧٣/٤/١٢

هذا وقد غضب أستاذنا الفاضل من تعقيبنا على تعقيبه . وحق له أن يغضب !

لأنه قد توهم — مخطئاً لا خاطئاً — أن في تعقيبنا ، مغالطة له ، أو تحويراً لما أراد أن يشابهه ، ونسى — حفظه الله تعالى — أنى قلت ولا أزال أقول : إنى لا أكتب شيئاً إلا ابتغاء مرضات الله ، وحسن ثوابه !

وقد ردّ علينا بما ندونه هنا إتماماً لما بدأناه من بحث . نرجو أن يخرج القارئ منه بنتيجة حتمية : هي عصمة النبي المعصوم عليه الصلاة والسلام — قبل البعثة وبعدها — من الخطأ الذى هو دون الخطيئة طبعاً !

وها هو ردّه كما أرسله ، وتعقيبنا عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد الرسول الكريم وعلى آله وصحبه وسلم :

١ — لم أقصد بقولى « يخطئ » أن يفعل الخطيئة : إذ هو يستحيل فى حقه أن يرتكب إثمًا أو خطيئة . وإنما أقصد الخطأ الذى قد رفعه الشارع عنا بقوله صلى الله عليه وسلم « رفع الخطأ عن أمتى والنسيان وما استكرهوا عليه » كما جاء فى القرآن الكريم « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، ولقد نسى الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فصلى الرباعية ركعتين ، كما نسى ودخل المسجد وهو جنب ؛ ولم يكن ذلك نقصاً فى مقامه الشريف !

٢ — لا يجهل أحد قط أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بملك إذ هو مولود من أب وأم كسائر البشر ، ويجوز عليه ما يجوز على كل بشر مما لا يقدر وينقص من مقامه الشريف ، وبلا شك أن كل مسلم مهما كان جهله ؛ لا يقول إلا أن مقام النبي فوق كل مقام بمن خابن الله جل وعلا ولم يعلوه سوى المقام الإلهى جل وعلا . وأخشى ما أخشاه أن يبالغ المبالغون كل المبالغة فيخرجوه من البشرية إلى الإلهية ، ولقد صدق البوصيرى حيث يقول :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحكم

٣ — ليس كل نظر ولا كل حب محرماً ؛ ما خليا من قصد الشهوة ؛ فالحب الشريف لا يقول أحد بمنعه ، ولا مجرد النظر أن يقول أحد إنه محرّم !

٤ — وأما دعوى أن فعل المعصية : تنفيذ لمكتوب فباطل ؛ إذ لا اطلاع لفاعل المعصية على أنها مكتوبة . وإنما قدم لإيها لقضاء شهوته ، ولو قدر لأحد أن يطالع على اللوح المحفوظ فيرى أن الله قدر عليه فيه أن يفعل معصية ثم فعلها بقصد التنفيذ لا بقصد الشهوة ؛ لا شك أنه يكون في ذلك غير آثم !

وأني لأحد الاطلاع على ما سطره الله تعالى وقضاه في عبده سبحانه !

٥ — ليكن من المعلوم أن الله جل وعلا يريد المعصية ولا يرضاها لقوله عز وجل « ولا يرضى لعباده الكفر » وإرادة الله جل وعلا إنما تكون لعلم الله ألا بما يفعله كل أحد ، ولقد رتب سبحانه على كل إنسان من شقاء وسعادة : حسبما عبه الله ، وأن السعيد إنما يتوجه لفعل الخير ، والعنيد بالضد .

٦ — أما الغرض من قوله سبحانه وتعالى « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » إنما هو للتهديد والإنذار كقوله تعالى « اعملوا ما شئتم » .

٧ — أقول إن المثلية بعيداً عما خصه الله به ، وميزه : هي مثلية مطلقة فيأكل ويشرب ويتزوج . . . الخ .

٨ — القصد من ذلك تحديد قدرهم ، وأنها ليست خارجه عن قدرة البشر ؛ حتى يأتوا لهم ما يريدون من اقتراحات .

٩ — لا يشك أحد أن الرسل من البشر ؛ فذكر البشرية للعلم بأنهم لا يستطيعون فوق ما يستطيعه البشر ، فلا يس بمقدور أحد منهم أن يخسف بقرية أو يقابلها كما حصل من الملائكة .

١٠ — سبق أن قررت وأقرر ، وأدين الله به : أن مقام محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعلوه سوى المقام الإلهي .

١١ — ليكن في معلومك أني لم أكن المصوب لعمر رضى الله تعالى عنه إنما المصوب له الإله الحكيم الخبير ، وأن موافقة عمر رضى الله عنه للقرآن الكريم فيما يزيد على ثلاثة عشر موضعاً ، إنما ذلك هو مزية له ، وهذه المزية لا يمكن لأحد أن يقول بتفضيل عمر على أبي بكر رضى الله عنه ، فضلاً عن تفضيله للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اعتقد شيئاً من ذلك فهو خارج عن الدين ، مارق والعياذ بالله !

١٢ — سبق أن قلت : إن كل حب ليس إثمًا . فحب الرسول صلى الله عليه وسلم لزینب أو خلافتها من الحب الشريف الذى لا غبار عليه ، على أننى أقول : إن الذى أخفاه الرسول عليه الصلاة والسلام فى نفسه هو اعلام الله إياه بتزويجه زينب ، وليس ما أخفاه فى نفسه حب زينب ، كما ذهب إليه الكثير .

١٣ — أقول إن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتمع بالنساء ليبايعهن وليعظهن ، وقد ذكرت فى ردّى آية المبايعه وحديث الوعظ فكيف بك تحوّر الموضوع وتنسب إلى ما يستحيل أن يكون منى .

١٤ — أقول : إن وجود أحد يزيد على الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقتضى أفضليته عليه ؛ وإلا للزم أن نقول إن سليمان عليه السلام أفضل : لما خصه به من إيتائه ملكا لا ينبغى لأحد بعده . كما قال عز وجل حكاية عن سليمان « رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب . . . »

وأن الحديث القائل « أوتيت قوة أربعين . . . » لم أذكره فى ردّى ، ولم أقل به .
١٥ — قلت وأقول : إن المزية لا تقتضى الأفضلية قط .

١٦ — هذا الحديث لم أذكره ، ولم أقل به ، أما بخصوص سيدنا سليمان عليه السلام هو الذى حدث عن نفسه وأخبر كما جاء فى الحديث بقوله « لأطوفن على نساءى . . . » إلى أن قال الرسول صلى الله عليه وسلم آخر هذا الحديث : لو قال سليمان عليه السلام إن شاء الله لأتت كل واحدة منهن بفارس يجاهد فى سبيل الله .

١٧ — أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهن منزهات أن يتسمعن .

١٨ — سبق أن قررت أنه لا يلزم من النظر أن يكون مصحوبا بشهوة بهيمية ؛ لأن ذلك مما لا يليق به صلوات الله تعالى عليه وسلم فنخلص من ذلك أن النظر البرى لا مانع منه أصلا . خصوصا أنه قد أرسل إلى الخلق عامة ذكورهم وإناثهم ، فكيف لا يجتمع بالنساء ويبدى لهن ما شرعه الله لهن ؟ كيف ! وانهن نصف المجتمع ، وأولى بالعناية والرعاية والعلاج لتقصور عقولهن .

وأما قول الله عز وجل « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » مشروط بشروطه ، ومقيد بقيوده ؛ فالعدد محدود وشرطه الاستطاعة على النفقة ومؤن النكاح ، كما جاء فى الحديث الشريف « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة

فليتزوج... الخ» وهناك شرط أهم وهو العدل بينهن : في السكسوة والنفقة والقسم ، وبدون هذين الشرطين أو أحدهما : لا نكاح .

وما المانع أن يقصد قول الرسول صلى الله عليه وسلم « حبيب إلى من دنياكم الطيب والنساء » وهو حديث ثابت رواه : أحمد في المستند ، والنسائي ، وابن ماجه : أن يقتلع من صدور العرب جذور بغضهم للنساء ، فلقد كانوا يجعلونهم كالمناع ويثدونهن خشية العار ، حتى جاء الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالعمل على إنقاذ نصف المجتمع من هذا الوباء .

١٩ - نصيحتك مقبولة على العين والرأس ؛ لو أنها مبنية على فهم صواب من جهتي ؛ لأن مثلي لا يجمل قيمة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعصمته ، وأن اعتقادي الجازم بأنه فوق كل ما خلق الله جلّ وعلا ولولاه ما كانت الدنيا ؛ فهو النور الإلهي الذي جعله الله أصلا للبشر فصلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وسأحك الله حيث أخطأت الفهم في ، وجل من لا يخطئ !

٢٠ - كما دله ؛ كما تقول ، وجه إليه باعتباره عبداً له النواهي والعبي حيث يقول الله عز وجل « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ... » « ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ... » « عفا الله عنك لم أذنت لهم ... » « عبس وتولى أن جاءه الأعمى ... » إلى أن قال « وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى فأنت عنه تلهي » .

فالرسول الكريم أيها الأخ الفاضل : هو عبد من عباد الله الصالحين ؛ شرفه الله ، وجعل مقامه فوق كل مقام ؛ مأمور من قبل الله ؛ كما نحن مأمرون ، ومكلف كما نحن مكلفون .

٢١ - ومن نسب إلى الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينظر نظرة لائم ، أو يخون ؛ إلا المشركين المنافقين . أما المسلمون مهما تنزلوا وقل عليهم : فهم بالضرورة يزهون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن كل ما يؤثم ! فقل لي بالله من أين جاءتك هذه الأفهام والأغلاط التي تريد أن تصحبها بيريء مثلي ؛ وبمن يقدر الرسول العظيم صلى الله تعالى عليه وسلم قدره ، ويعظمه حق تعظيمه !

على أبو طالب

هذا وقد حاول الأستاذ الفاضل — في رده هذا — التخلص مما ألصقه بنفسه ، ولم نلصقه نحن به ؛ ولا زلت أكرر أن ما ارتكبه : زلة عالم ؛ تزول عنه بزوالها عن إصراره ! على أن مانفاه عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من الخطأ — كما زعم أخيراً — لم يكن خطأ ، بل هو خطيئة بأجل معانيها ، وأقبح مراميها !

فلم يقل أحد : إن رؤية زينب بنت جحش ؛ وهي امرأة أجنبية متزوجة ؛ واشتهاؤها ، والأسف على الحرمان منها ؛ بقوله : سبحان مقلب القلوب ! لم يقل أحد : إنها خطأ ؛ وايست بخطيئة .

وقد أبرز الأستاذ في تعقيبه : هذه الخطيئة واضحة مجاللة ، الأمر الذي دعاني إلى ما كتبتة محملاً !

وقد أصر على أن الرسول قد نسي فصلى الرباعية ركعتين . وأغفل ما ذكرته في تعقيبي من أنه لم يكن نسياناً — بالمعنى المفهوم — بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : حينما قال له ذو اليمين : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال « كل ذلك لم يكن » ، أى لم تقصر ولم أنس .

وقد تمسك بأن الرسول عليه الصلاة والسلام : مولود من أب وأم كسائر البشر . وهذا مالا أخالفه عليه ، وإنما الذى خالفته فيه : أن هذا البشر المولود من أب وأم : ليس كسائر البشر ؛ وأنه لا يقع فيما يقع فيه جميع البشر أمثالنا فكيف وقد أوقعه فيما لا يرضى ، ولا أرضى الوقوع فيه : وهو النظر إلى مالا يحل وتشهيه ! وهذا واضح في تعقيبه عند قصة زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها .

أما ما زماني به — تليحاً — من المبالغة في حق الرسول مبالغة تخرجه من البشرية إلى الإلهية : فهذا الذى أبرىء نفسى منه : متمسكاً بما تمسك به من قول البوصيرى رضى الله تعالى عنه :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتمك
وقد قال البوصيرى : واحكم بما شئت مدحا ؛ ولم يقل قدحا . وقد مدحته أما بما هو دون حقه ؛ في حين أن أستاذنا الفاضل قد تمسك بما يقدح في مقامه الكريم ؛ جرياً وراء أناس أساءوا فهم قدره العظيم الذى لا يصل إلى معرفته سوى مدشئه ومبدعه تعالى وتقدس عن المثل والنظير !

وأزيد على ما ذكره من قول البوصيري رضى الله تعالى عنه :

دع ما ادعته النصارى . . . الخ

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفهم
فأنسب إلى ذاته ما شئت من شرف وأنسب إلى قدره ما شئت من عظم

ولا أدري ماذا يعنيه من الحب الشريف الذى وقع فيه سيد الخلق ؟

وأى حب شريف هذا ؟ أن يحب الرجل حليمة رجل مسلم ، فنقول : إنه كان حباً
شريفاً ، فبئس هذا الحب ، إذا صدر من عامة الناس : فما بالك بخاصتهم ؛ بل فما بالك بخيرة
الخلق وصفوتهم ؟

أما ما أردت ياسيدى أن توقعنى فيه من خضم الشكوك والرزايا ، التى ابتلى بعض
المسلمين بها : من أن الله تعالى يريد المعصية ولا يرضاها . فهو قول مردود بمثله ؛ من
سلسلة المجادلات البيزنطية ؛ التى نظمها الأوائل ؛ فقالوا جواباً على ما قلت : كيف يتم
فى كون الله ما لا يرضاه الله ؟

ولا نملك حيال ذلك سوى التسليم ، والتسك بقول الحكيم العليم : « لمن شاء منكم
أن يستقيم ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » .
وقولك إن المثلية : مطابقة بعيداً عما اختصه الله تعالى به وميزه .

وردى على ذلك : أن المولى سبحانه ؛ وقد اختصه عليه الصلاة والسلام بمزايا بلغت
حد العجز عن الإحاطة بها ؛ وأنه لا يماثلنا فى شيء : إلا كونه من أب وأم ، ومن لحم ودم !
أما قولك : إن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يستطيعون فوق ما يستطيعه البشر .
فهو قول مردود أيضاً : لأن البشر ليس فيهم من يستطيع أن يدعى العصمة لنفسه :
وهم معصومون جملة وتفصيلاً !

أما تصويبك لعمر ؛ فلم أقل : إنك الذى صوبت ما فعل ، بل أنا أعلم علم اليقين أن
المولى سبحانه هو الذى صوب فعله — هذا إذا صح ما ورد فى ذلك من أحاديث .

ولإنما الذى عتبه عليك : هو إبرازك صواب عمر مقارناً بمخاطبة الرسول عليه الصلاة
والسلام ، إبرازاً قد يسىء إلى مقام الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بل قد أساء !

أما حديث « حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء . . . » ، ومبلغ ثبوته عند الرواة :
فلسنا بسبيله الآن ، وإنما الذى أقصده تضافر الأحاديث على حب الرسول للنساء ، وقوته
فى الجماع ، وقدرته على إتيان العدد العديد منهن فى الليلة الواحدة بغسل واحد !

كل هذا يؤيد ما ذهب إليه وأذهب إليه دائماً من أنها مؤامرة اسرائيلية : ترى إلى الحظ من قدر الرسول الكريم ؛ الذي بعثه الله ليتمم مكارم الاخلاق : فأرادوه متمماً لاحظ الخلال ، وأقبح الخصال !

وقد أخذنا مادسره : قضية مسالة ؛ بسذاجة الأبله ، وبساطة الذي لا يتفهم . وبذلك أنجحنا مسعى الأعداء ، وكفيناهم مؤنة الإقناع !

وأما قولاك : إن أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام منزهات أن يتسمعن . فهذا ما أوافقك عليه تمام الموافقة ؛ وقد سقت ما سقت مبرهنأ على عدم معقولية هذا التسمع ! كما قلت : إن النظر لا يلزم أن يكون مصحوباً بشهوة بهيمية : لأن ذلك مما لا يليق به صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

وأقول : كيف يكون النظر بلا شهوة ؛ وقد زعمت مع الزاعمين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم . رأى زينب فأعجب بحسنها ، وقال سبحان مقلب القلوب ! وأنها ذكرت ذلك لزوجها زيد ؛ فطلقها .

وقد زاد غيرك — من جرفهم تيار هذا الإفك — بقوله : إن الرسول الكريم طلب من زيد أن يخطبها له !

وزاد الغزالي — عفا الله تعالى عنا وعنه — بأن من خصائص الرسول عليه الصلاة والسلام : أنه إذا رأى امرأة مزوجة فأعجبته : وجب على الزوج تطليقها وتزوجها الرسول .

وهو كما ترى كلام غير معقول ، وغير مقبول ؛ بل وهو بالكفر أشبه !

إنسان كمحمد ؛ يرسله الله تعالى على قمة المجد الأخلاقي : ليسكون نبراساً لسائر بني الإنسان ؛ فيتعشق حليمة ابنته ، ويفجعه فيها ؛ وبعد ذلك يطلب منه أن يخطبها له !

ورجل كالغزالي : ملك ناصية العلم والفضل ، يزعم أن محمداً يجوز له أن ينظر إلى حلائل المؤمنين فيعجب ببعضهن ، ويجب على أزواجهن التخلي عنهن له !

ومثل هذا الإفك الفاضح الواضح : يلقي رواجاً بين فضلاء المسلمين : الأمر الذي يلصق بمن يصدقه الغفلة والوقوع في الضلال ؛ بل الوقوع في الكفر والعياذ بالله (انظر تأويل آية ٣٧ من سورة الاحزاب في أوضاع التفاسير) .

ومثل هذا لا يصحح أن يكون تكريماً للمرأة ، وإعزازاً لها واقتراناً لجذور بفضها من القلوب ؛ كما قلت .

تعدد الزوجات

القرآن الكريم : الذي أنزله الله تعالى على رسوله هدى وشفاء : لم يدع شيئاً لصالح البشرية إلا بينه ، ولا أمراً فيه صلاح الدنيا والآخرة إلا فعمله .

وقد كان أوائل هذه الأمة رضى الله تعالى عنهم حين يحزبهم أمر ، أو تعترضهم مشكلة يهرعون إلى كتاب ربهم : فيطيعونه فيما أمر ، وينتهون عما نهى عنه وزجر !
وقد جاء من بعدهم ناس تجرأوا على الكتاب العزيز : فأولوه طبق هواهم ، وفسروه تبعاً لمقاصدهم ؛ حتى غدا القرآن الكريم — الذى لا لغو فيه ولا تأثيم — يساق من فئتين :
حجة على قضيتين مختلفتين متنافرتين !

فهذا يقول : إن الله تعالى قد أباح تعدد الزوجات ؛ ألا ترى إلى قوله « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » .

وآخر يقول : إن الله تعالى نهى عن التعدد نهياً فصيحاً صريحاً ؛ ألا ترى أنه تعالى قيده بالعدل بقوله « وإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة » وقرر عدم استطاعة العدل بقوله « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

ولا يخفى أن ذلك يجعل فى القرآن ؛ الذى هو كلام الرحمن : تناقضاً واختلافاً ؛
نزه عنه كلام بعض البشر ؛ فما بالنا بخالق البشر !

وقد قال تعالى فى محكم كتابه « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »
وأى اختلاف أعظم من هذا اللغو ؛ الذى لم يأت به القرآن ؛ بل قذف به الشيطان فى قلوب الغافلين من بنى الإنسان !

فإذا ما بحثنا قضية التعدد على ضوء ما جاء به القرآن — من غير ما تحيز إلى فئة ، أو انتصار لجنس — نجد أنه قد أباح التعدد لإباحة وإسخة ؛ لا لبس فيها ولا غموض ؛ ولا أدل على ذلك من قوله جل شأنه « فأنكحوا ما طاب لكم » وهو أمر يدل على الإباحة المطلقة ؛ كقوله تعالى « كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً ... كلوا من طيبات ما رزقناكم ... كلوا من ثمره ... فكلوا مما غنمتم » .

وحين أورد تعالى قيد العدل في قوله « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » علم أن هناك صنفان من التعدد : أحدهما : تعدد مع العدل ، وثانيهما : تعدد مع الجور . والصنف الأخير : هو المنهى عنه من مفهوم الآية الكريمة .

يأتى بعد ذلك ما زعمه البعض — ومن هذا البعض بعض العلماء سألهم الله — فقد زعموا أن العدل غير مستطاع بنص الآية الأخرى « وإن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » وغاب عنهم أن هذا المعنى لو تحقق — كما فهموا — لكان تناقضاً ولفواً !
والقرآن الكريم منزّه عن ذلك تنزيهاً كاملاً .

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

إذ ليس بمعقول أن يقول الله تعالى : تزوجوا من تحبون ، متى تشاؤون — في حدود الأربع — فإن خفتم الجور فواحدة فحسب . وبعد ذلك يقول : الجور محقق في كل واحد من راعب التعددة :

والجور غير محقق في كل من عرفوا النبي وصدقوا التنزيلا

وكان الأخرى — إذا كان هذا المعنى هو المقصود — ألا يذكر التعدد أصلاً :
إباحة أو حظراً .

أما وقد ذكر التعدد في القرآن ، وأجمعت عليه الأمة الإسلامية في شتى العصور — بالقول والعمل — فقد وجب تأويل الآية القائلة بعدم استطاعة العدل ، بما تأولها به أئمة الشريعة ، وأساطين التفسير ؛ الذين قالوا بأن العدل غير المستطاع : إنما هو العدل في المحبة ؛ إذ أن قلوب بنى الإنسان ، بين يدي الرحمن ، يمررفها ويقلبها كيف شاء « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » .

لذا كان الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : يقسم بين نسائه فيعدل ؛ ثم يقول :
« اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا توأخذني فيما تملك ولا أملك » يعنى المحبة القلبية .

هذا وباقى الآية الكريمة : تدل دلالة قاطعة على قيام التعدد وتنظيمه « فلا تميّلوا كل الميل » عن المرغوب عنها « فتذروها كالمعلقة » التى ليست بعانس ، ولا بذات بعلى .

وقد تأيد التعدد من سائر مصادر الشريعة : فها هو صريح القرآن ، وها هو الإجماع ، فإذا ما ذهبنا إلى السنة النبوية نستشهد بها : وجدنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام « لا تنسكح المرأة على عمتها ، ولا على خالتها ، ولا على ابنة أخيها ، ولا على ابنة أختها »

ومفهوم المخالفة : يقتضى جواز الجمع بين من عداهن . وقد جاء أيضاً في قوله تعالى « وأن تجمعوا بين الأختين » جواز الجمع بين من عداهما .

وقد أمر صلى الله تعالى عليه وسلم غيلان الثقفي — حين أسلم وله عشر نسوة — أن يستبق أربعاً منهن .

كل هذا يدل دلالة قاطعة ؛ لا تقبل الشك أو الجدل : أن التعدد من بدهيات المباحات ، وأن التسكلم في منعه أو تحريمه : يدخل تحت طائلة تحريم ما أحل الله !

وهناك نقطة هامة : هى مصاحبة المرأة : متزوجة على أخرى ، أو متزوجة عليها بأخرى .

فأما الأولى : فلا يوجد عمد زواج إلا وأحد طرفيه امرأة : تملك زمام أمرها بيدها ، ولا تتزوج إلا برضاها ، ووفق هواها ؛ فإذا كان ذلك يضرها : ففي وسعها ألا تتزوج بمنزوجة ، وإن كانت فى عسر من أمرها ، ولا تستطيع أن تقوم بأودها ؛ فقد فرج الله عليها بالزوج الذى يدفع عن كاهلها عبء الفاقة ، وذل العوز ، وغائلة الجوع !

وأما الثانية : التى تعتبر أن الزواج عليها فاجعة لها ؛ فلا بأس من أن يسن تشريع يبيح لها طلب الطلاق ؛ ولا أغالى إذا أنا قلت : إن شريعتنا السمحة تبيح ذلك ؛ خاصة إذا تدلى الزوج من أعلى لى أدنى : فتزوج على الأولى بمن دونها حسباً ونسباً : كأن يتزوج بماجنة على عفيفة ، وبخبيسة على شريفة ، وبخضراء الدمن^(١) على عريقة النسب ؛ فهنا يتوفر الضرر الموجب للطلاق فى هذا الزواج !

وقد روى أن بنى هشام بن المغيرة : ذهبوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يستأذنونهم فى تزويج بنت أبى جهل بن هشام لهلى بن أبى طالب ؛ فغضب صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولم يأذن بهذا الزواج إلا على شريطة طلاق ابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها ؛ حتى لا تظعن فى كرامتها ، أو تفتن فى دينها . وقال « إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن يزوجوا ابنتهم على بن أبى طالب ؛ فلا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ، إلا أن يجب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى ؛ إن ابنتى بضعة منى : يربننى ما يربها ، ويؤذبنى ما يؤذيها ، فمن هذا يعلم أنه لا يجوز إيداء الزوجة بالتزوج عليها بمن هى دونها حسباً ونسباً .

وليس فى هذا ما يؤيد — من قريب أو بعيد — مزاعم المنكرين للتعدد .

١ — خضراء الدمن : المرأة الحسناء ؛ فى المنبت السوء . كما جاء فى الحديث الشريف .

وهب أن في تعدد الزوجات ضرراً يلحق ببعضهن — كما يتوهمون — فلا بد أن فيه خيراً كثيراً غفلوا عنه ، ولم يفتنوا إليه « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

فقل — يارعاك الله — لمن يعارض أحكام الله : « أنتم أعلم أم الله » ؟
هذا ويجب أن يكون التعدد بقصد الاستهفاف ، لا بقصد الإسفاف أو الإسراف .
ولا يكون بقصد الإضرار بالزوجة الأولى ؛ كما كانت تفعل العرب في الجاهلية .
قال شاعرهم يهدد امرأته بالخبرة :

أكلت دماً^(١) إن لم أركك بخبرة بعيدة مهوى القرط^(٢) طيبة النشر^(٣)

فجعل زواجه الثاني : لتأكيد الزوجة الأولى وترويعها ؛ ونسى أن واجبه الأول : أن يوفر لها أسباب الراحة والسعادة ؛ لا أن ينقب عن تعاستها وإشقتها . وأنه إن أحبها أمسكها وأكرمها ، وإن كرهها طلقها ولم يظلمها !

فساد التقنين بعدم التعدد :

هذا وقد حرمت بعض الحكومات المسلمة التعدد ؛ كما تم ذلك في تونس الشقيقة ، وحددوا عقوبات لمن يعدد الزوجات .

وقد بلغ من بشاعة هذا التقنين الفاسد : أنهم إذا ضبطوا رجلاً عدد زوجاته : كان عليه أن يدفع هذه التهمة بأن يزعم ويقسم أنها خليلته ، وليست بحليلته ! وبذلك يخلص من عقوبة سننها أناس لا يمتنون إلى معرفة الله تعالى بسبب ، ولا يعباون برضاه من سخطه . ولم يقفوا — في مخالفتهم — عند تعدد الزوجات فحسب ، بل تدخلوا في الموارد فشوخوا نظام الله تعالى الذي لا يعدله نظام^(٤) !

أما ما تلوكة ألسنة الطاعنين في التعدد : من فساد العلاقات بين الإخوة غير الأشقاء . فهي دعوى فاسدة : فكم قد رأينا شقيقين يقتتلان ، وأخوين لأب متصافيين متحابين !

١ — يدعو على نفسه بالفقر الشديد ؛ وقد كانوا حين يحمل الفقر بأحدم يفصد نافته وتلقى دمها في وعاء حتى يتجمد ؛ فيشويه وبأكله .

٢ — يكنى بطول رقبتها ؛ وهو من صفات جمال المرأة .

٣ — النشر : الرغ الطيبة ، أو هو رائحة فم المرأة وأعطاها عند قيامها من النوم .

٤ — حيث منعوا مشاركة الأعمام للبنات ؛ فيما تركه لهم أبوم ، وقد أحلها الله تعالى في محكم كتابه .

هذا وقد غاب عن هؤلاء الطاعنين : أن البلدان الأخرى التي حرمت التعدد : فشا فيها الفجور ، والمحاذنة ، وملئت فيها الملاهيء بأبناء الزنا . والبيوت بالأبناء غير الشرعيين . ولماذا نتعب أنفسنا في تحييد رأى رآه خالق الناس للناس ، وشرعه لهم ؟ ولماذا نفاضل بين رأى بعض البشر ، ورأى خالق البشر ؟ !

إن خالق الناس ، ومن هو أدري بالناس من الناس : قال بالتعدد ؛ فهل يجوز لإنسان — مهما أوتي من علم وفهم — أن يأتي فيقول : لا ؛ إن التعدد نظام بغيبض يقضى على المجتمع ويشدق شمل الأسرة ؟ !

هذا : ولا يخفى ما في تعدد الزوجات من مصالحة عظيمة ، وحكمة بالغة : فإن الرجال — فضلا عن زيادة عدد النساء عليهم — معرضون لتقصان مستمر ؛ بسبب قيامهم بمشاق الأعمال ، وبأعباء الحروب وغيرها ، وتعرضهم للمهالك . وليس من الحكمة في شيء : أن ندع جانباً كبيراً من نباتنا بدون إحصان !

إن الأوروبي — مثلاً — لا يبيح له دينه التعدد ؛ لكنه يبيح لنفسه مصاحبة المئات من الفتيات !

ويرى والد الفتاة فتاته مع عنيقها : فيسر ويغتبط ؛ بل ويمجد لها جميع الوسائل ، وكافة السبل المؤدية لراحتها ، وطمأنينتهما .

أما ديننا الذي يحرم على الرجل : النظر إلى المرأة ، ويحرم على المرأة : النظر إلى الرجل : فقد كان لزاماً عليه أن يوجد لهذا الضيق فرجا ، ومن هذا المسألق مخرجا : فجعل النكاح مكان السفاح ، ووضع الحلال مكان الحرام ؛ وإلا فمن للعوانس وربات الخدور ؟ ألهن العهر والفجر^(١) ، ولنا العفاف والظهر ؟ أم لهن الجحيم ، ولنا النعيم ؟ وهل من المستحسن أن يكن ضرائر ، أم يكن فواجر ؟

وقد شنع فيلسوف الإسلام المرحوم الشيخ محمد عبده على التعدد . وهي سقطنة شائنة ؛ رغم ما كان عليه رحمه الله تعالى من رأى قويم وفكرة صائبة .

وإذا تأملت في الشرائع الوضعية التي أبطلت تعدد الزوجات : تجدتها اضطرت إلى قبول ما هو شر منه : إذ فتحت باب التدهور الأدبي على مصراعيه . فاضطرت إلى الاعتراف بمشروعية العلاقات الآئمة بين الجلسين ، وبمشروعية الوساطة في هذه العلاقات !

فانحط الذوق الأدبي في المجتمعات : بدرجة أنهم يفخرون ويتباهون بما يوجب الخزي والعار ! بل بما يستوجبون عليه شرعاً : الجلد والرجم ، والقتل !

ثم انتهى أمر هذه الشرائع بقبول مبدأ تعدد الزوجات ، ولكن تحت ستار المخادنة البغيض !

والمخادنة هذه : زواج حقيق ، لكنه غير مسجل بعقد ، أى إن الرجل لا يتقيد حيال المرأة بأى حق من الحقوق ؛ فتكون عرضة للطرد بأولادها — فى أى وقت شاء ، وفى أى يوم أراد — دون أن يكون لها أية حقوق عند الرجل الذى قد يكون عاشرها سنين طويلة ؛ وأضاع زهرة شبابها ، وبهجة حياتها !

لكن الإسلام — الذى كانت مهمته الأولى : المحافظة على حقوق الأفراد والجماعات — شرع مبدأ تعدد الزوجات : ليحمى المرأة من عدوان الرجل الظالم . فلم يقبل أن تكون فى علاقتها معه إلا على حالة واحدة : وهى أن تكون زوجة ، لها وأولادها حقوق مقررة ؛ لا يستطيع الرجل بحال التنصل منها . وفى الوقت نفسه حرم الزنا ، والمخادنة ، وجميع ما من شأنه الحط من مستوى المرأة ، وإنزالها من مرتبة الإنسانية إلى مرتبة الحيوانية !
والآن أمامنا فيما يتعلق بالحياة الجنسية نظامان :

أحدهما يبيح تعدد الزوجات ، ويحرم ما وراء ذلك من العلاقات الآثمة ، ويضرب بيد من حديد على أيدي المتلاعبين بالأعراض ، الخائضين فى ضروب الفحشاء والفساد !
والآخر يحرم تعدد الزوجات ، ويبيح سائر العلاقات الآثمة ، ويجيز التلاعب بالأعراض ، والخوض فى ضروب الفحشاء !

طبعاً لا يوجد لإنسان عنده ذرة من عقل : يختار القسم الثانى ، ولا توجد نفس كريمة ترضى أن يكون حظ النساء منه كحظ الهائم العجوات !

وفى أى دين ، أو أى نظام أو أى عرف : تكون الخليفة أفضل من الخليفة ؟
ويقولون أيضاً : إن الرجل الذى يعقب أولاداً من زوجتين ؛ يعتبر فى نظر المجتمع آثماً ؛ لأنه يخلق العداوة بين نساؤه ، والبغضاء بين أبنائه !

فهل معنى هذا أن الرجل الذى يعقب أولاداً من امرأتين إحداهما شرعية ، والأخرى غير شرعية : لا يعتبر آثماً ولا يكون خالفاً للعداوة بين نساؤه وأبنائه ؟ !

والذى يدعو للعجب : أن يقوم أناس ينتصرون للمرأة ، ويدعون إلى عدم التعدد ،

ويصفونه بأشنع الصفات ، ويسمونه بأقبح السمات ؛ مع أن النتيجة المحتمة لما يدعون إليه :
هي انتشار الزنا ، وفشو الأمراض ، وهتك الأعراض !

وهل من الانتصار للمرأة أن يوقعوها في هذا الحضيض ؛ لتصبح زوجة مجردة من
الحقوق ؛ لرجل يستغل طبيعتها ؛ حتى إذا قبحى طلبته ، وأشبع نهمته : ألقى بها وبأولادها
إلى حيث تتكفف الناس ؛ وقت لا تجد عطفاً عليها من الناس !؟

هذا وقد ثار في الآونة الأخيرة الجدل العنيف بين بعض السيدات المشتغلات
بالكتابة ، وبعض الرجال المشتغلين بالتقنين ، وقد كاد هذا الخلاف أن يتعدى الفريقيين
المتخاصمين المتخالفين إلى كل أسرة ؛ تتسكون من رجل وامرأة ، وأصبحنا بين عشية وضحاها
نرى في كل بيت خصومة وتنافراً يتناولان ما يراه كل طرف من حق له قبل الآخر .

وهي ظاهرة خطيرة : يجب الوقوف عندها ، والحد من امتداد آثارها .

وقد زاد من الإساءة إلى المرأة وحقوقها : مساندة بعض الكتاب لها في آراء تخالف
نصوص الدين الذي ننتسب إليه ، والذي نظم علاقات المرأة والرجل تنظيمًا لا يدع مشاراً
للشك ، أو مجالاً للاجتهاد !

فالقرآن حينما يقرر في بلاغته وبساطته : « ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف » قد أثبت
أن للمرأة حقوقاً مثل ما للرجل : من الحب ، والعطف ، والرعاية ، ولين الجانب ، وحسن
المعاملة . وهي كلها صفات يجب تبادلها بين الجنسين !

كل هذا تقره المرأة ، وتلهج به دائماً في أحاديثها ؛ بل في أحاسيسها ؛ ولما كنا حين نكمل
هذه الآية بقول الحكيم العالمين « وللرجال عليهنّ درجة » نرى في وجوه بعضهنّ الامتعاض
والاشمئزاز !

كيف يكون للرجال درجة ؛ وقد خلقا من جنس واحد ، وطينة واحدة !؟

وحيثما ينص الكتاب الكريم — في صراحة لا تقبل التأويل أو التبديل — « فأنكحوا
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » ثور ثائرة — لا أقول النساء فحسب —
بل وبعض الرجال ؛ الذين يرون في تلك الممالة فضلاً لهم وفخراً ، وما هو بالفضل
ولا بالفخر ، فإن سائر المقتنين والمشرعين في شتى أنحاء المعمورة : قد أجمعوا على أنه
لا اجتهاد مع النص .

ذلك في القوانين الوضعية ؛ التي وضعها البشر المخلوقون ، الذين هم كثيراً ما يخطلون
ويجانبون الصواب !

لكن القرآن الكريم : وهو من لدن حكيم عليم ، غفور رحيم ، عالم بالخفيات
والمكنونات ؛ إذا قال حكما صريحا فصيحا : جاز في نظرهم أن يجتهدوا فيه ، وأن
يحيبوا عليه !

وهناك ما يسمونه بالتطور العلمى ، والمفاهيم الصحيحة ، واتهام بعض السادة رجال
الدين بإغلاق عقولهم دون التفهم ، وتشبثهم ببعض النصوص والأحاديث ، وضيق أفقهم !
وثالثة الأثافي : أن يكتب كاتب مرموق فى الجرائد السيارة بدوران الحكم مع العلة ،
وجوداً وعدما .

وهذا الرأى — إن وجد له سامعا — فإنه يودى حتما إلى ارتكاب كل الموبقات .
فالزنا ؛ سبب حظره وتحريمه : اختلاط الأنساب ؛ فإذا أمن اختلاط الأنساب :
حل الزنا وجاز !

والخمر ؛ سبب تحريمها : اغتيال العقول . فإذا أمن ذلك الاغتيال : حلت لنا الخمر
أيضا ؛ وقس على ذلك سائر المحرمات !

فالسرقه جائزة ، والربا جائز ، واغتياال الاعراض والاموال جائز أيضا !
وهكذا ينفذ العصاة الطغاة — من هذه القاعدة الفاسدة — إلى كل ما يبتغون ويشتهون !
والقرآن الكريم حينما يأمر الرجل بالعدل : « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » فلا يعدل .
وبعدم الميل « فلا تميلوا كل الميل » فيميل . وبالمودة والرحمة « وجعل بينكم مودة ورحمة »
فلا يواد ولا يرحم . وبإمساك الزوجة — ولو كانت مبعوضة — « فحسى أن تسكروها
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » فلا يمسكها كارها لها !

كل هذا ليس عيبا فى دين الله : يستوجب إصلاح الدين وتعديل شرائعه ! ولا نقصا
فى كتاب الله يستوجب إكماله وتصحيح أحكامه ! لأننا هو عيب فى طباع البشر ، ونقص
فى خلقهم ، وفساد فى عقولهم !

فالسرقه : حرام ؛ وجزاؤها القطع . والزنا : حرام ؛ وجزاؤه الرجم . وشرب
الخمر : حرام ؛ وجزاؤه التعزير والضرب بالنعال !

ولسكن المشرع المخلوق : عدل فى أنظمة الخالق ؛ فجعل عقوبة السرقة الإكرام فى السجن :
بالطعام والملبس والترفيه : فزادت السرقة ! وألغى عقوبة الزنا ففضا ؛ والخمر فزادت
انتشاراً ودماراً !

فأين عيب الدين إذن ؟ وأين قصور القرآن !؟

هذا : وقد قامت المحافل النسائية بجحافلها : تطلب أن يكون لها رأى في هذه التشريعات التي تتعلق بها تعلقا واضحا : أليست نصف الأمة ؟ أليست تعامل بهذه التشريعات ؟ أليس لها ما للرجل تماما ؟

وهكذا أصبحنا في حال لا يقرها نظام ، ولا يعترف بها دين !

ولا يبعد أن يتدخل مدمنوا الخمر في تشريع الخمر ! ومرتكبوا الزنا في تشريع الزنا ! والسراق في تشريع السرقة !

في حين أن الدين لا يجوز أن يستنبطه عاطل منه ، والقرآن لا يصح أن يفسره جاهل به ! إن من سن السنن ، وشرع الشرائع ، وقنن القوانين ، ومن هو أدري بالخلق من الخلق : قد أباح التعدد ، فهل بعد هذا يجوز لرجل — يؤمن بالله واليوم الآخر — أن يعترض هذه المزايا ، ويسفه تلك النظم : بدعوته لعدم التعدد ؟

هذا وقد ثار قوم على هذا النظام الدقيق ، ودعوا إلى نبذه ، وشوهوا جماله ، وغضوا من حكمته ، داعين إلى وجوب الاقتصار على واحدة ، وزعموا أن قوله تعالى « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » وقوله عز من قائل « وإن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، قيد في عدم التعدد .

وفاتهم أن قوله تعالى « فأنكحوا ما طاب لكم » هو أمر يدل على إباحة التعدد وإنشائه وقوله جل شأنه « وإن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » تنظيم لتعدد واقع فعلا ؛ بدليل قوله عز من قائل « فلا تميّلوا كل الميّل فتذروها كالمعلقة » .

وشتان بين ما سيقم الآية من أجله ، وبين ما فهمه فيها المعارضون !

ومنطق المعارضين المعاندين : منطق غريب ؛ لا يستقيم مع نظم الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وقد جاءت السنة المطهرة بالتعدد ؛ يدل على ذلك قصة غيلان الثقفي ، وما سار عليه المسلمون في العصر الأول ؛ بل في شتى العصور .

وقد تصدى لهذا الموضوع الخطير بعض العلماء — أقول بعضهم ولا أقول كلهم — لأن فيهم الثقاتة التقاة ؛ ومنهم حملة الشريعة ، وهداة الأمة !

وقد قال هذا البعض قولاً خالف فيه القرآن والدين ، وما أجمع عليه أئمة المسلمين ،
ومنهم من قارب المخالفة !

فعلى رسالتكم أيها القائلون ؛ فإله عليم بما تقولون وما تفعلون ، وما تظهرون وما تبتطنون !
فإلهنا الكتاب الكريم ؛ الذي يجب علينا أن نستقرئه ونستوضحه إذا حزننا أمر ،
أو أعوزنا دليل . ومن تبع هدى القرآن : فإن يضل أبداً ولن يشقى !

هذا وأول من جهر بهذا الرأي الفاسد : المرحوم وحيد الدين الأيوبي (١) وكتب عنه
بالجرائد السيارة ، وقد أعانني الله تعالى بالرد عليه في الجرائد التي نشر بها رأيه في حينه ،
ونظمت قصيدة في أحد ردودي عليه نشرت في عام ١٩٢٠ ميلادية أذكر منها :

أما يا وحيد أراك أكبر كاتب	قد أتقن التفريع والتأصيلا
وأراك أول باحث تعنو له	كل القرائح ؛ إذ يقيم دليلا
إن الكتاب أباح أربع نسوة (٢)	إلا لخائف جوره فيميلا (٣)
والجور غير محقق في كل من	عرفوا النبي (٤) وصدقوا التنزيلا
ماذا عرفت من الحديث ، وما الذي	أدركت حتى تحسن التأويلا ؟
بالله قل - فالمرء يعرف نفسه -	وامنح ذوى الحاجات منك المسرلا :
هل أنت مجتهد ؟ أم أنت مقلد ؟	أم لا ولا بل قد بعثت رسولا ؟
أم أنت بالبعض الموافق مؤمن	وترد ما أمسى عليك ثقيلا ؟
أم أنت تنصر فرقة ؟ أم صاحباً	للشرع قد عادى وضل سميلا ؟
مهلاً ولا تمرح ؛ فلمست بخراق	أرضاً ، ولن تصل الشواخ طولاً (٥)
لما اكتسى غيلان سربال الهدى	وأتم عشراً حين كان جهولا
قال النبي له : لتمسك أربعا	ودع البواقي ؛ فافهم التميلا
ما إن رأينا في البرية مسلماً	يدع القرآن وينصر الإنجيلا !

١ - وقد كان - رحمه الله تعالى - من أنصار اللغة العربية ومحققها .

٢ - قوله تعالى «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع» .

٣ - قوله تعالى «وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة» .

٤ - عرفوه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتخلقوا بأخلاقه الكريمة ، وتمسكوا بهديه !

٥ - في هذا البيت تضمنين لقوله تعالى «ولا تمش في الأرض مرحاً لئن تمشق الأرض لن تبلغ الجبال طولاً» .

وقد أخمته الحجة ، وأجبه الدليل ؛ فرد رداً مبتسراً : يستر به موقفه من معاني القرآن الجميلة الجميلة ؛ قال غفر الله تعالى زلتة :

ما ادعينا وما مرحنا ؛ كما عدا علينا به كاتب في لمن سماحه الله .
وترك الجدل والجدال في أمر لا يسلسكه إلا من أنار الله تعالى بصيرته ، وأنق سريره .
وقد سار على هذا المعنى كثير من المفكرين والكتاب ؛ سائرين وراء رغبة جامحة في نفوسهم ؛ ضار بين صفحا عما يريد الله تعالى من نظام كوني دقيق ، وما تحويه آياته البينات من معان سامية !

هذا وقد ذهب الأستاذ الكبير : المرحوم عبد العزيز فهمي « باشا » إلى أن قوله تعالى « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء » قولاً تهكيمياً ؛ لا يراد به الإباحة . وأن معنى قوله جل شأنه « مثنى وثلاث ورباع » إلى ما لا نهاية له من العدد ؛ من غير تحديد بأربع ، وردد في هذا المعنى وأطال .

ورغم سعة عليه — رحمة الله تعالى عليه — وتقديرى لفنه الذى انقطع له فبالغ في إتقانه ؛ فإني أقول : إن قوله هذا غير جدير بالرد ؛ إذا ما ضمنا إلى الآية : ما ورد عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وما سارت عليه صحابته رضوان الله تعالى عليهم .
فإن الخالق تعالى حين يقول « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » لا يجوز لمخلوق أن يقول ؛ إن هذا على سبيل التهمك ، وإن هذا العدد لا نهاية له يوقف عندها . خصوصاً إذا ضمنا إلى ذلك : العمل الذى سار عليه السلف الصالح ، فى أزهى عصور الإسلام : فلم يعترض معترض ، ولم ينتقد منتقد .

وليس لسكائن من كان أن يقول : لا . إن هذا نظام بال عتيق ؛ لا يتفق مع ما نحن عليه من تقدم وحضارة .

والذى يدرس نظام التعدد — على ضوء ما قدمناه ؛ بما جاء به القرآن الكريم والدين الحنيف — يجده من أدق النظم الاجتماعية وأرقاها ، وأوفاهها بحاجة المجتمع ؛ أياً كان جنسه ولونه ودينه .

وإذا قلنا بما يقوله بعضهم : من وجوب توفر الميسرة عند طالب التعدد ؛ فلم لا نقول بوجوبها أيضاً عند طالب الزواج الأول ؟

وذلك لأننا إذا حررنا من الزواج من لا يستطيع أن يقوم بأود اثنتين : وجب علينا

أن نحرم من الزواج أصلاً من لا يستطيع أن يقوم بأود واحدة . وهذا ما لا يقره عرف أو شرع أو دين !

ذلك لأن تقدير اليسر وعدمه : متروك لأهل العروس ؛ فهم وحدهم الذين يقدرون مدى استطاعة الزوج الإنفاق على ابنتهم .

والذين يتكلمون في التعدد : ينظرون إليه من زاوية بعيدة كل البعد عن واقعية موضوعه ، ويصورونه في أنفسهم : كأن طالب التعدد قد اختطف فتاة من أهلها ، وكانت محاطة بالطالبيين والراغبين !

وفاتهم أن التى تقبل الزواج من متزوج : قد فاتها طلاب الزواج من الموحدين ، أو لم يتقدم لها الكفء ؛ وأصبحت عبئاً ثقيلاً على نفسها وعلى ذويها ؛ فكم من زوج عدد زوجاته ، وكان خيراً ممن اقتصر على واحدة ؛ فجعل حياتها جحيماً ، وأبدل صفاءها شقاءً ، وأمنها خوفاً ، وودها بغضاً ، ورحمتها عذاباً !

وما يدرينا : لعل عائل الفتاة نفسه لا يستطيع أن يطعمها أو يكسوها ؛ وينادى ربه صباح مساء أن يرزقه بمن يحمل عنه هذا العبء الثقيل !

وقد جاء في الأثر : أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قد أباح التعدد مع الفقر ، وجعله سبباً من أسباب اليسر . ولعل في ذلك حكمة لا نعلمها !

وأكثر من هذا : فإن محمداً عليه الصلاة والسلام قد مات ولم يشبع أهله من خبز الشعير ؛ وعذبه من عذبه من الزوجات . فلم يكن ذلك منمتصة في حقه ، أو مذمة عرض نفسه في الوقوع فيها !

وهل من الدين في شيء ، أو من الحكمة في شيء : أن تظل بناتنا فواجر ؛ بدون إحصان ، ونساؤنا عوانس بغير تزويج ؛ في سبيل تقليد الأمم الأخرى غير المسلمة ؛ التى تقول بعدم التعدد ؟

ومن العجيب أن يقوم أناس من بيننا ، ومن أبناء جلدتنا وديننا : فيدعون إلى عكس ما يدعو إليه الدين ، بل بما تدعو إليه المسيحية والنصرانية الحائرة !

ما إن رأينا في البرية مسلماً يدع القرآن وينصر الإنجيل !

ويسوء إلى الإسلام أشد الإساءة ، ويستوجب المقت كل المقت : من يتلاعب بالفاظ القرآن الكريم ؛ لنصرة مبدل سقيم ، ورأى تافه عقيم !
(انظر قرار المؤتمر الإسلامى فى ختام مبحث تحديد النسل)

أزواج الرسول

عليه الصلاة والسلام

هذا وقد طعن كثير من سفلة البشر ، ومن أراذل المحترفين لمهنة التبشير ، في محمد عليه الصلاة والسلام : واتخذوا من زواجه مذمة يعيبونه عليها ، ومنقصة يدعونها به . وقالوا : لأنه رجل شهواني يميل إلى النساء « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » . في حين أن زواجه صلى الله تعالى عليه وسلم : يسمو بإنسانيته إلى الحد الذي لا يجاريه فيها إنسان ، ولا يباريه فيها بشر !

فلو أراد أن يضح في بيته كرائم العقائل ، ونفائس الخرائد : لكان له ما يريد من أسمي بيوت الغرب ، وأجمل الجوارى : من بنات فارس والروم ؛ اللاتي يرفلن في حلل الدمقس ، ويتحلين بأفخر الجواهر ؛ ولكان سماطه كسماط قيصر وكسرى !

كيف لا : وقد كانت تحمل إليه الأموال حتى يضيق بها مسجده ؛ فلا يقوم وفي كفه منها شيء !

وما شبع هو وآله من خبز الشعير ؛ وحاله من الغنى والجاه : ما قدمنا وما وصفنا ! ولم يضح في حريمه سوى المغتربات المكتهلات : التي مات عنها زوجها ؛ فلم تجد مأوى ، والتي عز عليها العيش في كنف غيره من الأزواج !

ولم تكن بينهن من فتاة عذراء سوى واحدة : هي عائشة ابنة رفيقه وصديقه أبي بكر الصديق « ثاني اثنين إذ هما في الغار » .

ولو أردنا أن نصف ما لاقين في كنفه من القلة وشظف العيش ؛ لما وسعنا هذا المؤلف !

وعند ما بلغت قسوة الحياة منتهها ، وجاوزت الشدة مداها : نزلت آية التخيير .

« يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للحسنات منكن أجراً عظيماً »

وقد أكرمهن الله تعالى بالتوفيق إلى حسن الاختيار ؛ واخترن دار القرار ؛ وقان جميعاً : بل نريد الله ورسوله !

فتمت لمن بذلك السعادة ، واستوجبوا الحسنى وزيادة !

وقد تزوج — عليه أفضل الصلاة وأتم السلام — بالمسيدة خديجة رضى الله تعالى عنها وطها أربعون سنة ، وهو ابن خمس وعشرين ، ولم يدفعه لزواجها سوى أنها خطبته لنفسها بنفسها ، وكانت من أعف النساء ، وأعرقهن حسباً ونسباً ! ولها — بعد ذلك — فضل المسابقة في الإسلام ؛ فلم يتقدمها إليه رجل ولا امرأة . وماتت وسنها خمس وستون سنة ؛ وكانت مدة مقامها معه صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين .

ولم يكن وفاؤه لخديجة رضى الله تعالى عنها : وفاء الممتعة والحس ؛ بل وفاء الروح والنفس : فلقد فضلها — بعد ذلك — على عائشة ؛ وهى أصغر زوجاته وأحبهن إليه !

فترى من هذا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قضى عنفوان شبابه ، وزهرة حياته مع خديجة ؛ ولم يتزوج غيرها ؛ وإنما تزوجها لخلقها ، ومعاونتها له ، ومناصرتها إياه .

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟

انظر خديجة رضى الله تعالى عنها فى آخر هذا المبحث .

وتزوج بالسيدة سودة بنت زمعة رضى الله تعالى عنها . وكانت تحت السكران ابن عمرو ؛ وكان قد أسلم قديماً وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، ومات حين قدما مكة . ولو عادت إلى أهلها — بعد موت زوجها — لعذوبها وفتنوها فى دينها ؛ فكفلها صلى الله عليه وسلم . وهو المثل الأعلى للهمة والتجدة والمروءة ؛ وكانت مسنة ، ولم يكن معه غيرها . ومكث معها خمس سنين ؛ إلى أن تزوج السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها فى السنة الأولى من الهجرة . وهى التى وهبت يومها لعائشة : لما رأتها من حبه لها ، وميله إليها .

فترى من هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج السيدة سودة إلا لإيوائها وتعويضها خيراً من زوجها الذى مات معها ؛ حريصاً على إيمانه ، فأرأبعقيدته ؛ وتألفاً لقومها وقوم زوجها الذين أسلموا ونالوا صحبته صلى الله عليه وسلم .

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟

وتزوج بالسيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما . وكلنا يعلم من هو أبو بكر الصديق الذى كان معه « ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ولم يتزوج بكر غيرها .

وإذا علمت أنه لم يتزوجها إلا وهو ابن خمس وخمسين سنة : علمت أنه لم يرد إلا مكافأة أبيها وإحكام الرابطة بينهما . وقد كانت رضى الله تعالى عنها واسطة فى نقل شتى الأحكام والتشريعات إلى سواد الأمة الإسلامية ؛ خصوصا ما يتعلق منها بالنساء !

قيل : لم ينزل عليه الوحى فى لحاف امرأة غيرها ، وهى أفتة نساء الأمة جميعا وأعلنهن : لذا قال عليه الصلاة والسلام : « خذوا شطر دينكم عن هذه الخمراء » . ولو أن بعض المحدثين تسكلم فى صحة هذا الحديث ؛ غير أنه لم يجرؤ أحد من المسلمين أن ينكر معناه ومبناه .

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟ !

وتزوج بالسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما . وكانت تحت خنيس بن حذافة ، ومات عنها من جراح أصابته بدر .

وتزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم مكافأة لها وحباً فى أبيها — الذى سره كل السرور هذا النسب الشريف — ورغبة فى إيوائها ، وتعويضها عن فقد زوجها الذى قتل فى سبيل الله ، وهو يدافع عن الله ورسوله ودينه !

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟ !

وتزوج بالسيدة زينب بنت خزيمة : وكانت تحت عبدالله بن جحش رضى الله تعالى عنهما ؛ فقتل عنها يوم أحد . فتزوجها صلى الله عليه وسلم لإيواء لها ، وجبراً لمصاها فى زوجها ، وحفظاً لدينها ؛ وقد توفيت بعد ضمها لها بشهرين .

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟ !

وتزوج بالسيدة أم سلمة : هند بنت أبي أمية . وكانت تحت ابن عمها عبد الله بن عبد الأسد . وكانا أسلمها قديما وهاجرا إلى الحبشة ، ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة . مات أبو سلمة من جرح أصابه فى غزوة أحد . فتزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم .

قيل : كانت رضى الله تعالى عنها آخر نسائه موتا . وقيل : آخرهن صفية .

ويروى عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم تصيبه

مصيبة فيسترجع ويقول : اللهم أجرني في مصيبتى واخلفنى خيراً منها : إلا أخلفه الله خيراً منها « فلما مات أبو سلمة : تذكرت قول الرسول عليه السلام . وقالت في نفسها : ومن خير من أبي سلمة ؟ رجل نال الصحبة ، وشهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ! ؟ ولكنها استرجعت وقالتها ، فأخلف الله تعالى لها رسوله عليه الصلاة والسلام ، فأوأها ، وحفظها ، وأكرمها !

فترى من هذا أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها ليعوضها خيراً من زوجها الذى فقدته ؛ وكانت كثيرة الأولاد فأوأها وآوى أولادها ، وقام بشئونها ؛ جزاء لها على هجرتها ، وإيمانها ، وثباتها ووفائها ! فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ! ؟

وتزوج بالسيدة زينب بنت جحش — وهى ابنة عمته — وكان قد زوجها لمولاه زيد ابن حارثة : ليرفع من شأن الأسير الكسير ، ويعلى من قدره ؛ ويجعله أهلاً لمصاهرة بنى هاشم ؛ مصداقاً لقوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقد تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد طلاقها من زيد بوحي من الله تعالى للتشريع « لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم » .

وكانت تقول للنساء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : زوجكن أهاليكن ، وزوجنى الله من فوق سبع سموات !

وقد زعم الزاعمون فى هذه القصة ما زعموا ، واتخذها اليهود سلاحاً يحطون به من قدر سيد بنى آدم ولا فخر . ومن أعجب العجب أن يوافقهم على ذلك بعض من ينتمى للإسلام ، وملاؤا بهذا الزيف المكفر كتب التفسير .

(انظر آية ٣٧ من سورة الاحزاب . فى تأويلها الشفاء والكفاء)

وقد كان زواجه بها : إعفاء لها من إهمال يصيبها ، بعد طلاق يذلها ؛ فيقصى عنها الخاطبين الذين لا يتقدمون مختارين إلى مطلقات الأحرار ؛ فما بالك بمطلقات الأرقاء ! فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ! ؟

وتزوج بالسيدة جويرية بنت الحرث ، وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلق ، وقد قتل كافراً يوم المريسيع ، وأخذت سبية ضمن سببايا وأسرى بنى المصطلق ، وكانت سيدة بنى المصطلق وبنت سيدهم ؛ فأعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها ، فلما سمع المسلمون بذلك : أعتقوا ما فى أيديهم من سبي بنى المصطلق ، وقالوا : هم أصهار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فأسلم بمسبها بنو المصطلق ، عن بكرة أبيهم ، وحمسن إسلامهم !

ففرى من ذلك أنه لم يتزوجها سوى رغبة في إسلام قومها . وقد أنقذها من الأسر ،
وأعتقها من الرق ، وأعزها من الذل !

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ١٩ !

وتزوج بالسيدة أم حبيبة : رملة بنت أبى سفيان ، وقيل اسمها هند وكانت تحت
عبيد الله بن جحش ، وقد هاجرا إلى الحبشة : الهجرة الثانية ، ثم تنصر زوجها ، ومات
بالحبشة ، وثبتت هى على إسلامها ، وأبت أن تنحصر معه ، وخالفته ، واختارت الإسلام عليه ؛
فأتم الله تعالى لها : الإسلام ، والهجرة ، والصحبة ، وأكل لها الشرف بزواجها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ويروى أن أباها — أبى سفيان — قدم المدينة فدخل عليها ، فلما ذهب ليجلس
على الفراش : طوته دونه ، فقال : يا بنية أرغبت بهذا الفراش عنى ، أم بى عنه ؟
فقالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت امرؤ نجس ! فقال :
لقد أصابك بعدى شر ! فقالت : بل خير ! وقد خطبها صلى الله تعالى عليه وسلم من ملك
الحبشة ؛ حين سمع بانقطاعها ، وفقد نصرائها . فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى
النساء فى هذا ١٩ !

وتزوج بالسيدة صفية بنت حبي بن أخطب : سيد بنى النضير . قتل أبوها مع بنى قريظة ،
وكانت تحت إسلام بن مشكم القرظى ؛ ثم فارقتها : فتزوجها كسنانة بن أبى الحقيق ، وقتل
عنها يوم خيبر ، وأخذت رضى الله تعالى عنها فى السبي : فخيرت بين العودة إلى قومها ،
وزواجها بالرسول : فاختارت الخيرة ! فأعتقها صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجها : رغبة فى
إسلام قومها « اليهود » وقد أسلم كثير منهم . فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء
فى هذا ١٩ !

وتزوج بالسيدة ميمونه بنت الحرث الهلالية بعد وفاة زوجها ، وهى آخر من تزوج .
وسنها رضى الله عنها زهاء خمسين سنة ، وقد تزوجها لإيواء لها ، وتألفاً لقومها : وقد أسلم
بسبب هذا الزواج كثير من قومها ، منهم — ابن أختها — سيف الإسلام خالد بن الوليد .
الذى كان حرباً عواناً على الإسلام ؛ فأصبح حرباً ضروساً على أعداء الإسلام !

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ١٩ !

ولا خلاف فى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم توفى عن تسع نسوة .

وفى ذلك يقول الشاعر :

توفى رسول الله عن تسع نسوة إليهن تعزى المسكرات وتنسب
فعائشة ، ميمونة ، وصفية وحفصة ؛ يتلوهن هند ، وزينب
جويرية ، مع رملة ، ثم سودة ثلاث وست : ذكرهن مهذب

ويتضح مما تقدم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتزوج لإحداهن إلا لأسباب
دينية ، ومقاصد أخروية ؛ لا تمت إلى الشهوة بسبب ، ولا تتصل إلى الميل للنساء بصلّة !
هذا عدا أن هناك حكمة لهذا التعدد من أجل الحكم : وهي نشر الأحكام الخاصة
بالنساء ؛ والتي لا يستطيع تبليغها الرجال : كالطهارة ، والفسل ، والحيض ، والنفاس ،
والولادة ، والرضاع : إلى غير ذلك من الأحكام التي لا يستطيع إفهامها للنساء
— على وجهها الأكل — سوى النساء !

ولا يمكن بحال أن تقوم بمهمة تبليغ الأحكام لسائر نساء المسلمين — على اختلاف
طبقاتهم في ذلك الحين — امرأة واحدة ، بل عدة نساء ، من عدة قبائل . وبذلك يتم
ما أَرادَه الله تعالى من إظهار نوره ، وبسط شرائعه !

وقد ثبت أنهم أذعن عنه صلى الله تعالى عليه وسلم : علماً ، وفضلاً ، وفقهاً !

ولو كان صلى الله عليه وسلم يريد بالتعدد ما يريد سائر الملوك والأمراء — من التمتع
واللذة ليس غير — لانتخب الحسان الأَبكار ، والكواعب الأتراب ، ولم يتجه صوب
هؤلاء الثيبات المسكتهلات !

فهل بعد هذا لمبشر — غر ، سمج ، عتل ، زنيم — أن يقول عنه صلى الله عليه وسلم :
إنه شهواني يميل إلى النساء ؟ !

في حين أن في دياناتهم ومعتقداتهم ما نره ألسنتنا عن ذكره ، وأقلامنا عن تدوينه ؛
فسبحان من هدانا لدين الحق ، دين النور ، دين الفطرة ، وأظهره على الدين كله ، ولو كره
المشركون !

وفضلاً عن ذلك : فلم تكن علاقته — عليه أفضل الصلاة وأتم السلام — بزوجاته
كعلاقة أى زوج مهما دنا ، بأى زوجة مهما علت !

فقد عاشهن السنين الطوال ؛ فلم تقلت من لسانه الكلمة النابية ؛ بل الكلمة الرقيقة !
ولم تبد على سماته النظرة القاسية ؛ بل النظرة الحانية !

وما من رجل — بالغ ما بلغ من المروءة والرفقة وسعة الصدر — إلا واستحال رضاه إلى غضب في ساعة ما ، وبدأ منه التذمر والتضجر لإزاء تصرف ما ، وبدرت منه بوادر الشر ، ونذر السوء حيال عمل ما !

ولسكن الرسول ، الذى أوتى جماع الفضائل ، وبعث ليتمم مكارم الأخلاق !
الرسول الذى أرسل من البشر ، ليعلى من أقدار البشر ، ويرفع من شأنهم ، ويسمو بغيرهم : لم يكن كذلك !

ولم يكن هذا منه — عليه الصلاة والسلام — جبناً ، أو ضعفاً ؛ بل كان كمالاً وجلالاً !
فإن الضعف الاختياري : أقوى من سائر القوى ، وأكمل من سائر الكمالات ؛ وهو خير مقياس للمعظمة الإنسانية في أجل صورها ، وأرفع مراتبها !

فإن من يقهر نفسه باختياره ؛ ليعترف بضعيف ؛ لا طاقة له باحتمال القهر ، ولا غنى له عن طلب اللين والرفق : هو الشجاع الباسل القوى القريب من الله !

بقى شيء واحد — وهو من الخطورة بمكان — وهو أن بعضهم يروى عن الطاهر المطهر صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حجب إلى من دنياكم : النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » .

وقال أيضاً : « أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع » .

وهذا كما ترى مرذول ممجوج ؛ لا يصح بحال نسبته لسيد النبيين . وإمام المتقين !
ولورويت هذه الأحاديث في سائر الصحاح — وإن تروى — وأسندت في كل المسانيد — وإن تسند — لما وسعنا إلا رفضها ، والجزم ببطلانها !
يقول الله تعالى — في معرض الذم والقدح — « زين للناس حب الشهوات من النساء »
ونحن ننسب للرسول عليه الصلاة والسلام القول بحب النساء ؛ وأنه أعطى قوة أربعين في إتيانهن !

وهل بعد هذا نلوم المبشرين في طعنهم على الرسول صلوات الله وسلامه عليه — بأنه شهوانى يميل إلى النساء — ونحن الذين نسلهم بأيدينا الحجج ، ونقيم لهم بأنفسنا البراهين ؛ على صحة زعمهم ، وصدق إفاكهم ! بل وننسب للرسول ونفتري عليه ما لم يقله ، وما هو مبرأ من أن يهجمس به ؛ فضلاً عن أن يفخر بذكره ، ويقوله على ملا من أصحابه ؛ الذين يرون فيه المثل الأعلى للأخلاق الفاضلة ، والخلال الكاملة !

الرسول الطاهر المطهر ، يجلس بين صحابته ويقول : « إني أحب النساء ، وإني أعطيت قوة أربعين في الجماع ! »

يا لها من فرية يضطرب لها القلب ؛ ويتصدع منها الحق ! فأحذرهما — أيها المنصف الحكيم — وأذع بطلانها بين من تعرف ؛ هداني الله وإياك لما فيه الرشاد والسداد !

وقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم ^(١) ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم ^(٢) ؛ وترون أنه منكم قريب ^(٣) ؛ فأنا أولاكم به . وإذا سمعتم الحديث عني تنسكرو قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم ؛ وترونه بعيداً عنكم ! فأنا أبعدكم منه » .

فمن هذا يعلم أن ما تقدم من الأحاديث وأمثالها ؛ لا يجب الأخذ بها ، ولا التعويل عليها ؛ لمخالفتها للكتاب والسنة ؛ بل وللآداب العامة أيضاً !

-
- (١) تعرفه قلوبكم : أى تطمئن إليه ، ولا تنسكرو معناه ، ولا تستوحش من نسبته إلى .
 - (٢) الأبشار : جمع بشرة ؛ وهى ظاهر جلد الإنسان .
 - (٣) قريب : أى لأفهامكم وأذواقكم وآدابكم .

أم المؤمنين خديجة

رضى الله تعالى عنها

لقد تزوج الرسول الكريم — صلوات الله تعالى وسلامه عليه — بخديجة رضى الله تعالى عنها ؛ وهى تكبره بخمسة عشر عاماً ، ومكثت معه خمسة وعشرين عاماً ؛ حتى لحقت بربها : مزودة بدعائه لها ، وحزنه عليها ، وأسفه على فقدها !
وقد بلغت معه سن الشيخوخة ؛ فلم ينقص ذلك من جمالها الذى طبع فى قلبه الشريف ، وأشربت به نفسه الكريمة !

فالجبال — فى الحقيقة — جمال الروح والنفس ؛ لا جمال الصورة والحس !
فكم من امرأة بالغة الجمال : عدا عليها سوء الخلال ؛ فقبحت منظرها ومخبراً !
وكم من غيداء وحسناة : تبتسبب بقدها دلالة واختيالاً : تبدو لزوجها : أقبح من القبح ، وأبشع من البشاعة ! لما يفلته لسانها من سوء !

لكن خديجة — رضوان الله تعالى عنها — وقد جعلها مولاها نموذجاً للزوجة الفاضلة الكاملة ، وأضفى عليها من كريم الخصال ، ورائع الخلال : ما سماها فوق كل سمو ، وعلاها فوق كل علو !

فقد ظل — صلوات الله تعالى وسلامه عليه — حافظاً لعهدا وودها ، مقدرآ لها قدرها !

فلم تحدثه نفسه الكريمة بالتزوج عليها ؛ مع قدرته عليه ، ويسر له .
وما كان ذلك إلا لسبب واحد ، أبرزه التاريخ وأوضح معالمه :
فلم تكن خديجة زوجاً له فحسب ؛ بل كانت له أمماً ، وعوناً ، وعضداً ، وسنداً !
كانت تعلم حقيقته حق العلم : فمآوته ، ونصرته ، وأكبرته جهده . وأيدت دعوته ؛ ولم تشغلها المشاغل عن القيام بواجبها حياله !

لقد كانت تشعره دائماً بالحب مع الرضا ؛ وأنه ملء قلبها وعينها ، وأنه المثل الأعلى فى كل ما يفعل ، وكل ما يدع !

وكان يكذبه الناس : فتصدقه هي ، ويبالغون في آسفيهم ؛ فنبالغ في إكرامه !
وكلما ازداد عنيت المتعنتين ، وتسكبر المتكبرين : ازدادت برأ به ، وحنواً عليه ،
وحباً ، وتقدير آله !

وبقدر ما بالغت في إكرامه : بالغ المولى سبحانه في إكرامها : حتى بلغ من علو قدرها ،
وسمى فضلها : أن نزل جبريل عليه السلام ؛ قائلاً : « يا محمد : أقرى خديجة من ربها السلام »
فأى فضل هذا ؟ وأى تكريم اختص بها المولى سبحانه خديجة : الزوج الكريم ،
للرسول الكريم : التي عاشت معه طوال حياتها : فلم تخدش سمعه ، ولا بصره ، ولا فكره :
بأى شيء — مهما صغر — ولم تخالفه في أمر من الأمور — مهما هانت تلك المخالفة —
بل كانت تبادر لما يريد ؛ من غير قول ، وإلى ما يرغب ؛ من غير إشارة !

فكانت الطائفة ، الموافقة ؛ التي لا يهمها إلا ما يهمه ، ولا يشغلها إلا ما يشغله ،
ولا يسرها إلا ما يسره !

ترى مباحج الحياة ومسراتها : في إرضائه ؛ لا في إرضاء نفسها !
كل هذا : جعل من خديجة رضى الله تعالى عنها : خير زوجة عرفها التاريخ ؛
السابق واللاحق !

واجب كل زوجة :

وهذا الذى فعلته خديجة هو فى الواقع : واجب كل زوجة مسلمة ؛ ترغب فى رضا
زوجها ، ومرضات ربه ! وترغب أن تحيا حياة سعيدة فى الدنيا والآخرة .

متى يمتنع التعدد :

بعد ذلك : كان لزاماً على الزوج الذى وهبه الله تعالى مثل هذه الزوجة : أن يجتنب
التعدد — وهو الذى أحله الله تعالى — وإلا كان كافراً بنعمة الحب ، مستهيناً بأنعم الله
تعالى عليه !

ومن أجل ذلك : منع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه — تشريعاً لأئمة —
زواج على كرم الله وجهه على فاطمة الزهراء : خير النساء ، وابنة خير النساء ، وبضعة
خير الخلق أجمعين !

متى يجوز التعدد :

أما لو انشغلت الزوجة عن زوجها بمتاع الدنيا الزائل ، وزخرتها الباطل ؛ وبشديد

الغيرة عليه : كان عليها أن تستقبل في حياتها ما يشقها ويتعسها ؛ في حدود ما رسمه الإسلام : من نظام لا يتطرق الشك إلى مزيد حكمته ، وعظيم نفعه : وهو التعدد .

والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام — بعد موت خديجة ، وبعد هجرته إلى المدينة — تزوج عديداً من فضليات المسلمات : لم تبلغ لإحداهن خديجة : في طباعها معه ، وحبها له ، واستكانتها لأوامره ، وسبقها إلى طاعته : فيما طلب ، وما لم يطلب !

تزوجهن جميعاً : لا لجمال ، ولا لمال ، ولا لجاه ، وإنما لأسباب كلها إنسانية واجتماعية ، وبوحى من ربه ، وإلهام منه .

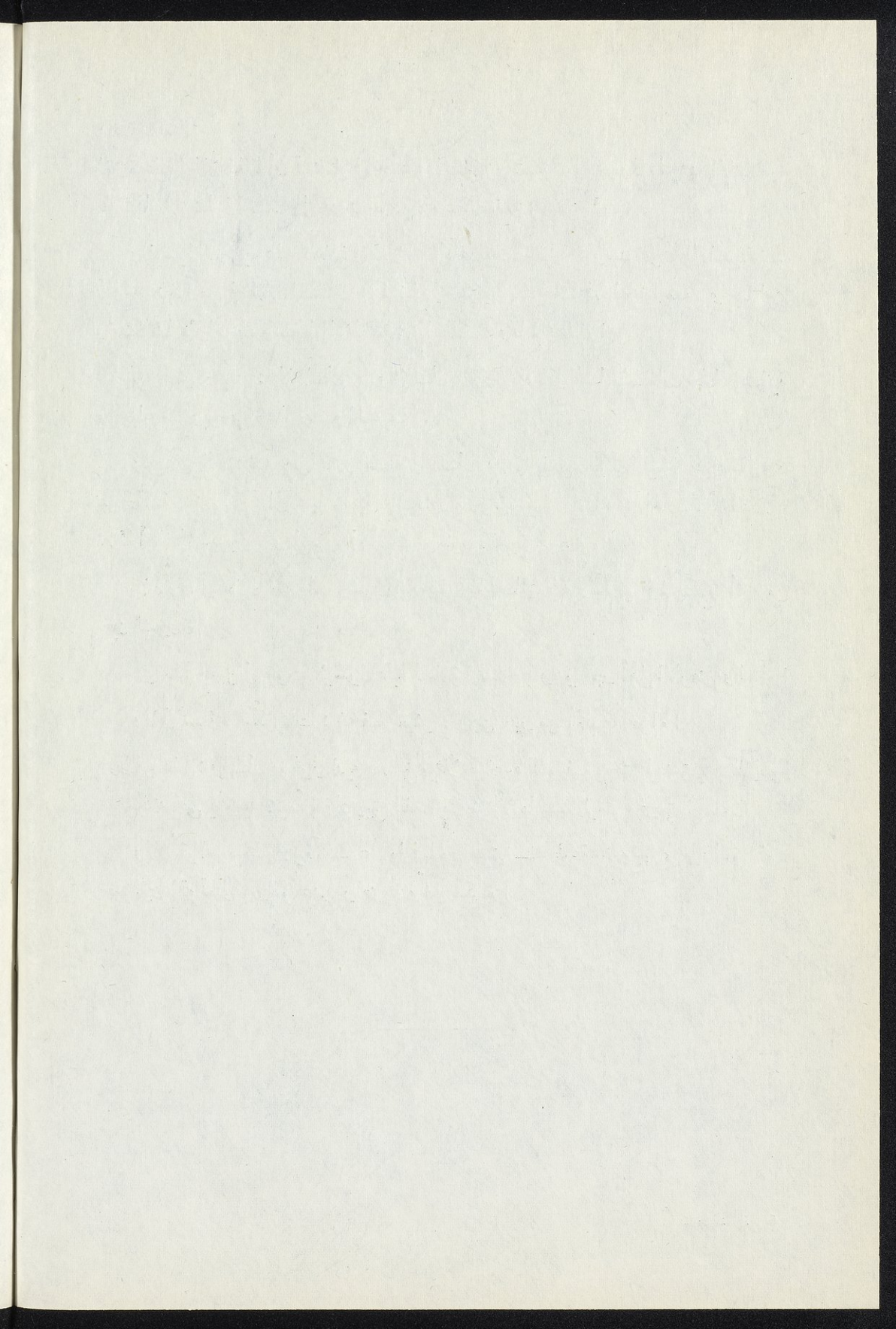
ولم يكن التعدد منه بطراً ، أو سعة في المال — كما يفعل الكثير اليوم — فقد روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ، أنها قالت : « كان يمر علينا الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال ؛ ثلاثة أهلة في شهرين ؛ وما يوقد في أبيات رسول الله نار للطعام ،

كما روى أيضاً » لقد مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ ولم يشبع أهله من خبز الشعير ،

كل هذا حصل في بيوت الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وهو خير أهل الأرض والسماء ! ولاقى نساؤه الكريمات : شظف العيش ، وهن خير من أنجبت حواء !

كل هذا : والمال موفور لديه ، والنفء يملأ مسجده الشريف ؛ حتى ليضيق به ؛ فلا يقوم من مكانه حتى يوزعه جميعاً ؛ ولا يبقى لنفسه منه : إلا ما يسد الرمق ، ويبقى الحياة !

وكان قوام حياتهن جميعاً — على ما فيها من ضيق — طاعة الزوج ، وعبادة الله ، حق لقين الله تعالى ؛ وهو عنهن راض ، ولهن مكرم !



الطلاق

يقول الله تعالى ﴿الطلاق مرتان فإمساك بيمينه أو تسريح بإحسان﴾ وقد أراد قوم — غفر الله تعالى لهم — أن يقيدوا الطلاق ، ويجعلوه بيد الحاكم لا بيد الرجل ؛ وهم بهذه القالة يتركون الإسلام ؛ ذلك الدين الكريم السمح ، ويعودون بنا إلى المسيحية التي تلزم الرجل بإمساك زوجته : كارهاً لها ، مبنضاً لعشرتها ، مبتغياً هلاكها للخلاص منها ؛ ومن عجب أن الشرائع التي أخذت بنظام منع الطلاق : تلاقى من ذلك ضيقاً وأى ضيق ؛ وعنتاً وأى عنت ؛ ولا يجد متبعو هذه الشرائع متنفساً لما هم فيه ؛ سوى الهم والكبت . فيظل الزوج يمسك زوجته العاهرة على هون ؛ وتظل الزوجة في كنف زوجها الفاجر الباغى على أذى !

فكم من مأس تمس الأعراض والانساب ، وكم من جرائم تهدم الأخلاق والمقدسات ، وكم من فساد يفشو ، وكرامات تهدر !
فقد يحصل بين الزوجين ما يسمونه فراقاً جسمانياً ؛ وهو أمر تقره الديانات المسيحية وحدها !

وقد قصدت هذه الديانات بذلك : تأديب الزوجة بالهجران لأمد قصير . ولكنها قد يطول حتى ينهى حياة أحد الزوجين ، أو كليهما !

وقد شرعت الديانة الإسلامية ذلك التأديب أيضاً : « واهجروهن في المضاجع ، وهذا الهجر : يعتبر أوسط التأديب — بين الوعظ ، والضرب — ولكن الهجر في الإسلام : لما كان يستتبعه الضرب ، فالطلاق ، فالتزوج بأخرى : كان تأديباً نافعاً ناجحاً !

أما في الديانات المسيحية ؛ فلا يعقبه شيء ما ؛ اللهم إلا أن يضرب الزوج رأسه بالحائط ، أو يشرب ماء المحيط إن شاء ! فلا هو بمستطيع تسريحها والزواج من غيرها ، ولا هي بمستطية التخلص منه ، والتزوج من غيره !

فيلح عليهما داعي الجسد ؛ الذي أودعه الله تعالى في كليهما — بل في كل كائن حي — وحينئذ يدأب الزوجان على التحلل من ذلك الضيق بأبسط الحلول الحيوانية : فليستخذ الزوج خلية مكان الخلية ؛ وليستخذ الزوجة خليلاً مكان الخليل !

وينصبغ هذا الإجراء منهما بصبغة شبه رسمية ، هي بالحلال والمباح أشبه !
فيصطحب الزوج عشيقته في المجتمعات والمنتديات ، والحفلات الرسمية ، وغير الرسمية ،
وتصطحب الزوجة عشيقها أيضاً في مثل هذه الحفلات !

وقد يلتقي الإثنان — أو الغريمان — فلا يقابل أحدهما الآخر إلا بالتحية ، والمودة ،
والإبتسام ؛ وقد تنتج من هذه العلاقات الآئمة ذرية وأبناء ؛ فلا يضيق هذا المجتمع
الراقي بهم ؛ بل تعترف بها قوانين القوم ، بغير ما تثيرب أو لوم !
وهكذا تنقلب العلاقات التي ربطها الله تعالى برباط محكم وثيق : من الود والرحمة
والروحانية ؛ إلى علائق آئمة : تعافها أحقر الحيوانات !

وتصبح هذه العلاقات — التي لا تقوم على أى أساس من الدين ، أو الآداب العامة —
وقد أقرها المجتمع ؛ لأنه يرى فيها أنها نتيجة حتمية ؛ لعلاج حالة اجتماعية !
هذا وقد سجلت المحاكم الأجنبية فضائح يندى لها الجبين خجلاً ، وتتأذى منها الأسماع
والأبصار ، وهي تجل عن الحصر :

فن ذلك : أن رفع أحد الأزواج قضية طلاق ضد زوجته التي خانته مع زوجها
السابق « مطلقها » ، خيانة زوجية تستوجب في شريعتنا الحنيفية السمحة : الرجم بصغار
الأحجار ، حتى تنقطع الأعمار !

وقد اعترفت الزوجة أمام القضاء بتلك الخيانة ؛ غير أن محامها دفع التهمة عنها بأن
الكنيسة لا تعترف بالطلاق الأول ، وبالتالي فإنها لا تعترف بزواجها الحالي ؛ وبذلك
تكون الجريمة قد وقعت في ظل سماحة الدين الذي يحرم زواجها من زوجها الحالي ؛
وبذلك يكون المجرم هو الزوج — المجنى عليه — والبريء هو الجاني بل الزاني !

فلم يسع المحكمة إلا الحكم بالبراءة ؛ ولعل الزاني الآن قد رفع دعوى مدنية ضد
الزوج يطالبه فيها بتعويض عما ناله من أذى في سمعته الأدبية ، ومكانته الاجتماعية (١) !

وهكذا سامت أخلاق الأمم غير المسلمة ، وانهارت مقوماتها ، واهت مثلها العليا ،
وانطمست فضائلها ! ولم يجدهم علمهم الضخم ، وأدهم الجهم ، ومنظرهم الفخم ! ولم يتفهم
ما هم فيه من عيش رغيد ، ونعيم أكيد ! بل صاروا بهذه الأخلاق كالرمم البالية ،
والذئاب العاوية !

(١) نشر هذا الخبر بمجريدة الجمهورية ، عدد ١٩ فبراير سنة ١٩٥٧ (العدد ١١٥٦) .

ولم يغبهم سكنى الدور والقصور ، ولبس الملابس الزاهية ، وركوب المراكب الفارحة^(١) !

وأصبح الأعرابي : العارى الجسم ، الخافى القدم ، وليد الصحراء ، قاطن الكوخ . أصبح يزهو بأخلاقه ، ويتيه بغيرته ، ويستمسك بحميته ، ويعجب بزوجته : التى حفظته فى حضوره وغيبته ! وهو إن أحبها : أمسكها وأكرمها ، وإن كرهها : طلقها ولم يظلمها ! ونظام الطلاق فى الإسلام : هو الواحة التى يستظل بها كل من لفحته سموم الشحاء ، وأحرقه يحومم البغضاء ! فمالنا به وبتقييده ؟ !

وكيف يمسك إنسان إنسانة وهو لها كاره ، ولعيشها قال ؟
ولم لا يسرحها ؛ فتزوج بمن يحبها وتحبه ، ويحرص على راحتها وتحرص على راحته ؟
ألم يقل خالق الإنسان للإنسان « الطلاق مرتان فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان » .
والطلاق ضرورة اجتماعية : ينادى بها كل من له قلب يفقه به !

فتعالى الله الذى جعل لعباده من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا ؛ وأعد لخلقه — وهو أدرى بهم من أنفسهم — ما يصالح دنياهم وآخرتهم !
وإلا فخبرونى بربكم : كيف يكون الحال والمآل ؛ إذا قال الحاكم للزوج : أمسك عليك زوجك . وقال الزوج : لا ، لا . هى طالق ، هى طالق ، هى طالق ! فهل تبين منه كما يقول الله تعالى « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » أم يمسكها على هون رغماً عنه ؛ كما أمره الحاكم ؟ !

وقد قال تعالى — بعد ذكر الطلاق — « وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون . . . ولا تتخذوا آيات الله هزواً » .

وكيف نعطى القاضى حقاً : منحه الله تعالى للزوج وحده دون غيره ؛ فقد سمي الزوج « الذى بيده عقدة النكاح » فكيف يعطى الحاكم عقدة النكاح ؛ بعد سلبها من أعظامها الله تعالى له فى محكم كتابه ، وصرح آياته ؟ !

وقد شرع الله تعالى للطلاق الحكمة عالية ، وأغراض سامية ، ومقاصد شريفة : لأنه متنفس الزوجين ؛ إذا ساءت العشرة ، ودامت المضارة ، وتكدت صفو الحياة ، وانقطعت الألفة ، ورتت حبال المودة ، ودب البغض فى قلب كليهما ، واشتد الجدل ، واحتدم الخصام ، وهبت أعاصير الشقاق ، وطلب الوفاق فلا وفاق !

(١) الفاره من الدواب : الحسن المنظر ، الجيد السير .

وما المخلص للزوجين : إذا كانت طباعهما متنافرة ، وميولهما متباينة ، أو كان أحدهما فاسد الخلق ، لثيم الطبع ، سيء العشرة ، بذىء اللسان ! ؟
أليس الطلاق : هو الداء الناجع لتلك الآلام ، الشافي من هذه الأسقام ؟
ولولاه لعم الفساد ، واختل الأمن ، واغتيلت الأرواح ، وفشا الانتحار ، وهجرت الأوطان ، وذاع الفسق والفجور !

وقد جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » .
وجاء عن عمر رضى الله تعالى عنه ؛ أنه قال لرجل طلق امرأته : لم طلقها ؟ قال :
لا أحبها . فقال : أكل البيوت بنيت على الحب ؟ أين الرعاية والذمم ! ؟
وقد أوجب الإسلام على الزوج ملاينة زوجته ، وملاطفتها ، وموادعتها ، ومعاشرتها بالمعروف ، وأخذها بالحسنى : حتى تطيب نفسها ، ويطمئن قلبها !

كما دعاه أيضاً إلى الصبر على ما يكره منها ؛ وضمن له الخير الكثير ، والثواب العظيم !
قال تعالى : « فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .
فمن اضطر بعد كل هذا إلى ولوج باب الطلاق : فليفعل غير آثم ، ولا باغ ؛ وليتبع حدود الله تعالى « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .
ومن عجب : أن تقوم زمرة من مشغفي هذه الأمة فينعمون على الطلاق ، بزعمهم أن سائر العقود : لا يفسخ من طرف واحد ؛ دون إرادة الطرف الآخر . وهي كلمة حق أريد بها باطل !

إذ أن عقد الزواج انبنى على إرادة الزوجين للزواج ، وعلى أن يكون الزوج وحده بيده عقدة النكاح ، وأن له وحده حرية فسخ العقد .

وهذا كلام لا يقبل الجدل ، ولا يختلف فيه اثنان من ذوى العقول !
إن أوامر هذا الدين : لا تقبل تأويلاً ولا تحسيناً ؛ فقد أكل الله تعالى لنا ديننا ، وأتم نعمته علينا ، ورضى لنا الإسلام ديناً « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، فإما الطلاق كما عرفه الله تعالى في دينه الذي ارتضى لنا ، ونظمه رسوله عليه الصلاة والسلام : وإما نصرانية صريحة بأبائها الدين ؛ ولا يقرها المسلمون « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

« ينظر قرار المؤتمر الإسلامى فى ختام مبحث تحديد النسل »

تحديد النسل

أو تنظيمه

يقول الله تعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار » فهو وحده — جل شأنه — الذى يتولى زيادة المواليد ونقصانها ، وحاجة الكون لها ؛ وقد خلقه وأبدعه ، وأعد له ما يصلحه وينفعه ! « وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » واختياره وإرادته ! فكم من أنثى لا تلد : مع توافر الأسباب ، والرغبة فى الإنجاب . وكم من أخرى تلد فوق ما ولدت ، وتنجب فوق ما أنجبت !

وقد تكون الأولى فى سعة ، والأخرى فى ضعة ؛ ولكنه تقدير الحكيم العليم : الذى يعلم ما لا نعلم ، ويرى ما لا نرى « وكل شيء عنده بمقدار » .

ولأنه لمن الكفر الصراح : أن نعتقد أن الله تعالى الذى لا تحمل أنثى ولا تضع إلا بعلمه . يتركهم — بعد وضعهم — وشأنهم للجوع والضياع « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ، وقال جل شأنه : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم » وقال عز وجل : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » .

والدليل فى الآية الأولى : التخلص من الأولاد ؛ لفقر واقع فعلا « من إملاق » ، وفى الآية الثانية ؛ التخلص منهم ؛ لفقر لم يقع ، ولكنه متوقع « خشية إملاق » .

وفى الآيتين : نهى عن القتل — والقتل : ليس بما يدعو إليه القائلون بتحديد النسل — وقد رد كثير منهم على من يحتج بهاتين الآيتين .

ولكن غاب عنهم أن فيها نهى عن القتل ؛ مع إيراد السبب الدافع إليه . والقتل فى ذاته : قد يكون مرغوباً فيه : إذا كان دفاعاً عن العرض أو النفس . فوجب أن ينظر إلى السبب الدافع إليه ؛ وهو خشية الإملاق .

ومن المعلوم أن خشية الإملاق — كما سنبين فى هذا المبحث — إنكار لقدرة الله تعالى ، وإظهاره جل شأنه بمظهر العجز عن كفاية ما خلق !

في حين أن من بين عبيده من يتكفل بإطعام بعض مخلوقاته ، ويقوم بكفالاته خير قيام .
وليس من المعقول أن يكون من بين مخلوقات الله تعالى : من هو أقدر من خالقه ،
وأصدق منه وعداً !

وقد كانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم من الفقر ، أو خشية الفقر ؛ وهو كفر لا يعدله
كفر ! وينطوي تحت جرم قتل الأولاد : جرم هو منه أقبح وأشنع ، وهو جرم الكفر
بالله ، وعدم الثقة بوعده الحق ، وقوله الصادق !

وقد قام في هذا الزمان أناس ينادون بتحديد النسل : بحجة عدم كفاية المواد الغذائية ،
والمواد الأولية ؛ لحاجة سكان الكرة الأرضية ؛ الذين هم في ازدياد مستمر .

ولما أعوزهم الدليل ، وضاق بهم السبيل ؛ قالوا : إنهم لا يعنون تحديد النسل
— بمنطوقه ومفهومه — بل يعنون تنظيمه ؛ وغاب عنهم أن التنظيم الذي يريدونه ؛
هو التحديد الذي يعدلون عنه — بل وأشد منه قبحاً ومنكراً — وذلك لأن التنظيم
— في النسل بالذات — يقتضى سد الحاجة بالمنع أو الإعطاء ؛ فإذا ما افترضنا جدلاً :
حاجة الكون إلى التزايد ؛ فهل في مكنة مخلوق أن يتحكم في هذا النقص بالزيادة ؟ !

والإجابة على هذا السؤال لا تقتضى سوى النقي المطلق !

وهنا لا يكون أمامنا سوى التنظيم بالمنع والنقصان ! وهو التحديد الذي تهربوا منه !
فإذا ما تمسبنا معهم في تحديدهم أو تنظيمهم ، وقلنا : هلم نحدد أو ننظم ؛ وعندنا من
الأولاد ما يكفيننا ويرضينا . ولكننا قبل أن نحدد ؛ نريد ضماناً من إنسان قادر على تنفيذ
ضمانه ! وهذا الضمان لا يعدو : حفظ ما وهبنا الله تعالى واراضيئناه وقنعنا به !

فدلوني أيها المحددون المنظمون على هذا الضامن ؛ ولن تجدوه ، بل ولن تتوهموه !
ولكنه القادر المتعال : هو الذى يحفظ ، وهو الذى يزيد ، وهو الذى ينقص « وكل
شئ عنده بمقدار » .

وفوق كل ذلك فإن السعى إلى تحديد النسل أو تنظيمه : ما هو إلا مظهر من مظاهر
معاندة الخالق سبحانه وتعالى ؛ التي أصبحت — في العصر الحديث — ديدناً لمن يدعون
العلم ؛ وما هم بعالمين !

وكثيراً ما تجمح النفس إلى عناد خالقها فيما يختاره ويقضيه ؛ وتسكبه كثيراً من أفعاله
الحكيمة المبرمة ! وتفتر عما رسمه خلقيته ، وشأه لعباده !

فقد عاندوه في الرزق : فأفقرهم . وعاندوه في العلم : فجهلهم . وما هم يعاندونه في القلة : فكثرهم !

ولا أدل على ذلك من إحصائيات المواليد : فإنك لا تدخل أحد مستشفيات الولادة ؛ إلا وتجد السكثرة الغالبة من الولادات قد ولدت توأمين أو ما يزيد ! وجاءت بذلك الأخبار تترى في شتى البلاد التي قالت بالتحديد أو دعت إليه . حتى بلغ ما تلده المرأة في المرة الواحدة : خمسة توأم !

ولإليك نبأ من هذه الأنباء : فقد نشرت جريدة الأخبار في عددها الصادر في يوم ١٠ يناير عام ١٩٦٨ أن امرأة ولدت أربعة توأم ؛ رغم تناولها حبوب منع الحمل ! وجاء في جريدة الأهرام في عددها الصادر في ١٩ يناير سنة ١٩٧٣ مايل ؛ تحت عنوان :

تلد للمرة التاسعة رغم حبوب منع الحمل

وضعت سيدة استرالية ، في الثلاثين من عمرها : مولودها التاسع ؛ رغم محاولاتها المستميتة لتحديد النسل .

وقد استخدمت في محاولاتها سبعة عشر نوعاً مختلفاً من حبوب منع الحمل . كما أجرت جراحة للعقم .

فثبت من هذا : أن الله تعالى « بالغ أمره » وأنه جل شأنه جعل « لسك شيء قدراً » وهنا تذكرت قول الرؤف الرحيم ، ذى القلب السليم ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه « ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة : إلا وهي كائنة » !

وقد ثبت أن حبوب منع الحمل هذه : ضارة متلفة ؛ فما أجددنا بالإيمان بالله والرجوع إليه ، والتسليم لما أَرادَه بعباده . وقدره لهم !

هذا وقد أذاعت وكالات الأنباء رأى طبيب من كبار أطباء إنجلترا في حبوب منع الحمل وأضرارها البالغة . وأن في إحدى المستشفيات بلندن ٢٧٥ سيدة مصابات بتجلط في الشرايين ؛ نتيجة لتناولهن حبوب منع الحمل .

كما صرح طبيب مصري ، من كبار أطباء الولادة « الدكتور إبراهيم مجدى » . صرح بالأضرار المترتبة عن تعاطي حبوب منع الحمل ، وأنها تسببت في التأثير على الغدة النخامية ، والغدة الدرقية ، والغدة فوق الكلى .

وهذه الغدد لها أثر فعال في تنظيم نمو الطفل وتنظيم التحام العظام .
وأن تعاطى هذه الحبوب : مجازفة بحياة النساء ١
وأن من الواجب الامتناع عن تعاطى حبوب منع الحمل بكافة أنواعها ؛ حتى لا تقع
في مضاعفاتها في المستقبل .

وأن من أضرار هذه الحبوب التي ثبتت فعلا :

- ١ - أضرار بالغة في الجهاز الهضمي ، وغثيان ، وعسر هضم ، وقيء .
- ٢ - اختلال في وظيفة الطمث ، ونزف في مدة الحيض ، وانقطاعه لمدة طويلة .
- ٣ - ظهور شعر حول الذقن ١
- ٤ - تزايد نسبة الشحم في الجسم ، وتسبب سممة مفرطة .
- ٥ - اختلال في تفاعل الأملاح في الجسم ؛ مما يحدث عنه احتباس ورشح مائي في الجسم .
- ٦ - تسبب في تشويه الأطفال الذين يولدون (١) .

وهذا في الواقع قل من كثير . فهل بعد ذلك ننادى ونلح بوجوب تعميم تعاطى هذه
الحبوب الفتاكة : خشية حدوث انفجار سكاني ، تعقبه مجاعة ؟ ١

والقول بما يقولونه هو إحدى الكبر ؛ إذ كيف نقحم أنفسنا في أمور ليس لنا عليها
سلطان ، وما لنا بها طاقة ، ولا يحيط بها علم . أليس الله معنا ، يسمعنا ويرانا . ويعلم
سرنا ونجوانا ، ومقبلنا ومثوانا ؟

أليس هو الذى يرزق الطير في وكناتها ، والوحش في فلواتها ؛ فتغدوا خصاصاً
وتروح بطاناً ؟ ١

أليس الله تعالى هو القائل « وخلق كل شيء فقدره تقديراً ، وهو جل شأنه القائل
« وبارك فيها وقدر فيها أقواتها » .

هل بعد هذا القول - الصادر عن يملك الخلق والتقدير ، والإبقاء ، والإفناء - يجوز
لمخلوق حقير - لا يملك قوت يومه ، بل لا يملك من قطمير - هل يجوز لمخلوق عاجز

(١) من حديث صحفى نشرته الجرائد فى حينه .

أن يجابه مولاه الغنى القوي ؛ ويقول له : لقد أسأت التقدير ، وأخطأت التدبير ؛ فلم تعد
الاقوات التي أخرجتها : كافية للناس التي خلقتها !
وهو تعالت قدرته القائل : « وما كنا عن الخلق غافلين » .

وهل يجوز إذا قال أحد ملوك العصر : لقد برت لشعبى قوته ، وأمنته غائلة
الجوع والعوز .

هل يستطيع أن يقوم في وجهه أحد رعاياه : فيجابهه بالمخالفة : ويسفه رأيه ، ويطعن
في تنظيمه ؟

فإذا كان هذا لا يجوز ؛ مع تيقن خطأ الملك وفساد تدبيره ؛ فكيف يجوز أن نجابه
بقولنا هذا الحكيم العليم ، القوي الغنى ، خالق المخلوقات ، ومخرج الاقوات ، ومبدع
الكائنات ، ومدبر الأرض والسموات ؟ !

ومن العجيب أنهم يقولون : إن العالم عرضة لانفجار سكاني عنيف . يجارون بهذا
القول أما قد تقدمتنا في الحضارة . ولكن هذه الأمم قالت ما قالت : كفراً ؛ لا احتياجاً .
بدليل أن أغلب هذه الأمم تجود بفائض محصولاتها على الأمم المتخلفة ، وتلجأ في كثير
من الأحيان إلى إلقاء بعض محاصيلها في البحار .

وأين الانفجار السكاني المزعوم ، وها هي أرض الله واسعة : لم يعمر المعمرون منها
معشارها .

وكيف يجوز لنا أن ندارى عجزنا وجهلنا : بهذه الحججة الواهنة الواهية !

وهل الانفجار السكاني المتوقع : سيكون في غفلة من الله تعالى !

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » !

وهذه الأمم نفسها حين تقول بتحديد النسل : تحاول إيجاد نسل عن طريق أمابيب
الاختبار ؛ زاعمين أنهم سيتحكمون في هيئة الجنين وفي صفاته وأخلاقه ؛ بمعنى أنهم
سيتفوقون بما يصنعونه عما صنعه الله !

وثالثة الأثافي ، وداهية الدواهي ؛ أن يقوم وزير مسئول ؛ فينادى بتعقيم الرجال للحد

من النسل !

والتعقيم هذا : هو بالخصاء أشبه . وهو رغم أنه تغيير لخلق الله : ملعون من يأتيه ،

أو يأمر به ؛ بنص الحديث الشريف .

وهو بدعوته هذه : يتابع إحدى الدول المتأخرة ؛ غير الإسلامية ؛ وقد عمقت خمسة ملايين من شعبها ، وهي في سبيل تعقيم عشرات الملايين من شعبها البائس ؛ الذي أهلكته الكوليرا والطواعين ؛ وهو لا يزال يرزح في موجبات المرض والهلاك ؛ لعدم تقدم حاكميه !

وهذه النزعة : إن صح أن تفشو في البلاد الغربية — التي تميزت بالإلحاد والمادية — فلا يجوز بحال أن تفشو وأن تشيع في البلاد الإسلامية — التي تميزت بالإيمان والروحانية —

وهل يجوز أن نؤمن بأن الله هو « الخلاق » ، ولا نؤمن بأنه تعالى هو « الرزاق » ؟
ويقول جل شأنه في معرض الامتنان والإحسان : « واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم ، فبان لنا من ذلك : أن القلة ذلة . والكثرة عزة !

فكيف نستبدل العزة بالذلة ، والكثرة بالقلة ؟ !

ويقول الله تعالى « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، فنقول : دعونا من الحفدة والبنين ؛ فلسنا لهم بمطيقين !

ويقول أيضاً « وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين ، فنقول : وأين هذه المعاش ؟ وأين هذا الرزق ؟

قال الله تعالى « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ، فأتبع الخلق بالرزق !

وقال أيضاً « نحن نرزقهم وإياكم ... نحن نرزقكم وإياهم ... كلوا واشربوا من رزق الله ... إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، .

فإذا ما استمعنا إلى هذه الآيات البينات ؛ قلنا بلسان الحال والمقال : أين الرزق ، وأين الرزاق ؟ لقد كسد الحال ، وكثر العيال !

فإذا ما استمع مؤمن إلى هذا الهراء ؛ الذي هو أشبه بالكفر ، بل هو والكفر سواء ! قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد حق علينا الهوان ، وبؤنا بالخسران !

والقول الفصل في هذا : ما أشار إليه الذكر الحكيم بقوله « أفأرأيتم ما تمنون ؟ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، ؟

وأعقب ذلك بقوله « أفأرأيتم ما تحرثون ؟ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، ؟

وأعقبه أيضاً بقوله : « أفأرأيتم الماء الذي تشربون ؟ أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن

المنزلون ، ؟

كل هذا يقوله الخالق الرازق ، الحكيم العليم ؛ فما يزيدنا إلا كفرآ وعناداً : من أين نرزق ؟ من أين نأكل ؟ من أين نطعم أبناءنا وحفدتنا ؟ وهذا نزع من الشيطان ؛ نعوذ بالله تعالى منه « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً » !

لقد تكفل الله بأرزاقنا ورزق أبنائنا وحفدتنا ودوابنا « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها . . . وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم » .
ولله در الخليل بن أحمد حيث يقول :

إن الذى شق فى ضامن للرزق حتى يتوفانى

وقال آخر :

وما بجاهدة الإنسان موصلة رزقاً ، ولا دعة الإنسان تقطعه !
قد وزع الله بين الناس رزقهم لم يخلق الله من خلق يضيعه !
وهل يملك الإنسان رزق نفسه : إذا حدد النسل ، أو منع النسل منعاً باتاً ؟ « إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون » .

وماذا يكون الحال ونحن فى عهد القنابل الذرية والهيدروجينية التى تطيح إحداها بمئات الألوف من البشر ؟ بل ويزعمون أنها ستنتهى العالم فى لحظة « ساء ما يحكمون »
ماذا يكون حال الأمم التى حرمت التعدد ، وحددت النسل ؟

وها هى الأمم التى اكنوت بعمار الحرب تشكو كثرة النساء ، وقلة الرجال والعيال .
« وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . . . إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون » .

وقال تعالى : « ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه فى قرار مكين ، إلى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القادرون ، ويل يومئذ للكاذبين » .

وما دعا إلى هذه النزعة : سوى الجحود والكفود ، وسوء الظن بالله تعالى ، وتوهم أن أبواب فضل الله قد أغلقت ! وحاشاها أن تغلق فى وجه مؤمن أو كافر ، طائع أو فاجر !
وقد جاء عن رسول الإسلام ؛ عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ؛ حين سئل عن العزل :
« إنه الوأد الحقى » .

وحين سأله بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ وقد عزلوا مع بعض السبايا (١) :
غضب غضباً شديداً ؛ وقال : « وإنكم لتفعلون ، وإنكم لتفعلون ، وإنكم لتفعلون ؟ ! ما من
نسمة كائنة إلى يوم القيامة : إلا هي كائنة » وفي رواية : « لا تفعلوا فإنما هو القدر » (٢) .
هذا وقد وردت بعض أحاديث تؤيد جواز العزل ، وأن الرسول صلوات الله تعالى
وسلامه لم ينه عنه . وهي أحاديث يجب تأويلها لمعارضتها لما قدمناه من الأحاديث
الصحيحة ، وإذا لم تؤول : فيكون لها مقاصد أخرى سامية ؛ ليس من بينها تحديد النسل !
وكيف يكون في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ما يدعو إلى تحديد النسل ؟
وهم حينذاك قلة ؛ تنوشهم الأعداء من كل جانب ؟ !

كيف يدعو إلى العزل من يقول بصريح القول ؛ في شق الأحاديث « تزوجوا الودود
الولد ؛ فإنى مكأثر بكم » « تناكحوا تناسلوا تكثروا ؛ فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » .
كيف نرغب عن سنة الرسول — في الكثرة وهي عزة — وندعو إلى القلة ؛ وهي ذلة ؟
وإذا كان مناط بحثها : خشية الكثرة في النسل للفاقة ؛ فإنه فوق ما قدمنا ونقدم من
فساد ذلك الرأي ؛ فكم قد رأينا إنساناً لم يرزق من زينة الحياة الدنيا سوى ولد واحد ؛
وهو — مع فيض رزقه ، وسعة عيشه — لم يستطع أن يتم تعليم هذا الولد الواحد ،
أو يتم تثقيفه وتهذيبه !

وبعد ذلك يتركه عائلة على المجتمع : جاهلاً ، خاملاً عاجزاً .

وكم قد رأينا رجلاً — تحيط به الفاقة ، ويحتاجه الفقر المدقع — وقد وهبه الله
تعالى من البنين والبنات عشرات ؛ فإذا بهم بمعونة من الله : زينة كل مجتمع ، وبهجة كل
محمل : علماً ، وأدباً ، وفضلاً ، ونبلاً !

والذي قلناه : هو الواقع الثابت ، الذي يحس به كل من حدد ، ومن لم يحدد ، ومن
قال بالتحديد ، أو لم يقل به .

هذا وقد أورد الغزالي — رضى الله تعالى عنه — في كتابه الإحياء : ما فهم منه بعضهم
جواز العزل ؛ وبالتالي جواز التحديد . وهو فهم خاطيء ؛ كما سترى :

(١) ولا يخفى أن السبايا : ليس لهن ما للزوجات الحرائر من الحقوق .

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه : صفحة ٤٠ من جزء ١٠ طبع المطبعة المصرية .

قال الغزالي : ومن الآداب ألا يعزل ؛ بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث ، وهو الرحم
« فما من نسمة قدر الله كونها : ألا وهي كائنة ، هكذا قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الرجل ليجامع أهله ؛ فيكتب له بجماعه : أجر ولد
ذكر ؛ قاتل في سبيل الله فقتل .

وأشار الغزالي إلى أن ترك النكاح أصلاً ، أو ترك الجماع بعد النكاح ، أو ترك الإنزال
بعد الإيلاج : ترك للأفضل ، ولو أنه لم يصل إلى حد التحريم . لأنه لم يبلغ بعد حد جنائية
الإجهاض والوآد ؛ لأنها جنائية على موجود حاصل .

وأول مراتب الوجود : وقوع النطفة في الرحم ، واختلاطها بماء المرأة ، واستعدادها
لقبول الحياة .

وأن إفساد ذلك : جنائية قطعاً ، فإذا صارت النطفة علقه ومضمغة : كانت الجنائية أخش ،
فإذا نفخ فيها الروح ؛ واستوت الخلقة : ازدادت الجنائية تفاحشاً !

وجميع ما تقدم : لا يتم إلا بترتيب ، وتنظيم ، وتقدير إلهي ؛ يسير وفقاً لحاجة الكون
المساسة إليه ؛ فليس لسكان من كان أن يقول : إن حاجة الكون قبل الآن كانت ماسة ،
والآن غير ماسة ، بل يجب على السلك التسليم بأن الحكمة فيما تم ، والخير فيما كان !
وإذا لم يكن طلب التحديد مكروهاً من حيث إنه دفع لوجود الولد ؛ فلا شك أنه
مكروه مردول : للنية الباعثة عليه !

إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة ؛ تشوبها من كل جانب شوائب الشرك الخفي !

وكل ما قاله الغزالي في هذا الباب لا يؤدي إلى ما ذهب إليه المفكرون عليه .

بل قصر قوله على أن أسباب العزل خمسة :

١ — في السراري — ٢ — استبقاء جمال المرأة — ٣ — الخوف من كثرة الحرج ؛

بسبب كثرة الأولاد ، والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب .

وعقب الغزالي على هذا السبب الأخير بقوله :

نعم إن السكال والفضل : في التوكل من الثقة بضمأن الله تعالى ؛ حيث قال : « وما من دابة

في الأرض إلا على الله رزقها ، ولا جرم : فيه سقوط عن ذروة السكال ، وترك الأفضل .

وإمكن النظر في العواقب ، وحفظ المال وادخاره — مع كونه مناقضاً للتوكل —
لا نقول : لأنه منهي عنه .

والغزالي بقوله هذا : يعترف اعترافاً صريحاً : بأن هذا العمل مناقض للتوكل .

ومقى كان العمل مناقضاً للتوكل : فهو حرام قطعاً !

قال تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، أى كافيه .

فن أعرض عن التوكل : فقد تخلى عن كفاية الله تعالى له !

وقال جل شأنه : « إن الله يحب المتوكلين » ومقى كان الله تعالى يحب المتوكلين ؛ فإنه
يكره من عداهم .

ومن ترك التوكل : فقد فارق حب الله تعالى له !

وقال عز من قائل : « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . . . إن كنتم آمتم بالله فعليهم
توكلوا إن كنتم مسلمين » .

فظهر لنا أن عدم التوكل : قرين عدم الإيمان بالله !

وذكر الغزالي في السبب الرابع : الخوف من الأولاد الإناث ؛ لما يعتقد في تزويجهن
من المرأة . وقد ذم الغزالي هذا السبب .

وقد ذكر في السبب الخامس : امتناع المرأة لتعززها ، ومبالغتها في النظافة ، والتحرز
من الطلق والنفاس ، والرضاع .

وذم الغزالي ذلك . وقال : لأنه كان من عادة نساء الخوارج . وأنها نية فاسدة تخالف
السنة !

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « من ترك النكاح مخافة العيال ؛ فليس منا (ثلاثاً) » .

« انتهى قول الغزالي »

ومن أعجب العجب : أن يتصدى بعض العلماء لهذه المسألة ، ويولفون فيها كتباً تحمل
الخطأ المزرى ، والجهل المردى ! ويتأخفون فيها عن هذه الأفكار الفاسدة السكاسدة ،
وهم بما يكتبون : لم يريدوا وجه الله ؛ بل هو ضرب من ضروب النفاق . عافانا الله بمنه
عن ارتكابه ، أو الأخذ في أسبابه !

وقد قلت في التحديد أو التنظيم :

وكيف نحد الخير يأتي به الرب^(١) ١٩
وكيف يكون البغض : بمعته الحب^(٢) ١٩
فيا ويلكم : أين المطاعم والشرب ١٩
جمال؟ وأين النخل ، والتين والقضب^(٣) ١٩
ويا ويلكم : أين الفواكه والاب^(٤) ١٩
فشح كما قلتم ، وزاد بنا السكرب ا
ويا تيكم الرمان ، والتمر ، والحب ا
من الرزق : قد جادت به الشمس والسحب ا
تريدون من شعب أحاط به الرعب ا
خربكم سلم ، وسلمكم حرب ا
إذا أمحت أرض ، وإن قهرت سحب ا
إذا ما تخلى عنكم الأكل والشرب ا
إذا ما خبت نار الكريم ؛ ولن تخبو ا
فقربكم بعد ، وبمدكم قرب ا
فقير ، ونحن الأغنياء ، قبح الذنب^(٥) ا
أبيتم ؛ وإن قيل : الجحيم ؛ فلن تأبوا ا

يقولون : تحديد : فقلنا خرافة
فقالوه : تنظيم . فقلنا : سفاهة
فقالوا بأن الرب : قد شح رزقه ا
وأين عنا قيد الكروم ؛ التي لها
وأين جنان الزيت ؛ يشفي قلوبكم ؟
جنيتهم على الدنيا بباطل زعمكم
فعودوا إلى المولى : يهود عليكم
وتؤتيكم جناته : كل معجب
فيا ويلكم : ماذا دهاكم ، وما الذي
تعادون رباً قادراً ، ومهيماً ا
كفرتم برزق الله ؛ هل ترزقوننا ؟
وهل تخلفون الزرع ، أو تبتئونه
وهل توفدون النار ، أو تصنعونها
فروحوا ؛ كما راح الدجى بظلامه
لقد قلتم قول اليهود : إلهنا
إذا قيل : هذى جنة الخلد فادخلوا

ومن أعجب العجب ؛ أن أجهزة الإعلام في مصر : تديع تباعاً وجوب تحديد النسل ؛
وقد ساقوا دليلاً لذلك أن المعركة التي نحن فيها : تحتاج لهذا النظام ؛

فانظر معي وتعجب مما يقول :

المعركة التي تحتاج إلى الرجال : في حاجة إلى نقصان هؤلاء الرجال ا
ولن أزيد على ذلك .

(١) من نافلة القول ؛ أن نقول : إن الكثرة خير ، والقلة شر ! فقد أوشحنا ذلك بهذا المبحث
بما لا يدع زيادة لمستزيد .

(٢) كما أن الحب : لا يبعث على البغض ؛ كذلك البغض : لا يبعث على الحب ا

(٣) القضب : جمع قضبة ؛ وهي الرطبة ؛ وهو كل ما اقتضب - اقتطع - فأكل طرياً . وهو أيضاً :
ما يسقط من أعلى العيدان ؛ لتمام نضجه .

(٤) الأب : مرعى الدواب ؛ من أبيه : إذا أمّه ؛ أى قصده .

(٥) قال تعالى « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » وذلك قول اليهود ؛ فاتلهم الله ا

يقول المولى : الخالق ، البصير ، الخبير : « واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم ،
ونحن نقول : واذكروا إذ كنتم كثيرا فقللكم .

أعيشونا يا ذوى العقول والألباب ؛ فقد جانب القوم الصواب ، وأبوا الاستماع إلى نصيح
البارىء الوهاب !

فيا بؤس من ينحرف عن نصيح ربه ، ويتبع نصيح شيطانه !

هذا شأننا في زمن الحرب والقتال ، والتعرض لتقصان الرجال !

أما عدونا العنيد اللدود : فيتمسول الرجال من شتى الممالك والأقطار ؛ ليستطيع
الوقوف أمام هذا الجيش الجرار ؛ الذى وهبنا إياه المولى سبحانه : نعمة ؛ فحسبناه نعمة !
ونحاول جاهدين صرفها عنا ، وحرماننا منها !

ومن ضمن ما قالوه في هذه الحملة التليفزيونية : قول الله تعالى « إنا كل شيء خلقناه بقدر »
لذا يلزمنا أن نحدد النسل ونقدر الأبناء أيضاً .

وكأنهم فهموا من تقدير المولى سبحانه : أنه أخطأ التقدير ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله !
هذا : ويقول الحق سبحانه وتعالى : « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور
أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً » ومن المعلوم أن الهبة لا تكون
إلا فى الخير المحض ؛ فلا يجوز أن يقال : وهبه الله تعالى داهية ، أو أنعم عليه برزية !
بل كل ما ساقه الله تعالى فى كتابه الكريم بمعنى الهبة : هو خير محض ، وسعادة بينة :
« الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق ووهبنا له إسحق ويعقوب
ووهبنا له من رحمتنا ووهبنا له يحيى لأهب لك غلاماً زكياً رب هب لى
من لدنك ذرية طيبة ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وهب لنا
من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

أما الجعل : فقد يكون خيراً ، وقد يكون شراً ؛ فشال الخير قوله تعالى : « وهو الذى
جعلكم خلائف الأرض وجعلكم ملوكاً وآناكم مالم يؤت أحدآ من العالمين جعلنا
الأنهار تجري من تحتهم وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس » .

ومثال الشر قوله جل شأنه : « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة فجعلهم
كعصف ما كول » .

فقوله تعالى : « ويجعل من يشاء عقيماً » يقتضى الشر المحض ؛ إذ لا يوجد إنسان

يستكمل سداده وعقله : يتمنى أن يكون عقيماً مقطوع العقب ! اللهم إلا إن كان من أنصار التحديد !

فكيف نحاول جاهدين — بإرادتنا المحضنة — أن نمنع هبة الله تعالى لعباده ، أو أن نوقفها ونحصد من ثمراتها ؛ وقد أحاطها المولى الكريم الحكيم بسياج منيع يحصد من نقصها أو فشلها . قال جل من خالق ، وعز من رازق : « أفرأيتم ما تمنون أن تتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، وقد ثبت علمياً : أن عدد الجراثيم المنغرية — التي يتكون منها الجنين — يبلغ مئات الملايين ؛ في حين أن الجنين يتولد من واحدة ليس غير من هذه الجراثيم ! فانظر يا رعاك الله وهداك ، إلى حكمة مولاك وتدبيره في إيجاد الكائنات !

ونحن الآن في عصر العلم — الذي يزعمون أنه أزهى العصور — نريد بجهلنا وحمقنا أن نهدم ما بناه الله تعالى من تدبير الكائنات والمخلوقات ؛ وهيات هيات ، أن نحارب جبار الأرض والسموات !

فيا أيها الناس : اتقوا ربكم الذي خلقكم ، وتكفل بأرزاقكم ، ولا تقحموا أنفسكم فيما ليس لكم به علم ، وادعوا الله تعالى : ألا يكل أحدكم إلى نفسه فيهلك ، واذكروه كما هداكم ورزقكم من الطيبات ، وفضلكم على العالمين !

ولا تفيضوا في هذا الحديث « ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ، إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم » !

وتذكروا قول الحكيم العليم ، الرؤف الرحيم « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » !
ونريد أن نهمس في آذان من يقولون بالتحديد : أن ما يبغثه الله تعالى من نسل ؛ لم يكن مستهلكاً فحسب ؛ بل هو منتج قبل أن يكون مستهلكاً !

واسكن قلة الكياسة ، وسوء السياسة : حدث بكم إلى الدعوة لما تدعون إليه !

وسنختم هذا المبحث بما بدأناه به : من قول البارئ المصور ، الحكيم العليم : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار » وقوله جل شأنه « وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » .

فإذا كان المولى جل شأنه يعلم — علم لإنشاء وإرادة — ما تحمله كل أنثى في أرحامها ،

وما تنقصه تلك الأرحام مما تحمله : بسقوط الأجنة ، وما تزيده : من تعدد الأجنة في الرحم الواحد ؛ بولادة واحدة « التوائم » .

وجميع ذلك : مقدر بمقدار معلوم لديه ؛ تفهني الضرورة ، وتستلزمه الحاجة والمصلحة وعمله جل شأنه — كما لا يخفى — سابق لأمره !

إذا كان ذلك كذلك : فمن أعلم من الله ؟ ومن أخبر منه بحاجة مخلوقاته وكائناته ؟

والقول بتحديد النسل : هو منتهى سوء الظن بالله ، واليأس من قدرته وعدلته !

قرار المؤتمر الإسلامي

هذا وقد كفانا مؤتمر « مجمع البحوث الإسلامية » المنعقد في القاهرة عام ١٩٦٥ والذي جمع أكثر من مائتي عالم من مختلف الدول ، والذين يمثلون شتى المذاهب والطوائف الإسلامية : كفانا مؤنة الدفاع عن هذه العقائد « تعدد الزوجات . حرية الطلاق . تحديد النسل » التي تعتبر جميعها — كما بينا — من صميم الدين ، ومن صلب العقيدة الإسلامية ! فنلا عما ينبغي ؛ من توضيحتها وتحديدتها : من أضرار اجتماعية ! فقد كفانا مؤنة الدفاع عنها ؛ وقد دافع الله تعالى عنها في محكم كتابه ، ودافع عن المدافعين عنها ؛ لاتصافهم بالإيمان : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا » .

وقد كان قرار المؤتمر كافياً شافياً ، لم يدع كلمة لقائل ، أو مغمراً لغامر !

وهاكم نص هذا القرار السليم ، الحكيم ؛ بعنوان « شؤون الأسرة والشباب » :

أولاً — بشأن تعدد الزوجات :

يقرر المؤتمر أن « تعدد الزوجات » مباح بصريح نصوص القرآن الكريم ؛ بالقيود الواردة فيه ، وأن ممارسة هذا الحق : متروكة إلى تقدير الزوج ، ولا يحتاج في ذلك إلى إذن القاضي .

ثانياً — بشأن الطلاق :

يقرر المؤتمر أن « الطلاق » مباح في حدود ما جاءت به الشريعة الإسلامية ، وأن طلاق الزوج يقع دون حاجة إلى إذن القاضي .

ثالثاً — بشأن تحديد النسل :

يقرر المؤتمر ما يلي :

١ — أن الإسلام رغب في زيادة النسل وتكثيره ؛ لأن كثرة النسل : تقوى الأمة الإسلامية : اجتماعياً ، واقتصادياً ، وحرابياً ، وتزيدها عزة ومنعة !

٢ — إذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل : فللزوجين أن يتصرفا طبقاً لما تقتضيه الضرورة ؛ وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير الفرد ودينه (١) .

٣ — لا يصح شرعاً وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأى وجه من الوجوه !

٤ — أن الإجهاض بعمد تحديد النسل ، أو استعمال الوسائل التي تؤدي إلى العقم لهذا الغرض : أمر لا تجوز ممارسته شرعاً للزوجين ، أو لغيرهما (٢) .

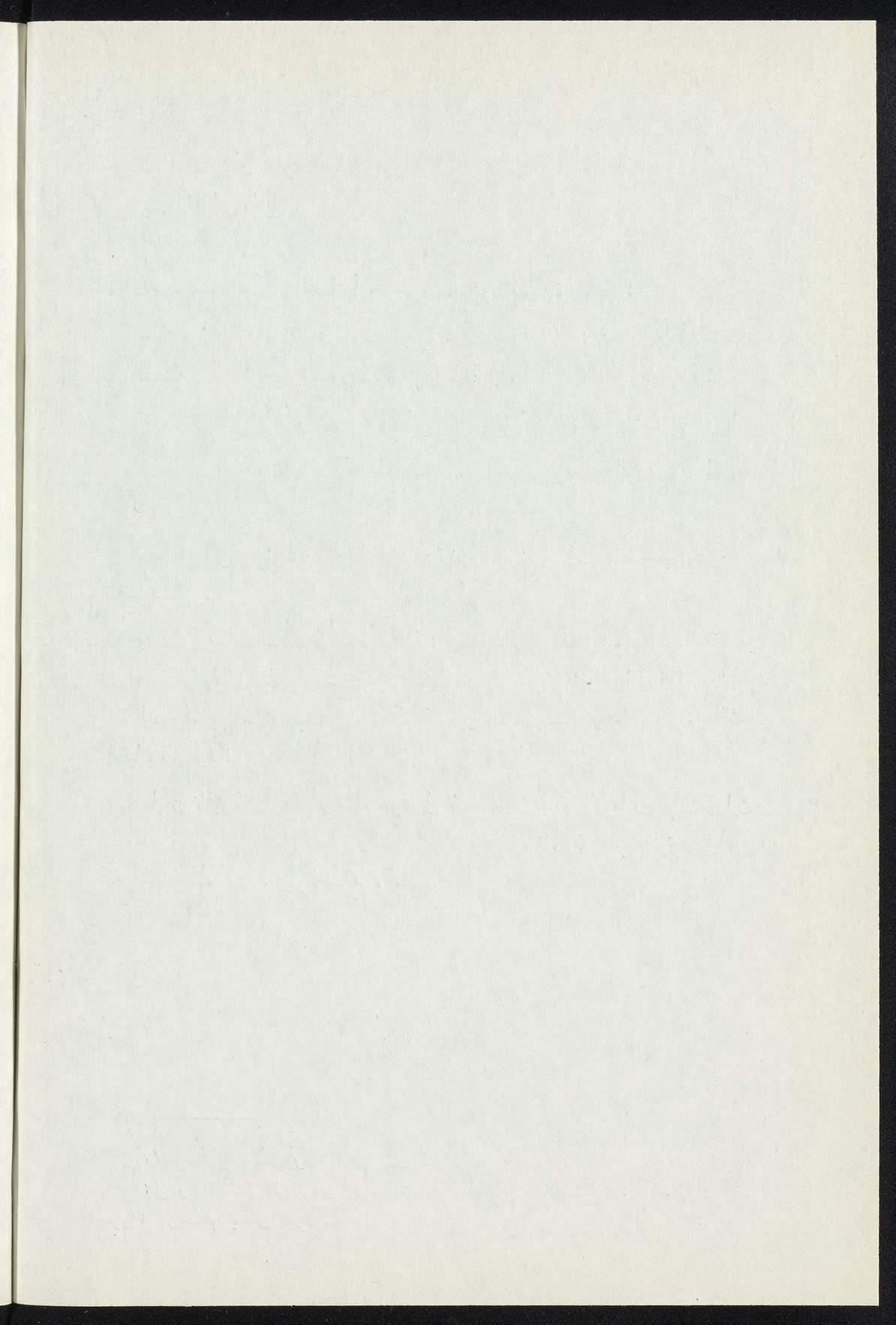
ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين ، وتقديم المعونة لهم في كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل .

والذي نريد أن نسجله في هذه الكلمة : أن الفضل كل الفضل للسادة العلماء القادمين من شتى الأقطار الإسلامية ؛ فقد راعوا دينهم وربهم ، ولم يخرجوا في آرائهم عما حددته الملة السمحاء ؛ فاستوجبوا رضا أمتهم — خير الأمم — ورضا ربهم : مالك خيرى الدنيا والآخرة !

أما من نفاق في رأيه ، أو اتبع هوى في نفسه : فلا يسعني إلا ما وسع عيسى ابن مريم — عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام — حيث قال : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » .

(١) وقد أريد بالضرورة : المرض الذى يضر الحامل في بدنها .

(٢) أريد بالوسائل التي تؤدي إلى العقم : ما يصنعونه من حبوب طبية مانعة للحمل ؛ وقد ثبت ضررها ، وفتكها بأناس كثيرين .



التبرج والسفور

يقول الله تعالى ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين^(١) عليهن من جلابيبهن^(٢)﴾ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً^(٣) .

وهو أمر صريح لسائر نساء المؤمنين وبناتهم بإرخاء الجلابيب ليستر سائر الجسم حتى لا تعرف المرأة : من هي ؟ وما شكلها ؟ وما هيئتها ؟ وليفرق ذلك الستر بينها وبين الإماء ، وليبتعد عن إذايتها المرتاب ، ومن في قلبه مرض !

والمراد أيضاً في هذه الآية : إدناء الجلابيب والخمار ؛ وهو من باب ذكر البعض وإرادة الكل ؛ وإلا فالجلابيب بغير خمار لا يمنع من التعرف بالمرأة ؛ إذ أن وجهها ينم عليها : يؤيد هذا المعنى قوله عز من قائل ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن^(٤)﴾ .

ويقول الله تعالى أيضاً ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم^(٥)﴾ وكيف يتوفر غض البصر ؛ وقد انتشرت النساء في الطرقات والمستدييات ؛ كاسيات عاريات ؛ لا يحجبهن عن الأنظار سوى غلالة من هواء ؛ تزيد في فتنتهن ، والإغراء بهن ! وكما أن تحريم الخمر : لا يبيح صنعها ، فكذلك تحريم النظر لا يبيح الخث عليه ، والتشويق إليه . وكيف يغض البصر غاض ؛ وقد امتلأت الطرق والحوايت بالكاشفات عن النحور ، والثدى والصدور ؛ اللهم إلا إذا أغض عينيه ، وأسلم نفسه وروحه للمتادير ؛ فتتلقفه الأحداث ، ويحيط به الموت وأسبابه من كل جانب ! وهذا أمر يخرج عن حد التكليف المعقول المقبول ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ .

ولئنم ذلك لا يقع على هؤلاء السافرات المتبرجات وحدهن ؛ وإنما إنمهم واقع على أشباه الرجال الذين يكفلونهن ، ويدبرون هذه الفتنة وهذا الفجور !

(١) « يدنين » أى يرخين . يقال : أدنيت الستر ؛ إذا أرخيته .

(٢) الجلابيب : ثوب يستر جميع البدن ، وقيل هو القناع .

(٣) آية ٥٩ من سورة الأحزاب .

(٤) آية ٣١ من سورة النور . و « الخمار » غطاء الرأس . و « الجيب » فتحة الثوب مما يلي العنق .

(٥) آية ٣٠ من سورة النور .

وليس معنى هذا أنا نبيح للرجال النظر للأجنبيات ، ما دمن سافرات ؛ بل إن غض
البصر من أزم اللوازم ، وأفرض الفرائض ؛ بل هو في مقدمة الحلال الكاملة ، والأخلاق
الفاضلة ؛ وكيف يسلم الإنسان الكامل نفسه للشيطان ، ويدع بصره يرديه في العصيان ؟
وما أحسن قول الشاعر :

لواحظنا تجنى ؛ ولا علم عندها وأنفسنا مأخوذة بالجرائر^(١)
ولم أر أغبي من نفوس عفائف تصدق أخبار العيون الفواجر
ومن كانت الأجفان حُرَّاس قلبه أذنَّ على أحشائه بالفواقر^(٢)

ولا عبرة بما قاله لقيف من الشعراء الماجنين ؛ الذين لا يعباون بحلال ، أو حرام .
بل يسيرون وفق هواهم ؛ مخالفين بذلك مولاهم !
فمن ذلك قول بعضهم :

إني امرؤ مولع بالحسن أتبعه لاحظ لي فيه : إلا لذة النظر !
وقول الآخر :

أمتع في روض المحاسن مقلق وأمنع نفسى أن تنال المحرما
وأى إثم أكبر من اتباع الحسن ، والتلذذ بالنظر ؟ وقد نهى ربك عن النظر أصلا !
وأى محرم أخش من إمتاع ناظريه ، في روض المحاسن ؛ التي حرمها الله تعالى عليه !
ومن المعلوم أن النظر : بريد الزنا !
ومثال هؤلاء — الذين أحلوا ما حرم الله — كمثل من يسرق الفاكهة من بستان غيره ؛
ويقول : ما أذنها وما أحلاها ! وما أبهى منظرها وطعمها^(٣) ؟

وكأنهم لا يرون حراماً ؛ دون الزنا ؛ لأنه في نظرهم هو العمل المادى المؤاخذ عليه !
في حين أن الله تعالى نهى عن النظر : نهياً صريحاً فصيحاً : « قل للمؤمنين يغضوا من
أبصارهم . . . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » .

(١) الجرائر : جمع جريرة ؛ وهي الذنب والجناية .

(٢) الفواقر : جمع فاقرة ؛ وهي الداهية العظيمة فال تعالى « ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل
بها فاقرة » أى تأكدت بأن تنزل بها داهية .

(٣) وجه المقابلة : أت السرقة حرام ، والنظر حرام أيضاً ، والسرقة اعتداء على ملك الغير .
والنظر اعتداء على ملك الغير أيضاً ؛ بل اعتداء على حرمة الله !

وقال أحد الحكماء : من طامع طرفه : تابع حفته ا

وقيل : إن الشافعي رضى الله تعالى عنه — وقد كان يلقي دروساً على طلابه بالمسجد الحرام — أتاه شاب فأعطاه ورقة ؛ فقرأها الشافعي وكتب عليها رداً لما جاء بها .
وافصرف الفتى ؛ فقال بعض الطلبة : لا بد أنها فتوى ، نستفيد بالاطلاع عليها . فأسرع بعضهم وراءه ، وقال له : بالله عليك أرنا ما أفتاك به الإمام .

فأراهم ورقة مكتوب فيها :

سل المفتي المسكي : هل في تراور وضمة مشتاق الفؤاد جناح ؟

وقد كتب الشافعي بخطه — على الورقة — إجابة لهذا السؤال :

أقول : معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أكباد بهن جراح ا

فمجبوا من ذلك أشد العجب ؛ وحق لهم أن يعجبوا :

كيف يبيح الشافعي ذلك ؟ وهو من هو : علما وفقها ، ودينا وتقى ا

فرجعوا للشافعي رضى الله تعالى عنه متسائلين :

لقد رأيناك يا سيدي منذ قليل تكتب فتوى لسائل ؛ فما هي ؟

قال : سألتني هل يجوز له تقبيل امرأته وضمها في الصيام ؟ فأجبتة بالإيجاب .

فقالوا له : ولكن لم يصرح لك بذلك .

فقال : قد فهمت سؤاله ، وأجبتة عليه .

فعادوا إلى الفتى ، فسألوه : ماذا كان يقصد من سؤاله ؟

فقال : سألت الإمام عن جواز تقبيل امرأتى وضمها في الصيام ؛ فأجابني .

فازداد عجبهم لمزيد فهم الشافعي ، وغزير فضله ونباهته ا

لكن البغاة الطغاة : شوهوا جمال هذه القصة وجلالها ، وما احتوت عليه من فقه ،

وكمال ، وأدب ؛ فرووا البيتين :

سل المفتي المسكي : هل في تراور وضمة مشتاق الفؤاد جناح ؟

فقال : معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أكباد بهن جراح ؟

في حين أنهم بذلك قد حرفوا المعنى والمبنى : وأساءوا للدين والأخلاق ا

هذا وقد حد الله تعالى حدوداً يجب على المؤمنات ألا يتجاوزنها ؛ فقال عز وجل ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو أبناءهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن ، أو بنى إخوانهن ، أو بنى أخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت أيمانهن : أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ^(١) 》 .

وهذه الأوصاف التي أبيع للمرأة عدم إخفاء زينتها عليهم ؛ لا يصح تجاوزهم إلى غيرهم ؛ فكيف يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تتعدى حدوده ، وتنتهك محارمه ، وتبدي زينتها ، وما وراء زينتها لرجال حرم الله تعالى عليهم النظر إليها ؟ !

هذا وقد أخذ كثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في تأويل هذه الآيات مأخذ الشدة — لعلمهم أن النساء يتغالين فيما يسمح لهن به ، ويتجاوزن الحدود المرسومة لهن — فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : تستتر المرأة حتى لا يظهر منها سوى عين واحدة تبصر بها . وقال الحسن رضي الله تعالى عنه : تغطي نصف وجهها .

وقد ذهبوا إلى وجوب ستر الوجه والكفين أيضاً ، وأن إبداءهما رخصة عند الخطبة فحسب .

ودليلهم على هذا قول الحكيم العليم « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابدين ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » .
ولا أدل على التعرف على الإنسان من وجهه ؛ فوجب ستر وجه المرأة تطبيقاً لهذه الآية الكريمة .

ودخل نسوة على أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها ؛ وعليهن ثياب رفاق ^(٢) فقالت عائشة : « إن كنتم مؤمنات ؛ فليس هذا بلباس المؤمنات ؛ وإن كنتم غير مؤمنات فتمتنعن به ،

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم في وصف ما نراه الآن : « نساء كاسيات عاريات ^(٣) ،

(١) آية ٣١ من سورة النور .

(٢) أين تلك الثياب الرفاق مما يلبسه نساء اليوم من ثياب لا تحجب ماتحتها ؛ حتى ان المرأة لتبدو كأنها عريانة ؛ لا يحجبها حاجب ، ولا يسترها ساتر !

(٣) أى مكسوات اسماً ، وعرايا فعلاً . أو المقصود : عرايا من الإيمان .

مائلات ميميلات^(١) ، رموسهن مثل أسنمة البخت^(٢) ؛ لا يدخلن الجنة ولا يجدن ربحها ، !
وهل بعد نفي الإيمان ، والحرمان من الجنان ؛ يقوم إنسان فيدعو لهذا السفور ،
بل هذا الفجور ! ؟

وقد قام أناس — غفر الله تعالى لهم — بالدعوة إلى السفور والحض عليه ، وذم
الحجاب ؛ الذي مدحه الله تعالى ورسوله وأمرأ به ؛ وقد قال قائلهم :

آخر المسلمين عن أمم الأَرَضِ حجاب تشقى به المسلمات^(٣)

وقد جعلت هذا البيت مطالعاً لقصيدة قلتها من عشرات السنين — قبل أن يستفحل
الأمر ، ويجل الخطب — وقد نسيت أكثرها ؛ ولا بأس من تدوين ما تذكرته منها ،
عسى أن يتعظ به متعظ ، أو يستفيد به مستفيد :

آخر المسلمين عن أمم الأَرَضِ حجاب تشقى به المسلمات^(٤)
بئس ما يدعى فلاسفة العصر من أن السفور فيه الحياة
وهو حق إذ أن أسلافنا الأعراب من فرط من يحبون ما تورا^(٥)
يا خليلي حدث عن الشرق قدماً حين كانت تعظم المعجزات
حين كان القرآن يرجى ويخشى والقوانين : آيه البيئات
حين كان الحديث يتلى ولا ير ويه إلا ذوو العقول الثقات

* * *

إننا في الزمان نلقي^(٦) أناساً في التوضي علومهم قاصرات^(٧)

-
- (١) أي يتاملن في مشيتهن ، ويميلن إليهن من في قلبه صرض من الرجال .
(٢) أسنمة : جمع سنام . والبخت : نوع من الإبل . (٣) من قول شاعر العراق جميل صديق الزهاوى .
(٤) صدرت بهذا البيت قصيدتي لأرد على هذا الرأي الفاسد الذي يتعارض مع صريح القرآن
الكريم ؛ فإخر المسلمين سوى السفور ، الذي أفسد الدين وسود الصدور ، أدركنا الله تعالى بطقه !
وهذه الأبيات من قصيدة طويلة . قلتها في صباى . وما تذكرت منها سوى ما أوردته .
(٥) تهكم بهذا الرأي الفاسد ، والقول المذموم ؛ ولإشارة إلى من مات من أعفاء العرب حزناً وجوى
على عدم نيل من أحب . هذا في حين أن السفور المعقوت قد خلط الخابل بالنايل ، وجعل الحبيب متمكناً
من حبيته ، والعاشق مالكا لعشيقته ؛ فانقشم بذلك الأسمى والجوى ، وحل مكانهما القرب والنجوى ،
فعم بذلك الشر والبلوى ، واستوجبوا الحرمان والنيران ، وغضب الرحمن الديان ؛ فلاحول ولا قوة إلا بالله !
(٦) نلني : نجد .
(٧) أي لا يتقنون الوضوء ؛ وهو أبسط الأشياء في الشريعة والفقه ، أو لا يقومون به أصلاً لتركهم
الصلاة ، وهذا شأن الكثيرين ممن دعوا إلى السفور .

وهما بعد يدعون علوماً أنكرتها عصورنا الخاليات (١)
ليت شعري ماذا يريدون منا وصنوف الأذى بنا محذقات

* * *

بنت مصر هاتي سفورك واغشى كل ناد ولتمل منك الجهات (٢)
عرفي نفسك الغداة وطوفى لا تفتك الأسواق والحانات (٣)
ثم أمي مجالس القوم وادعيهم إلى حيث لا تمل الدعاة
علنا بالسفور نبقى حصوناً شائحات بها ترد العداة
وعسانا نرى البرايا سجوداً لابن مصر وقد عداه السبات (٤)
ولعمري لقد بكى الدين حزناً حين قال الخطيب يا سيدات (٥)

وحقاً إن الدين ليسكي حزناً حين تختلط الفتيات بالفتيان ، ولا تعرف الحرائر من
القيان (٦) ، وتكشف المرأة — للأجانب عنها والذين ليسوا بمحرم لها — عن جسمها
ومفاتها بغير خجل ولا حياء ولا مروءة ! فليُنظر ذلك وليعتبر به من كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد !

وإن دعاة تحوير المرأة : لم يدعوا إليه إلا لعلمهم أنها لا تفهم لتحررها معنى سوى
الانطلاق على سجيبتها في الطرقات والمحافل العامة : شبه عارية تزرع الفتنة في قلوب الرجال .
أو لتعمل مضيئة تسلي الراكبين بالفتنة الملقنة ، والبسمة المطفية . أو موظفة تندس بين
صفوف الموظفين ؛ تنوشها العيون ؛ الزائغة التي تحمق في جوع ونهم إلى وجهها الذي جملة
الشیطان ، وقدها المياس الذي يذكي في نفوسهم عوامل الشر والجريمة !

-
- (١) وذلك بما يزعمونه من أن السفور لا يقتضى مع الدين ، على ما فيه من تبرج وزينة يأبها الدين
القوم ، والخلق الكريم !
(٢) هو أمر قصد به الاستهزاء والتهكم .
(٣) وقد تنالت النساء في زماننا هذا حتى أصبحت لا يتورعن من غشيان الأسواق والحانات ، بل
والمرافق أيضاً ؛ بغير وازع من دين ، أو رادع من خلق !
(٤) عداه السبات : تركه النوم والتحول .
(٥) أمي عند ما غشيت النساء المحائل والمنتديات ، وقال الخطباء : سيداتي سادتي .
(٦) القيان : جمع قينة ، وهى الأمة البيضاء . وقد غلب على المغنيات والراقصات التبدلات .

وهي في كل ذلك تراحم الرجال في المركبات العامة ، والمجالس ، والطرق : تراحمهم بالصدر والعجز ؛ وهي غير مبالية بما تفعله تلك المزاحمة من رواج لأسواق الشيطان !

فإن تم تعلمها ، وحسن إدراكها وفهمها ، ووقفت بينهم خطيبة : فإنما تقف لتستعرض مفاتن جسمها ؛ أكثر مما تستعرض مواهب عقلها ، ولتستدر الإعجاب بجهاها ؛ أكثر مما تستدره برأيها وفكرها .

وخير عندها ألف مرة أن يقال لها : كم أنت جميلة فاتنة ؛ من أن يقال لها : كم أنت ذكية فاهمة !

فإن شذت واحدة منهن — لكرم أصلها وطيب عنصرها — فاحتفظت لنفسها بدينها وكرامتها ، ولزوجها بجهاها ورشاقتها ، ولولدها بجها وحنانها : حسبت أسيرة في المنزل ، لا تمد يدها لخدمة المجتمع ، وقال شاعرهم :

آخر المسلمين عن أمم الأر ض حجاب تشقى به المسلمات

هذا في حين أن المرأة المسلمة قد استطاعت في شق العصور : أن تؤدي أجل الخدمات لأممتها ومجتمعها ؛ دون أن تغمز بعين ، أو تميمس بقدم ، أو تكشف عن صدر أو نحر ؛ فتدخل النار بما فعلت ، وتدخل معها من شغل بها من ضعاف الدين والعزم !

والمرأة المسلمة حقاً واجباتها أكثر : فمن واجباتها ألا يقعدهما ظلام الجهل في مكانها ؛ بل عليها أن تسعى إلى العلم النافع ؛ فإذا ما تعلمت لا يظفى بها الغرور العلمي عن مكانها الذي أعده الله تعالى لها ؛ إذ أنها عماد الأسرة في التربية والتوجيه ، وهي عماد الأمة في النصيح لله تعالى ولرسوله !

وهي أيضاً ظهيرة الرجل في الكفاح من أجل الدين والوطن : ثابتة في الصف الثاني ؛ لتكون دائماً ردة آل للرجل ، ومرجعاً له : إن استشارها نصحته ، وإن رجع إليها من عنت العمل ومشاق الكفاح : غمرته بالحب والحنان ، ووطأت له كنف المنزل ؛ فوجد فيه الهدوء لنفسه ، والراحة لبدنه !

وهذا هو الإطار العام الذي يجب أن تبدو فيه المرأة المسلمة ؛ فإن زادت على ذلك : فقد أحاط بدينها الغموض ، وتلقفتها الشكوك والريب ، ولا كتبها الألسن والأعين !

ما من شك أن هناك فلتات في التاريخ لا يقام لها وزن ؛ لأنها تبلغ حد الندرة التي لا حكم لها .

ولم يفض من قدر أم المؤمنين عائشة رضوان الله تعالى عليها أنها لم تكن سافرة ؛
فح الحجاب الشديد الذى كان يلفها — من رأسها إلى قدميها — فقد كانت من أعلم الناس ،
وعنها أخذ المسلمون نصف دينهم !

وقد كان من فضل النساء فى العصر الأول : أن يلجأ إليها أفاضل العلماء ، ويقولوا :
تعالوا بنا نستشير وقاية ؛ فعصابتها خير من عمائمنا (١) !

وانظر إلى وصية إحداهن لابنتها عند ما زفت إلى زوجها : لا يأكل خير ما فى بيتك
غير زوجك ، ولا تسكنى عن رأسك فى بيت غيرك : ولو كان صاحبه فى العراق !
فما أحلى هذا الخلق ، وما أبدع هذا النصيح !

هذا وقد بلغت حرية كثير من الغربيين شأواً بعيداً ، متحررين من سائر قيود الأخلاق
والفضيلة ، ضاربين بالسكرامات والأعراض عرض الحائط ؛ غاعين البصر عن كل ما يحد
من المذات ، أو يضيق أفق الإباحية المطلقة ، والتمتع الجنى الخالص من القيود !

فقد ضبط أحد الأزواج — فى منزل الزوجية — زوجته عارية كيوم ولدتها أمها ،
بصحبة رجل أجنبي عنها عرياناً أيضاً كيوم ولدت أمه : فرفع أمره للقضاء طالباً الطلاق
من زوجته البغى التى استهانت بكرامته وكرامة منزل الزوجية المقدس ! غير أن القضاء-
الإنجليزى فى إحدى محاكم لندن لم يرقه تصرف ذلك الزوج الرجعى الذى لا يتمشى مع
التقدم الغربى والرقى الاجتماعى ؛ فقضى برفض دعواه : مبرراً هذه الفعلة بأن الزوج يجب
عليه أن يقدر الظروف والتقاليد (٢) !

وقد ضبط أحد الثببان الهنود — وقت لإقامته بباريس — رجلاً يجلس مع امرأة
فى حالة مربية واضحة الفجور فى الطريق العام ؛ فلم يجد بداً من الاستعانة بجندى البوليس ؛
الذى قبض على الشاب الهنودى المبلغ بتهمة الإخلال بالحرية الشخصية !

فمرحى مرعى لهذه الحريات ؛ التى تقوم على أشلاء الفضيلة !

وهكذا كلما ازددنا تنكراً لتعاليم الدين الإسلامى الحنيف : ازددنا بعداً عن الأخلاق
والمروءة والسكرامة والعفة ؛ بل خرجنا من عداد بنى الإنسان ، إلى عداد الحيوان !
وقد نرى فى بنى الإنسان من يأتى عملاً ينزه الحيوان نفسه عن إتيانه ! فلا حول ولا قوة
إلا بالله العلى العظيم !

(١) وقاية : امرأة عالمة فاضلة ، كانت بإحدى مدن ليبيا ، وكان أفاضل القوم يتبركون برأيها ،
ويستمعون لقولها .

(٢) هذا الخبر منشور بمجريدة أخبار اليوم ص ٢ عدد ٦٠٨ الصادر فى ٣٠ يونية سنة ١٩٥٦ .

هذا وقد أصبحنا في زمن ؛ فشا فيه الانحلال والاضمحلال : فترى الشاب والفتاة ؛
فلا تعلم من منهما الشاب ، ومن منهما الفتاة ؟
شباب مخنث : لا يعبا إلا بزيتته ، وتصفيف شعره ، وتخزيق ملبسه (١) ، وقد قلت
في ذلك من قصيدة طويلة :

كيف ينجو الثوم والشر صاح يتعمدى بسائر الطرقات
فتيات : يلحن كالبدن حسناً بقلوب قددن من صخرات
ورجال : تسير تيباً وعجباً كنساء ؛ يخطن كالفاجرات
لا تفرق بين الرجال وبين النسوة : صوتاً ، وملبساً ، وخطاة
يتشنى الفتيان في المشى كالافهم ، وتمشى الغادات كالعاريات
إيه يا أيها الشباب : أترضوا أن تكونوا في السير كالعاهرات ؟
مارأينا والله فيمن رأينا مثل أخلاقكم بهذي الصفات
عهد لوط من بعد نوح تولى (٢) وأتانا النبي بالمعجزات
أبدل البغاة الطغاة ؛ فصاروا بقلوب تفيض بالرحمات
يرحمون الضعيف فيهم ، ويلقوا كل عات بقسوة وثبات
فتحوا الفرس : فتح قرم عنيد وسقوا الروم فرقة وشتات
أغمدوا السيف في صدور عداهم لم يلاقوا الحروب بالكلمات
سنة الله : أن تكونوا رجالا وتكونوا من صادقي العزمات
أين أنتم من إخوة سبقوكم لصفوف الجهاد كالباشقات (٣)
ما الذي أوجب التخلف عنهم حيث صرتم كالأعظم النخرات
فتمعوا أيها الشباب فأنتم لي ؛ وإن أحل الدواء أساتي
واركوا اليوم ما جباتم عليه ودعوا الموبقات والشهوات
لتروا في الحياة كل جميل وتكونوا من سادة السادات

(١) حزق ملبسه : ضفته وضيقه .

(٢) إشارة إلى أن قوم لوط : كانوا يأتون الذكران دون النساء .

(٣) الباشقات : جمع باشق . وهو من جوارح الطير .

The first part of the paper is devoted to a general discussion of the problem. It is shown that the problem is equivalent to the problem of finding a path of minimum length in a certain graph. This is done by constructing a graph whose vertices are the points of the plane and whose edges are the line segments connecting them. The length of the path is then the sum of the lengths of the edges in the path.

In the second part of the paper, it is shown that the problem can be solved by a simple algorithm. This algorithm is based on the fact that the shortest path between two points in a graph is the path consisting of the edges of minimum length. This is done by finding the shortest path between the two points in the graph.

The algorithm is as follows:

- (1) Find the shortest path between the two points in the graph.
- (2) If the shortest path is not a straight line, then the problem is solved.
- (3) If the shortest path is a straight line, then the problem is solved.

-
- (1) ...
 - (2) ...
 - (3) ...

التعطيل

لقد فشا بين الأمم المتقدمة مذهب التعطيل^(١) ، وأخذته عنهم بعض الضالين من المتأخرين . وكل هؤلاء مقفرة عقولهم ؛ معطلة قلوبهم !
« وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين »^(٢) .

فرد الله تعالى على زعمهم هذا بقوله عز من قائل « ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ، للحساب يوم القيامة » قال أليس هذا ، البعث « بالحق » كما أخبرتك على لسان رسلي ؛ فكذبتموهم وأذيتهم وقتلتهم » قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كتمتم تكفرون »^(٣) بذلك اليوم .

« قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حق إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها »^(٤) أى فى الدنيا بعدم الإيمان بالساعة .

قال تعالى « قل الله يحييكم ، بالخلق ابتداء » ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة ، للحساب والجزاء « لا ريب فيه ، أى لا شك فى مجيء ذلك اليوم الموعود » ولكن أكثر الناس لا يعلمون »^(٥) .

وهل يجوز عقلا وجود مصنوع بغير صانع ، ومخلوق بغير خالق ؟ أم هل يجوز

(١) التعطيل لغة : التفرغ والإخلاء وترك الشيء ضياعاً . ولابل معطلة . لا راعى لها . وتعطل : بقى بلا عمل . وتعطلت المرأة : إذا لم يكن عليها حلى ، ولم تلبس الزينة وخلا جيدها من القلائد . والمعطل : الموات من الأرض . وثمر معطل : إذا ترك بلا حام يحميه . ويثر معطلة : لا يستقى منها ولا ينتفع بمائها . ومن أنكروا البعث : فقد قال بالتعطيل ؛ لأنه ترك الكون ضياعاً وهملاً ، لا راعى له ، ولا مدبر لأمره . وحاشا أن يكون كذلك !

(٢) آية ٢٩ من سورة الأنعام . (٣) آية ٣٠ من سورة الأنعام .

(٤) آية ٣١ من سورة الأنعام . (٥) آية ٣٦ من سورة الجاثية .

نسبة خلق هذا العالم البديع ، وهذا الإنسان الناطق المبصر السميع ، وهذه الشمس المنيرة ، والكواكب المضيئة ، والسموات المرفوعة ، والأرض المبسوطة ، وتلك الأزهار الناضرة ، والمناظر الساحرة ، والطيور السابحة في الهواء ، والأسماك الجارية في الماء ، والفاكهة التي تسر الآكل والناظر ، وسائر المطعومات ، والمشروبات ، والمشروبات ، واختلاف كل هذه المخلوقات : منظرآ ومخبرآ ؛ هل يجوز خلق جميعها بلا خالق يخلقها ، أو مدبر يدبرها ؟ وهل هي الطبيعة كما يقولون ؟ وهل قام هذا الكون باطلا ، وهذه المخلوقات عبثاً ؛ فلا بعث ولا حساب ، ولا نعيم ولا عقاب ؟ لقد ارتكبوا إثماً وفجوراً ، وقالوا بهتاناً وزوراً !

هذا وقد جهر بهذا القول السقيم ، والرأى الفاسد العقيم : كثير من طبع الله تعالى على قلوبهم فهم لا يفقهون ! فمن ذلك ما قاله شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي ؛ من قصيدة طويلة (١) :

- وسائلة : هل بعد أن يعبت البلى بأجسادنا نجماً طويلاً ونزقاً ؟ (٢)
فقلت مجيباً : إني لست واثقاً بغير الذي حسى له يتحقق (٣)
وهيات لا ترجى حياة لميت إليه البلى في قبره يتطرق (٤)
تقولين : يفنى الجسم والروح خالد فهل بخود الروح عندك موثق (٥)

(١) نشرت في ٢٢ سبتمبر من سنة ١٩٢٤ بجريدة السياسة اليومية .

(٢) هو إنكار صريح للبعث والنشور .

(٣) لا يؤمن بعقله ولبه : كإيمان الإنسان ، بل يؤمن بلمسه وحسه : كإيمان الحيوان ؛ وما أشبهه بمن قالوا لرسولهم « أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً . . . أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه » .

(٤) ومن قبله قال الكافرون « أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون . أئذا كنا تراباً وأبأؤنا أئنا لمخرجون . أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد » لعنهم الله تعالى وأشياعهم إلى يوم القيامة .

(٥) أنكروا عدو الله وعدوه نفسه خلود الروح ؛ وقد آمن بمخلودها سائر الناس : مسلمهم وكافرهم ؛ وأصبحت من الحقائق العلمية المدعومة .

إلى أن قال :

وكم لي من رأى إذا ما بسطته يقولون : زنديق من الدين يمرق^(١)
إذا جئت كذباً : فالضمير يلومني وإن قلت حقاً : فالمخاطب يحنق
لقد كره الجهال كل حقيقة^(٢) على أنها حسناء بالحب تخلق
خض اللبج من بحر الطبيعة سابراً^(٣) ولا تخش عند الخوض أنك تغرق

وقد نشرت هذه القصيدة في مصر بالجرائد السيارة ؛ فلم يتصد أحد من الكتاب
أو العلماء للرد على هذا الكفر الصريح الفاضح !

وقد رددت عليه بقصيدة من بحر قصيدته وقافيتها ؛ راجياً بها وجه الله تعالى ، ذائداً
عن حياض الدين ، مدافعاً عن الكتاب المستبين !

والزهاوى هذا من كبار الملاحدة — بل ليس في الملاحدة من يدانيه في الإلحاد —
وله شعر كثير ؛ أنكر فيه صراحة وجود الإله جل شأنه !

فمن ذلك قوله :

لما جملت من الحقيقة أمرها وأقمت نفسك في مقام معلل
أثبت رباً تبغى حلا به للمشكلات ؛ فكان أكبر مشكل

وقوله أيضاً :

قالوا بأن الإله حي له على عرشه ثبوت
فقلت : ما الله غير وهم أثبتة الوصف والنعوت
إن حيي العلم في أناس فالله من ذاته يموت

(١) لعم زنديق وأى زنديق ، ومارق من الدين وأى مارق !

(٢) سولت له نفسه ، وأوحى إليه شيطانه ؛ أن ما يقوله من إنكار البعث : هو الحقيقة المحررة عن
الهوى ، وأن من لم يوافق على رأيه الفاسد : من الجهال الذين يكرهون الحقائق . اللهم اجعلنا من الجاهلين
بهذه الحقائق التي يقول بها ذلك السارق !

(٣) السبر : التأمل والبحث ، وسبر الجرح : تعرف عمقه .

هذا وقد هلك الزهاوى منذ بضع سنين ؛ ورأى الآن جزاءه الحق في قبره ؛ وعلم أن معرفته تعالى لم تكن من المشكلات ؛ بل آمن به كل الحيوانات والجمادات ؛ وأنه جل شأنه : حقيقة لا وهم فيها ؛ إلا على من انطمست بصيرته ، واسودت سيرته ؛ حانا الله تعالى من الجهل بحقيقته ، بعد عرفانه حق معرفته ؛ وحفظنا من الزيغ بعد الإيمان ، ووقانا شر النفس ومكائد الشيطان ؛

وها هي قصيدتي رداً على قصيدته في إنكار البعث :

حول إنكار البعث^(١)

أو قصيدة الزهاوى

قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة
لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ،

[قرآن كريم]

إذا طفق^(٢) التبريح^(٣) بالقلب يعلق فلا عجب للطرف إن كان يأرق
وقائلة : مالي أرى الهم والاسى حليفك هل أمسيت للزهر^(٤) تعشق ؟
أضنُّ بما ترجو خليل ؟ فقلت : لا والسكتي من غير ذلك أفرق^(٥)
أخاف الذي فوق السموات عرشه إذا خضت بحر الإثم فالإثم يوبق^(٦)
فقلت : تعشق كل هيفاء غادة ولا يتجنبك الغزال المقرط^(٧)

- (١) نشرت في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٤ بالسياسة اليومية بعد نشر قصيدة الزهاوى بثمانية أيام .
- (٢) طفق يفعل كذا : أى ظل يفعله .
- (٣) التبريح : شدة الشوق وتوجهه .
- (٤) الزهر : الأنجم المضيئة ، والمراد بها هنا : القيد الحسان اللاتي يشبهن الأنجم الزهر في الجمال .
- (٥) أفرق : أخاف .
- (٦) يوبق : يهلك ؛ لأنه يورد النار .
- (٧) القرطق : ملبوس يشبه القباء ، وهو من لبس الأعاجم .

وحافظ على ذكر الملاح ورقن
وغازل ونادم واشربن واطربن ولا
فقلت لها : مثل العروس ينام في
ويحشر في حزب الأمانة والنهي
ويسكن جنات النعيم مخلداً
فقلت : أحق أننا بعد موتنا
فقلت لها : إن كنت أنكرت هذه
لأنك أنكرت الإله ورساله
فقلت : لنا عقل ودينكم لكم
فقلت لها : ماذا أرتكم عقولكم ؟
بها كان ما قد كان : هل أنت منصف ؟
وليس ضميري يطمئن لباطل
لقد رد ذا نوح ، وهود ، وصالح ،
وإن رمت منهاج العقول فإنني
أختلف الأشياء بغير إرادة

لسييك فيمن للنسيب يرقق
تضيق فماذا نال منها المضيق ؟
حفيرته دهرأ إذا النفس ترهق^(١)
وأكرم أهل الأرض يوم تشقق^(٢)
على حين يصل النار من كان يفسق
وبعد البلى نحيماً طويلاً ونزوق^(٣)
فشلك من دين المهيمن يمرق
وكتباً أتت بالحشر والنشر تنطق^(٤)
وللعقل بين الرشد والغى يفرق
فقلت : وجودي بالطبيعة ملصق
فقلت لها : ما قال هذا موفق
ولا أنا من ذكر الحقيقة أحقق^(٥)
وموسى ، وعيسى ، والنبي المصدق^(٦)
به عارف والباب ما هو مغلق
تخصص كلا بالذي هو أليق^(٧)

- (١) ورد في الحديث الشريف : أن المؤمن ينام في قبره مثل العروس .
(٢) إشارة إلى قوله تعالى «يوم تشقق الأرض عنهم سراعا» . وهو يوم القيامة : عافانا المولى سبحانه فيه ، وجعلنا من خاصة أحبائه !
(٣) هذا هو السؤال الاستنكارى الذى سأله الزهاوى في قصيدته النجسة .
(٤) ورد ذكر القيامة والبعث في سائر الكتب السماوية .
(٥) وذلك رداً على قوله «وإن قلت حقاً فالخطاب بمنق» .
(٦) ورد في القرآن الكريم ذكر القيامة والبعث والحساب ؛ على لسان هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
(٧) اختلاف الطعوم والألوان والأشكال والروائح وجميعها «يسق بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل» .

أياطبعيون اشرحوا لي طبيعة
فإن تك عين الجسم : كان مقدماً
وإن تك جزءاً منه ، أو قوة له
إذ الجزء : مثل الشكل في سبق نفسه
فلا عمل من قوة في محلها
وإن لم تكن من ذا : فإرسائها إذا
على أنكم لا تعرفون سوى الذي
فقولوا لنا ؛ إذ كلنا لجوابكم
أبا لليس ، أم بالشم ؛ يدرك حالها
بها كل جسم عندكم يتحقق
على نفسه إذ فاعل الشيء يسبق
على كل حال فالمحال محقق
إذن وصفات الشيء للشيء تلحق
لأن به تلك القوى تتعلق
تجاني عن التحديد عقل ومنطق ؟
إذا مادعاه الحس لا يتموق^(١)
وشرحكم الشافي غدا يتشوق
لكم ، أم بدوق ، أم بالأبصار ترمق ؟

هذا وقد تفضل — مشكوراً ماجوراً — المجاهد الإسلامي الكبير ؛ المرحوم الأمير
شكيب أرسلان ؛ فأرسل لي — حين اطلع على هاتين القصيدتين بالجرائد السيارة —
خطاباً يفوح بعطر الإيمان ؛ الذي كان يحتويه صدره ؛ وشذا الإسلام ؛ الذي كان يشيع
من جهاده !

وقد رأيت تكريماً له ، واعترافاً بفضله : أن أنشر هذا الخطاب الكريم بخطه
كما ورد :

(١) إشارة لقول الزهاوي :

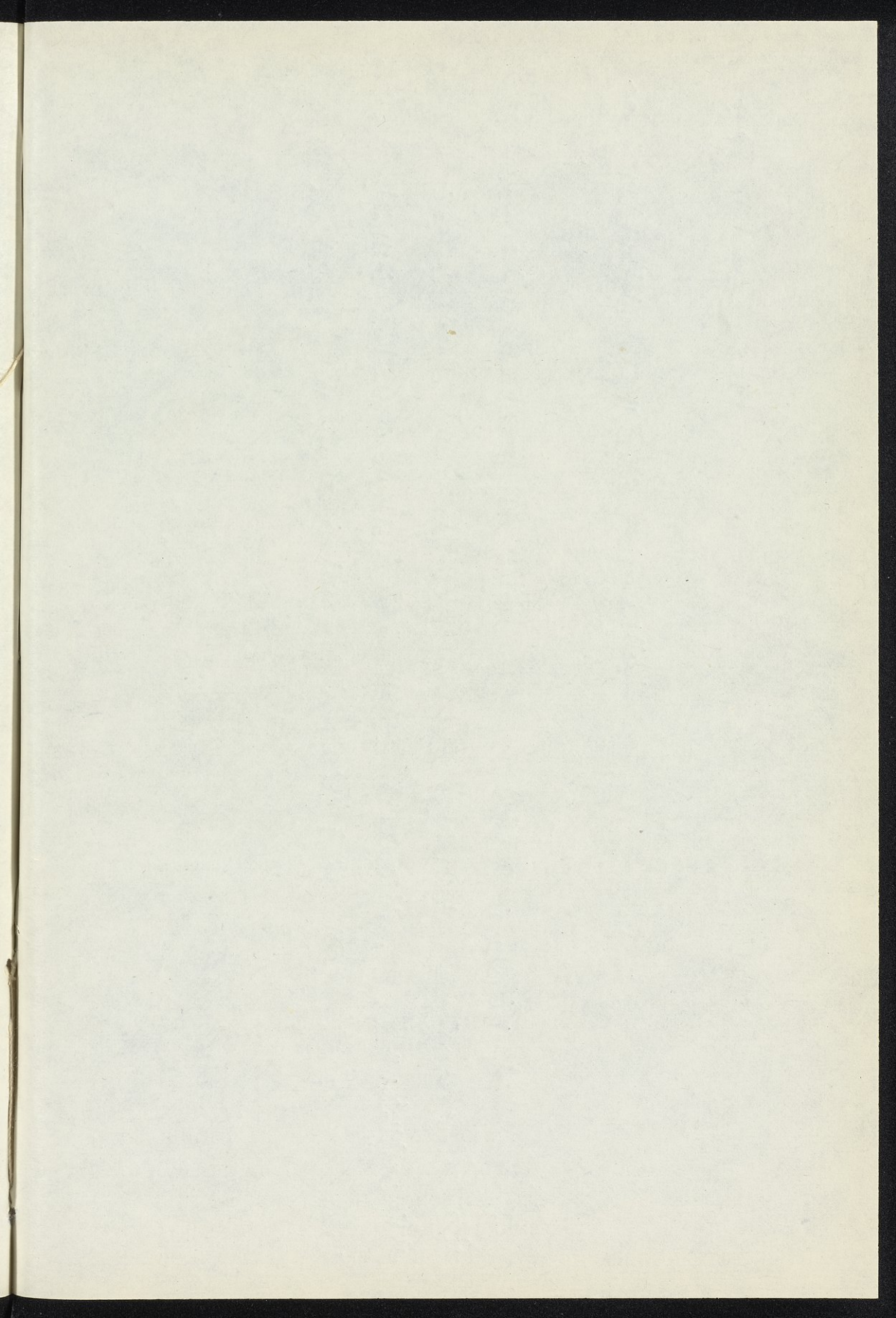
فقلت مجيباً : لأنني لست واثقاً
بغير الذي حسى له يتحقق

جنيف ١٠ أكتوبر ١٩٢٤

حضرة الشاعر الفيلسوف الحكيم السيد محمد عبد اللطيف

قرأت في السياسة ، قصيدتك في انكار التعطيل فاجتبت بها لفظاً ومعنى وراقني أسلوب السهل المتنع
وما فيها من حسن التعليل ولفظ جمد بساطع البرهان مع خولة اللفظ وعضوية معاً مما يلحق شعرك
بشعر الدولين الذي كانوا يملكون علو الماني مع قوة العنصرية فما مكنت نفسي مع وفرة اسفالي ان هناك
على هذه الكلمة النادرة والله يزيدك فصاحة وبلادة ومضاهة في تنوير الازهان بحقيقته
شكيب
سليبي

Hôtel d'Angleterne
Genève



أين الله؟

سؤال حائر ، على شفاه ساذجة : تنشده الإيمان والمعرفة !

فرقاً بأبنائنا المؤمنين ، الذين يتساءلون : أين الله ؟

تظنونهم كفاراً ، وما هم بكافرين ! وتوهمونهم ملاحدة ، وما هم بلحدين !
عرفوهم بالمنطق السليم ما يريدونه من معرفة الله ؛ ضمورهم إلى صدوركم ليحسوا بمحاناتكم ،
قبل امتحانكم ، وبمعطفكم ، قبل حكمتكم !
إن حرمانهم من استماعكم لأقوالهم : سبب لهم عقدة الجحود بأرائكم ؛ وزاد كفرهم
بربهم !

إن من يقول : أين الله ؟ خير بكثير ممن عرف الله ؛ ثم أشاح بوجهه ، وأدار له ظهره !
فكم رأينا أناساً ينتسبون إلى الإيمان ؛ والإيمان منهم براء ! ويزعمون محبة الله ،
والله كاره لهم ؛ غير راض عنهم !

ويدعون معرفته ؛ وهم أول الكافرين به ، المنكرين لوجوده !
أما الذي يقول : أين الله ؟ فهو طالب للمعرفة ، راغب في الإيمان !
ولا يعقل بحال ، أن يكون القائل : أين الله ؟ راغباً في رؤيته بالذوق والحس ؛
وإلا كان عابداً وثناً وصنماً !
لأن المولى سبحانه : يجل عن الرؤية البصرية ، ولكنه لا يمنع عن رؤية العقل ،
والبصيرة !

فلو توهم لإنسان أن الله تعالى : يجب أن يرى بالبصر : لسكان جاحداً بمنطق العقل !
ولو روى الله بالبصر : لكان مخلوقاً مثلنا ، يرى ، ويمحده ، ويلبس !
وهذا ما لا يقوله لإنسان أكرمه الله تعالى بالعقل السليم ، والفكر المستقيم !
ولا تنسوا — يرحمكم الله — موسى عليه السلام ؛ حين قال : رب أرني أنظر إليك ،
فزلات الأرض زلزالها ، ودكدكدت جبالها ، وخر السائل صريع سؤاله !

فتعالوا يا بنائي : أعلمكم أين الله ؟

ها هو الله ا ترونه عياناً : في بديع صنعه ، ودقيق نظامه ا

ها هو الله ا يثبت وجوده في كل خلق خلقه ، وفي كل رزق رزقه ، وفي كل منع

منحه ، وفي كل منع منعه : أعطى بمقدار ، ومنع بتقدير ا

وقد يوسع على من يكره ، ويضيق على من يجب ؛ لحكمة يراها جل شأنه الا مانع

لما أعطى ، ولا معطى لما منع ا

ها هو الله ا نصر من قال : الله أكبر ا وخذل من قال : أنا القوى الأقدر ا

ها هو الله ا ترونه في أنفسكم ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، .

ألا تعلمون كيف جئتم إلى هذه الحياة ؟ ومن أي مادة صنعتم ؟

لقد صنعكم المولى ابتداء من طين ، ثم خلقكم من ماء مهين ، ثم حول هذا الماء إلى

علقة ، ثم إلى مضغة ، ثم جعل هذه المضغة عظاماً ، ثم كسا هذه العظام لحماً ، ثم أخرجكم

في هذا الاستواء الخلق الذي أنتم عليه ا

وأظنكم يا بنائي - وأنتم رجال الغد ، وفضلاء المستقبل - أظنكم أعقل وأسما

من أن تلجؤوا في مناقشتي إلى ما يلجأ إليه سفهاء الأحلام : من أن أنايب الاختبار ؛

التي وضع فيها ماء الرجل : قد استجابت مبدئياً إلى الحياة ، التي يصنعها الله !

وهنا يحق لي أن أقول لسكم : ومن صنع ماء الرجل الذي وضعتموه في أنايب الاختبار ؟

لقد أخذتم البيضة ، ووضعتموها في الدفء حتى أنتجت دجاجة ، وقاتم : ها نحن

خلقنا الدجاجة ا

فهل هذه الدجاجة تعتبر من صنعكم ، أم من صنع الخالق جل شأنه ؟

لأن التساؤل الواجب في الحالتين : من خلق ماء الرجل ؟ ومن خلق البيضة ؟ أترون

يا بنائي - وأنتم العقلاء الألباء - أن كل هذا صنع بغير صانع ، وخلق بغير خالق ؟

وأنها تحولت من عنصر الموت إلى عنصر الحياة بلا موجد ومدبر ا

لإني أربأ بعقولكم أن تظن هذا !

أم تقولون كما قال أناس من قبل : إنها الطبيعية وحدها التي صنعت هذا الصنع وأبدعت

هذا الإبداع ؟

وهنا يحق لي أن أسألكم : وما هي الطبيعة ؟ إن ما تسمونه الطبيعة ، هو ما نسميه
معشر المؤمنين . الله : والله وحده !

والأمثال كثيرة على فساد هذا الزعم وسأكتفي بإيراد مثل واحد ، تقتنعون من خلاله
بأن الله وحده ولا شيء بعده !

إن الطبيعة — إذا صح أن هذا صنعها — لا تختار الذكورة والانوثة ، والجمال
والقبح ، والسواد والبياض ، وحسن الخلق وسوأها !

فما تقولون — هداكم الله وعافاكم — في الشعب الألماني ؛ بعد الحرب الضروس
التي أشعلها واحترق بها !

وقد خرجت ألمانيا من الحرب بفقد جل رجالها ! وزيادة تعداد نساءها : زيادة
كثيرة مخيفة !

فماذا فعلت الطبيعة السماء ؛ حيال هذا الحادث الجلل ؟

لم تفعل الطبيعة — التي يزعمها الملاحدة — شيئاً ، وما كان لها أن تفعل ، لأنها طبيعة
لا تجلب نفعاً ، ولا تدفع ضرراً !

ولسكن المولى سبحانه : النافع الضار — خالق الكون ومدبره — فعل ما يصلح الكون ؛
بعد أن أفسده أهله وذووه !

فترى الإحصاءات الرسمية للهواليد بعد الحرب : قد أثبتت زيادة الذكور على الإناث
حتى بلغت ثمانين في المائة ، وحتى عاد مستوى الذكور متوافقاً مع مستوى الإناث !

وذلك لأن الله تعالى خالق ، والطبيعة لا تخلق ! ورازق ، والطبيعة لا ترزق ! ومدبر ،
والطبيعة لا تدبر !

وهكذا تجدون أصبع الرحمن في كل مكان !

ألا ترون الأشجار ، وما تنتجها من عجيب الثمار ؟ فهذا حلوا ، وهذا مر ، وهذا رطب ،
وهذا يابس !

الحنظلة : بجوار المانجو ؛ فيثمر هذا ثمراً حلواً وبالغ الحلاوة ، ويثمر ذلك ثمراً مرا
بالغ المرارة ، وكلاهما يسقى بماء واحد !

وترى الوليد من البهائم : ينزل من بطن أمه فيقف على رجليه ، ثم يستدير إلى أمه فيلتقم

ثديها بضمه !

فن الذى أعلمه أن الرجلين للوقوف ؟ وأن فه للطعام والشراب ؟ وأن ثدى أمه وعاء
لذلك الطعام والشراب ؟

ألا ترون الهرة ؛ وما شاكلها من الحيوانات : حين تلده ؛ فإنها تقطع الحبل السرى
لمولودها : بحيث لا تزيد عما يجب ، ولا تنقص !

إن هذه الأمور كلها : تدل على هداية خفية : ليس للطبيعة فيها شأن !

ولإنما هو صنع الصانع : الذى أتقن كل شئ ، وأعطى كل شئ خلقه ثم هدى !
فاطمثنوا يا أبناءى إلى ربكم ، وثوبوا إلى رشدكم ، واسألوا متى أردتم ! وأنى شئتم :
أين الله ؟

فالله معكم : فى حلكم ، وترحالكم . يحفظكم من كيد أنفسكم ، ومن شر
الشیطان اللعين !

ولله در سيدى محي الدين بن عربى حيث يقول :

ومن عجب : أنى أحن لإيهم وأسأل شوقاً عنهم ؛ وهو معى !
فتنكرهم عيى ، وهم فى سوادها ويشكو النوى قلبى ؛ وهم بين أضلغى !

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، خالق الخلق أجمعين ؛ خلقهم كما يشاء ؛ لما يشاء : ورزقهم ،
وهداهم ، وأرشدهم إلى ما يرضيهم ، ووفقهم إلى ما ينجيهم !
والصلاة والسلام — من المولى سبحانه تترى — على أكرم خلق الله ، وأقربهم
منه ، وأعرفهم له !
أرسله — عز وجل — هادياً : فهدي ! ومرشداً : فأرشد ! ومبشراً : فبشر !
ومنذراً : فأندر !

أمده مولاه تعالى بخلق : لم تتوفر لاحد من خلق !
ووهبه نوراً إلهياً : لم يهبه لاحد من وهب !
وأعلا شأنه بقوله : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ، وأى رحمة !
وجعل أفئدة الناس تهوى إليه بقوله : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلبوا تسليماً ، وأى قضاء !
وتوجه — جل وعلا — بقوله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، وأى نور !
فاستوجب بحق « من يطع الرسول فقد أطاع الله ، وأى طاعة !
واستحق بصدق « وإنك لعلى خلق عظيم ، وأى خلق !
وكان جديراً بخطاب مبدعه له « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، وأى رحمة !
نور الله في أرضه ! ونوره في سمواته ! ونوره في قيامته ! ونوره في جنته ! ونوره
في قلوب عباده !

إذا انتقطع هذا النور الرباني المحمدي عن بشر : كفر والعياذ بالله ! وإذا انتقطع عن
أمة : بات بالحرمان والخذلان !

أعلى مولاه شأنه فوق كل شأن ، ورفع قدره فوق كل قدر !
فما من مخلوق علا : إلا وهو دونه ، وما من إنسان سما : إلا وهو تحته ،
درجة : لا يحلم مخلوق أن يصل إلى أدناها ، ورتبة تتساقط سائر الرتب دونها ،
رتب : تسقط الأمانى حسرى وعطاء : حاشاه أن يتناهى ،
أعدّه الله تعالى لما أعدّه : من سيادة ورياسة ، لأمر يعلمه المولى سبحانه ، ليرتقى
بالبشرية الأرضية : إلى سموات الروحانية الربانية ،
فكان جديراً بصلاة الله تعالى وملائكته ، وسائر مخلوقاته عليه ،
« إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » .
اللهم صل وسلم وبارك عليه : صلاة وسلاماً دائماً دائمين بدوامك ، تنفعنا بفضلهما في دنيانا ،
وتنجينا بفيضهما في آخرانا ، وتجعلنا فيمن رضيت عنهم يامولاي ورضوا عنك !

الإسراء

أما بعد : فإنه مما لا يشك فيه مسلم — ذاق بقلبه حلاوة الإيمان ، واستمتع
بما أودعه الله تعالى في القرآن — أن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه : قد أسرى به ليلاً
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ كما جاء في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه ؛ تنزيل من حكيم حميد ، « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد
الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا » .

المعراج

أما العروج به : صلى الله تعالى عليه وسلم إلى السموات العلى : فإن الإنسان المسلم :
يحس في قرارة نفسه بصحته ، ويؤيده تمام التأيد بقلبه ،
فإذا ما قرأ الأحاديث الواردة فيه : أحس بالوحشة تمكثفه ، وبالانقباض الفسكى
يتمسكه !
ولم تكن تلك الوحشة ، وذلك الانقباض من صعوده عليه الصلاة والسلام إلى
السموات ، فهو جدير به ، وقين بنيله !

ولكن هذه الأحاديث — كما سترونها — مليئة بالترهات ، مفعمة بالباطيل
والأضاليل !

قدر الرسول صلى الله عليه وسلم

فالرسول عليه الصلاة والسلام : لن ينقص قدره : عدم عروجه إلى السماء ، كما أن
عروجه إليها : لن يزيد رفعة فوق رفعته ؛ التي لم تدع زيادة لمستزيد !

وأى رفعة أعظم من مدح مولاه له في القرآن الكريم « وإنك لعلی خلق عظیم ، ا
وأى فضل أكبر من تفضيله على سائر المخلوقين « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، ا
ومن المعلوم يقيناً : أن سائر الأنبياء من العالمين ا وسائر الملائكة أيضاً من العالمين ا
وذلك لأن « العالمين » جمع العالم . والعالم : كل ما سوى المولى سبحانه وتعالى .

وما أرسل عليه الصلاة والسلام — كنص الآية الكريمة — إلا رحمة لهم وبهم جميعاً ا
فلم يقل المولى سبحانه : إنه أفضل المخلوقات ، أو أكرمها ؛ أو أشرفها ؛ بل قال :
إني لم أرسله إلا رحمة لها ا

وبذلك يكون محمد عليه الصلاة والسلام : أفضل المخلوقات على الإطلاق : إنس ،
وجن ، وملك ا

فتعالى من رحمنا به ، وأعزنا برسالته ، وأكرمنا بشفاعته ا
وبما قدمناه : ينقطع قول من ادعى أن جبريل أفضل من محمد . عليهما الصلاة والسلام ؛
كما قالت المعتزلة وغيرهم : عفا الله تعالى عنا وعنهم ا

ولنعد إلى ما بدأناه من الكلام في الأحاديث التي تناولت المعراج .

وقد قلنا : أحاديث — وهو حديث واحد — لما ورد فيه من روايات : يتباين
كل منها مع باقية ؛ تبايناً كلياً .

لكنها تجمع على أشياء كثيرة : منها تفاهة المعنى والأسلوب ؛ وبعد منطوقها عن منطلق
النبوة الرائع المبدع المنير ا وبعد مفهومها عما اصطلاح عليه سائر المسلمين : من عدم وقوع
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الزلل ؛ بالقول ؛ أو الفعل ؛ اللذين يحيطان من أقدارهم :
كما حواه هذا الحديث الغريب ؛ من منكر القول ، وفاسد الاخلاق والعقائد ا

زيف هذه الأحاديث

وقد اجتمع في هذه الأحاديث — رغم كثرتها — شئ واحد : هو صياغتها على ما هي عليه .

فحينما تتلو أحدهما : تذكر أن هذه الصياغة ليست بغريبة عندك ، ولا بعيدة منك . فهذه الصياغة ، وهذه اللمحة : هما نفسهما اللذان صيغت بهما آيات التوراة والإنجيل ؛ اللذين أجمع على تحريفهما وتبديلهما كل من فهم ومن لم يفهم ، ومن علم ومن لم يعلم ؛ حتى صاروا عليين لكل ما يتصف بالتحريف والتبديل ، وصاروا مثالا يضرب لكل فساد وإفساد !

وجوب تبجيل المولى سبحانه !

ومخترعوا هذه الأحاديث : إنما أرادوا بها تعظيم شأن الرسول ؛ عظيم الشأن ، وإعلاء قدره ؛ عالي القدر !

ولم يبألوا بما نزلوا به من مرتبة المولى عز وجل !

فالرسول عليه الصلاة والسلام : واجب التكريم بنص القرآن الكريم ؛ وإغفال خالقه تعالى ؛ ومرسله عز وجل : من التبجيل والتكريم ؛ الواجبين له : هو في نظري : انحراف عن الجادة ، وعدول عن الصراط المستقيم !

فترى كثيراً من المسلمين : إذا ذكر الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قولاً ، أو كتابة : بادروا بالصلاة والسلام عليه ؛ وهو أمر واجب على كل من يدين بدين الإسلام !

فإذا ذكر المولى سبحانه : الذي تفضل علينا بالرسول الذي نصلي عليه : أشاحوا بوجوههم ، وخرست ألسنتهم !

أقول : خرست ؛ لأن الذي يقصر في تبجيل مولاه : مستحق للخرس ! وقد يقول قائل ساذج الفهم ، تافه الإدراك : إن تكريم الرسول عليه الصلاة والسلام واجب بنص القرآن ؛ حيث لم يوجب علينا تكريم المولى سبحانه بنص صريح !

ونحن لا نحتاج إلى أدنى عناء للرد على مثل هذا القائل الضعيف الوجدان ، السقيم
العقيدة !

فالمولى سبحانه — ولو أنه غفى عن التكريم — قد كرم نفسه بنفسه ؛ ليعلمنا واجب
تكريمه وتمظيمه !

فقد كرر في كتابه العزيز لفظ « سبحانه » ١٤ مرة ، و « سبحان » ١٨ مرة . والأمر
بالتسبيح « سبح ، سبحه ، سبحوا ، سبحوه » ١٨ مرة . وذكر من يسبح له « يسبح ،
يسبحن ، يسبحون ، يسبحونه » ١٥ مرة ، ولفظ « تعالى » ١٤ مرة : و « تبارك » ٩ مرات !
ويكفيك قول العزيز المتعال « تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ، وقوله جل شأنه
« وسبحوه بكرة وأصيلاً ، أى صباحاً ومساءً ، وفي كل وقت !

وهذا هو واجب المؤمن حيال ربه : الذى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار »
و « ليس كمثله شيء » ، و « خالق كل شيء » ، ووسع عليه كل شيء ، و « بيده ملكوت
كل شيء » !

العودة إلى حديث المراج

ولنعد إلى ما نحن بصدده ؛ وهو حديث المراج : الذى أعلم علم اليقين : أن ما أكتبه
فيه : سيثير على حراً عواناً ، لا هوادة فيها ، وسيقول بعضهم عنى : كافر ، فاسق ، زنديق ،
ملحد !؟ ... الخ ما فى القواميس من قذف وسباب !

ولكنى وإيم الله : مشفق عليهم ، رؤف بهم ؛ طالب المغفرة لهم مقدماً !
وأقسم غير حائث ولا آثم : أنى ما كتبت إلا ما اعتقد أن رضا المولى سبحانه فيه ،
وأنه تعالى سيثيبني عليه !

فليشفق اللائم على من هذا شأنه . وليتحرر الناقد مرضات ربه : كما تحريت ؛ وليفهم
أن كل كلمة يكتبها أو ينطق بها : فى له أو عليه ! « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .
هذا وقد كنت منذ نعومة أظفارى : إذا سمعت حديث المراج — كما يرويه
الراون ، وينقله الناقلون — أحس فى صدرى بما يثقله ، وفى عقلى بما يتوء بفهمه !

بطلان بعض الأحاديث

وإذا سمعت أيضاً حديث « خلقت وآدم بين الطين والماء » وحديث أئمة القوم « لولاه لما خلقت الأرض والسماء ، ولما انشقت الأنهار ، ولما أظلم ليل وأضاء نهار ! وأن اسمه صلوات الله تعالى وسلامه عليه مكتوب من نور على ساق عرش الرحمن ! ، ... الخ ما يروونه : إشادة بمن أشاد به الله ، ورفعته لمن رفعه الله !

تعالى الله عن أن يشركه أحد في ملكه ، أو أن يكون سبباً في خلقه ما خلق ، وذراً وبرا !

فالمولى سبحانه : خلق خلقه بإرادته وحده ؛ من غير مثال سبقه ! وأعدّهم لتلقى أوامره ونواهيته عن طريق أنبيائه ورسوله ؛ الذين بعثهم ؛ لتقطع بهم الحجة ، وتسقط المعذرة ! ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ إمامهم جميعاً ، وخاتمهم ، وسيد الخلق على الإطلاق ! فكل من أراد أن يسمو به فوق هذا السمو : مخطيء ! وكل من أراد أن يعلو به فوق هذا العلو : واهم !

فإذا ما أردنا أن نضع الحقائق في مواضعها ، وأن نخضع المفاهيم إلى مقاييس الفهم الصحيح ، ونزنها بالميزان الراجح ؛ الذي وهبنا لإياه المولى سبحانه ، والذي يحاسبنا بمقتضاه ، ويؤاخذنا بما أفصح عنه ذلك الميزان الرباني ؛ وهو العقل !

وجب علينا : أن نعرض عليه كل ما يمرض لنا في هذه الحياة : من مقول ، أو منقول : بشريطة ألا نترك لإبليس العنان ؛ فيتدخل فيما بيننا وبين الرحمن !

فإذا ما قلنا : إن الرسول عليه الصلاة والسلام قد خلق — خلقه حقيقية — قبل خلق آدم : فمن الذي ولدته أمته ؛ من ظهر عبد الله ؟ ومن الذي شق قلبه ؛ كما يقولون ؟

وإذا قلنا : إنه قد خلق قبيل آدم في علم الله تعالى فحسب : قلنا أيضاً : إننا جميعاً قد خلقنا قبل آدم في علم الله ؛ فلم يعد لهذا الحديث معنى .

وإذا قلنا : لم يعد له معنى ؛ وجب علينا أن ننفي نسبته إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ الذي لا ينطق عن الهوى !

وأى فخر لمن يخلق أولاً ؟ اللهم سوى الإرهاص لما يريد المزيّفون من إثبات

ما يريدون لإثباته للرسول الكريم من أشياء لا تعلى قدره الذى أعلاه ربه : بقره ،
وحبه ، واصطفائه !

وها هو إبليس اللعين : وقد خلق قبل الخلق أجمعين ؛ فما زاده ذلك سوى لعناً ،
وطرداً ، وبؤساً وبخساً !

أما القول بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم : لولاه لما خلقت الأملاك والأفلاك ، وأن
اسمه مكتوب على ساق العرش . . . الخ فهو رغم ما فيه من اختلاق وإفك ظاهرين : باطل
بطلاناً واضحاً لا شبهة فيه ! فإننا لم نشاهد في حياتنا الدنيا ملكاً كتب اسم رئيس وزرائه ،
أو كبير أمثائه على كرسيه ، أو على عرشه ! ولو كان هذا الرئيس ، أو كان هذا الكبير :
متسبباً في تولية هذا الملك على ملكه !

هذا في حين أن الملك ، ورئيس وزرائه ، وكبير أمثائه : بشر : من طينة واحدة ،
وأصل واحد .

فكيف نجرؤ أن نقول بكتابة اسم محمد على ساق عرش الرحمن ؛ وهو انسان ، وهذا
هو الخالق الديان !؟

فبئس القول ما قيل ! وبئس هذا التصور العقيم السقيم !

وهذا القول نفسه : يؤثم من يدعيه ؛ بل ويقربه من الكفر ، ويغمسه فيه !

ومن هنا : كان بدء غلو المادحين للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه (وهو خير
المدوحين ، وأولى الناس بالمدح) .

فقال بعضهم ؛ مشطراً لأبيات من همزية الإمام البوصيرى :

بابن عمران شرفت سيئاته وإلدريس والمسيح السماء

ولك العرش موطىء ووطاء كيف ترقى رقيق الأنبياء

ياسماء ما طاوتها سماء

فانتقلنا بذلك من كتابة اسمه على العرش : إلى أن وطىء محمد العرش بقدميه !

عرش الديان ؛ المعد للاستواء الرحمن : يكون موطناً ووطاء لقدم أحد مخلوقاته ؛

ولو أنه خيرهم ، وسيدهم ، وإمامهم !

العرش : الذى يمثل عظمة السلطان ، وسلطان الرحمن : يطؤه واحد من بنى الإنسان !
وجميع ذلك : لا يجوز عقلاً ، ولا ذوقاً ، ولا ديناً ، ولا يعقله عاقل ، ولا يجنون !
اللهم إلا إذا آمننا بأن الله تعالى شريكاً فى ملكه ! وهذا الشريك : غير مماثل لشريكه ؛
بل مفتون عابث ، متعال عليه ، يظأ عرشه برجله !
تعالى المولى عن ذلك علواً كبيراً ! وتعالى الرسول أن يكون كما قيل !
فليس هناك سبب لما خلق الله سبحانه : سوى أنه تعالى كان كبراً مخمياً ؛ فأراد أن
يعرف : فخلق الخلق ؛ فبه تعالى عرفوه ، وبه عبده !
جل شأن المولى سبحانه ! وصلى وسلم على نبيه المختار : صلاة تتعبد بها له ،
وتتقرب بها إليه !

وجوب تحرى الأحاديث

هذا وقد ورد عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه أنه قال : « إذا سمعتم
الحديث عنى : تعرفه قلوبكم^(١) ؛ وتلين له أشعاركم وأبشاركم^(٢) ، وترون أنه قريب
منكم^(٣) ؛ فأنا أولاكم به . وإذا سمعتم الحديث عنى : تنكره قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم
وأبشاركم ؛ وترونه بعيداً منكم : فأنا أبعدكم منه ! » .

فإذا ما سمعنا — مثلاً — فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها ، قالت : جاءت سهلة
بفت سهيل امرأة أبى حذيفة إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فقالت : يا رسول الله إني
أرى فى وجه أبى حذيفة^(٤) من دخول سالم — وهو حليفه^(٥) — فقال لها : أَرْضِعِي
سالمًا خمساً : تحرى بها عليه .

هل يجوز لعاقل يؤمن بالله واليوم الآخر ؛ بعد أن قرأ قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا
من أبصارهم . . . وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن » ، أن يصدق هذا الحديث ، أو أن
يعيره بالألا^{١٢} ؟

- (١) تعرفه قلوبكم : أى تطمئن إليه ، ولا تنكر معناه .
- (٢) الأبشار : جمع بشرة ؛ وهى ظاهر جلد الإنسان .
- (٣) قريب منكم : أى لأفهامكم ، وأذواقكم ، وآدابكم .
- (٤) أى أرى فى وجهه من الكدر والغيرة ؛ لدخول أجنبي على امرأته .
- (٥) المراد به : شريكه فى التجارة .

ولكن رواية هذا الحديث في المسانيد معنعناً مطولاً : دعت كثيراً من الفقهاء إلى تصديقه وبحثه ، والأخذ منه بجواز إرضاع الكبير !

فهل هذا الحديث : قريب منا ! أم بعيد عنا ؟ تعرفه قلوبنا ؛ أم تنكره أشد الإنكار ؟ لانت له أبقارنا وأشعارنا ؛ أم افشعرت وجمدت !؟

ولنفرض أن هذه المرأة : أتت لأحدنا ، وشكت له ما شكت للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ أكان يقول لها : أرضعيه ، أم كان يقول لها : احتجبي عنه !؟

وأى الجوابين أولى وأصح : قول الرسول الأعظم ؛ الذى كان كل فعله وقوله : تشريع . أم قول مخلوق مغمور من أمثالنا !؟

وهكذا أحاديث كثيرة : اتصفت بهذه الصفات ، واتسمت بهذه السمات !

منها - على سبيل المثال لا الحصر - وقوع يوسف فى الخطيئة ؛ حين هم بامرأة العزيز ! وقصة زينب بنت جحش ؛ وما اكتنفها من أكاذيب وأضاليل ؛ بلغت حدّاً لا يرضى عامة الناس ودهماؤهم : أن ينسب لإيهم !

وقد أرادوا بأحاديث أم المؤمنين زينب بنت جحش ؛ أن يصوروا محمداً : عظيماً فى كل شيء ؛ عظيماً حتى فى شهوات الدنيا ؛ التى ذمها المولى سبحانه فى كتابه !

وقد أخطأ الدكتور هيكل ؛ حيث يقول فى كتابه (حياة محمد) إن القوانين التى تجرى على الناس : لا سلطان لها على العظماء ؛ فأولى ألا يكون لها سلطان على المرسلين والأنبياء !

وهو قول خاطيء - جملة وتفصيلاً - فى ظاهره وباطنه ؛ فان الأنبياء والرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليهم : جاءونا من لدن المولى سبحانه بأوامر واجبة الطاعة ؛ وذلك لبعدها عن الجور ، وعن الانحراف !

فإذا ما زعم زاعم - كافر بالله ، وبكرامة رسوله - أن أحد هؤلاء الأنبياء قد حاد عن المثل العليا : جاز - طبعاً - لمتبعيه أن يخرجوا عن طاعته ، ويكفروا برسالته !

فإذا قيل : إن أحدهم ؛ بل كبيرهم ؛ نظر الى امرأة واحد منهم ؛ فهويها ! حق لنا أن نقول : إن مثل هذا لا يصلح للرسالة التى اختصه المولى سبحانه بها ، واتممه عليها ؛ ولا يصلح للزعامة التى بوأه الله تعالى لإياها ؛ وإلا جاز لنا أن نفتدى به ، ونسير على هديه !

وهو — كما ترون — هدى فاسد : أقرب إلى الشيوعية الملحدة البغيضة : من الإسلام القيم ، المنير ، المحبوب !
وقصة داود : إذ رأى امرأة عريانة ؛ فوقر حبها في قلبه ، فأرسل زوجها للجهاد : ليقتل ؛ فرجع منصوراً مأجوراً ! فأعادته للحرب ثانية ، وثالثة حتى قتل ؛ وتزوج امرأته !
وقصة سليمان : إذ طفق يقطع أعناق الخيل وسوقها ؛ وقد كانت معدة للجهاد !
وأمثال ذلك : يضيق المقام عن حصره !

ذبوع هذه الأحاديث

وكل ذلك : وارد في صحاح الصحاح ؛ بشق الروايات ، ومختلف الالفاظ .
وقد بلغ من ثبوت هذه القصص لديهم : أن وردت في شق التفاسير ؛ كبيرها وصغيرها !
وقد بلغ من ذبوعها وشیوعها : أن أورد الطبري — وهو من أئمة المفسرين ؛ بل إمامهم جميعاً — عشرات الروايات ؛ بطرق عدة !

وقد رووا في بعض هذه الأحاديث الفاسدة أن الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ عند ما قرأ قوله تعالى « أفأرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، قال : تلك الغرائيق العلاء وإن شفاعتهن لترتجى !

واستدلوا على ذلك الأقول الفاسد السقيم ؛ بقول العزيز الحكيم « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، وأولوا التمنى : بالقراءة ؛ فتعسأ لهم وسعماً !

فانظر — رحمك الله — إلى أى مدى بلغ بهم الفسق ، والكفر ، والضلال !

وحديث الغرائيق : ذائع في كتب التفسير ؛ ذبوع الشهادتين ! رغم أنه ظاهر البطلان ، مكفر لمن يعتقده ! وقد أبدوا صحته بقوله تعالى « لقد كدت تركن لإيهم شيئاً قليلاً ، مع أن ذلك الركون : فوق الكثير بكثير !

ولا يجوز مطلقاً أن ينسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام النطق بالهجر ؛ فكيف بالكفر !

وقد ذهب قتادة إلى أن الرسول : تلاه ناعساً !

وقال ابن عباس : إن شيطاناً يقال له الأبييض كان قد أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في صورة جبريل ؛ وألقى في قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : تلك الغرائيق العلاء ، وأن شفاعتهن لترجي .

وقد زعموا أن الرسول المعصوم المبرأ قال بعد أن قال ما قال « افتريت على ربي وقت ما لم يقل » . ما شاء الله ! الرسول : ينعم عند التبليغ ، ويفترى على الله !

وزعموا أيضاً أنها من القرآن ؛ ونسخت بقوله تعالى « فينسخ الله ما يلقي الشيطان » . ولا ندري : كيف ينطق الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بما نطق بهد أن حشى قلبه الشريف ؛ الذي ينبض ، وحشيت عروق حلقه — التي ينطق بها — بالحكمة والإيمان ؟ هذا وإن ما قلناه في هذا الصدد : دون القليل ؛ ولو شئنا لجئنا بما يملأ المجلدات الضخام . ولو سكت المسلمون على هذا القذى ، وارتضوا بهذا الأذى ! الذي اختلقه اليهود الملائع ، ودسه غلاة المنافقين : لأصبح ديننا الطاهر ؛ كسائر الأديان الفاسدة المتداعية ! وهي ليست منا ببعيد !

(وإن أردت المزيد : فانظر كتابنا أوضح التفاسير ؛ عند تأويل هذه الآيات) . ولن يضير أئمة الحديث — كالبخارى ، ومسلم ، وغيرهما — ولا ينتقص من أقدارهم : تسرب بضع أحاديث منكورة ؛ في هذا الخضم الزاخر بالصحة ، والجودة ، وأمانة النقل ، والإخلاص للعلم ، والله ورسوله !

الدس في الحديث وغيره

وكيف لا يجوز الدس على مثل البخارى — رغم خطره ، وعلو قدره — وقد دس على الرسول نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم : ذراع شاة مسمومة ؛ فأكل منها !

فكان صلى الله تعالى عليه وسلم : مصدقاً لمن قدم له الذراع ، وكان البخارى رضى الله تعالى عنه : مصدقاً لمن قدم له الحديث !

وقد اشتهر — من قديم الزمان — واضعوا الأحاديث ، ومزيفوها ؛ فلم يدعوا شيئاً إلا وولغوا فيه !

حق الإنفار (وهو إتيان المرأة في دبرها) وجدوا له ما يؤيده ويبرره ؛ رغم فحش مرتكبه ، وبمده عن الإسلام !

كتمان الحق : لائم

وقد يوافق كثير من المسلمين على ما أقول ؛ غير أن جبناً راودهم ، وتردداً خالطهم ؛ عن أن يجهروا بكلمة حق : قد تقرّبهم من خالقهم ؛ غير أنها قد تباعد بينهم وبين المخلوقين ؛ ومما يؤسف له أشد الأسف : أن هذا صار شأن كثير من فضلاء الأمة : الذين أضاع فضلهم جبنهم ، وتخليهم عن قول ما يعتقدونه حقاً : قولاً صريحاً مدوياً ، كشأن المؤمن الصادق الإيمان !

ولن يبتلى الإسلام بشراً من يكتم ما يعلم : خشية ضجيج الجهال ، ونعيق الغربان ، ونعيق الضفادع !

من حق كل مسلم أن يجهر برأيه : نفيّاً أو إثباتاً

فلا حرج على مثلي أن يجاهر بما يعتقد ، ومن حق كل مسلم — يغار على دينه — أن يقول لي : قد أخطأت ، وجانبك الصواب ! ولا لائم على فيما قلت ، ولا لائم عليه فيما قال ؛ لأن كلانا يئشده الحقيقة المطلقة ، وكلانا يبتغي رضا المولى سبحانه ؛ في كل ما يقول أو يدع ! هذا : ومسألة العروج بالرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه إلى السماء ، والتقاءه بمولاه : رب العزة سبحانه وتعالى ! مسألة ذات شطرين : أولاهما — مسألة العروج نفسه ؛ وهل كان بروحه فحسب ؛ أم بروحه وجسده معاً ؟ وقد رجح الاكثرون الرأي الثاني (كما أوضحنا ذلك في أوضح التفاسير) .

ثانيهما — الأحاديث الواردة في ذلك ، ومبلغ مجافاتها للعقل والذوق ، ومخالفتها لأبسط قواعد الإجلال والتقديس الواجبين لذات المولى سبحانه وتعالى ؛ ولرسوله عليه الصلاة والسلام !

نتيجة أحاديث المعراج

فإذا ما بحثنا الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج : اصطدمنا بمخضم عجاج ، متلاحم الأمواج ؛ وبحر لاغور له ولا ساحل ؛ من روايات شتى ، متلاحقة متباينة ، وكلها يدور

في محور واحد ؛ نخرج منه بنتيجة واحدة ؛ لا مناص منها ، ولا محيد عنها : وهي الرفع من شأن موسى ، والخط من قدر محمد ! والرفع من شأن محمد ، والخط من قدر جبريل ! بل نخرج بالخط من أقدارهم جميعاً !

موسى عليه السلام

فوسى — وهو من خيرة أنبياء الله تعالى — يتفوه بما لا يصح أن يتفوه به أوساط الناس وعامتهم ، ويخاطب مولاه تعالى بالصياح والضجيج !

محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

ومحمد — وقد بعثه الله تعالى رحمة للعالمين — يصير كالدمية في يد موسى ؛ يحركه كيف شاء ، ويكون مرشداً له ؛ فيأمره بالصعود والهبوط ، لمراجعة ربه سبحانه وتعالى تسع مرات ؛ فلا يخالف له أمراً ، ولا يعصى له إشارة !

وبذلك يعارض محمد ربه جل وعلا ، ويراجعه ؛ بما لا يصح أن يعارض به ، أو يراجع عبد سيده ؛ وهما صنوان ، من بقى الإنسان ؛ فما بالك بالإنسان والرحمن ؟ !

جبريل عليه السلام

وجبريل — وهو أمين الله تعالى على وحيه ، وكبير ملائكته ، ورسوله إلى رسله — لا يدخل السموات — التي هي مستقره ومقامه — إلا بإذن ، وقرع الأبواب ، وتنكر له ، وتجاهل لمركزه وصفاته ؛ بمن هم دونه من الملائكة !

المولى جل وعلا : لا يراجع

والمولى سبحانه وتعالى — وهو رب العزة ، وبارئ النسم ، ومنشئ الخلق من العدم ، وخالق الكل ، ورازقهم ، وراحمهم : يأمر مخلوقاته بما لا يطاق تحمله ، وهو القائل : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . . . لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها . . .

ويراجعه واحد من مخلوقاته فيما أمر : مرات عديدة ؛ وهو الذي لا يرد له أمر ، ولا معقب لما يريد ، والله يحكم لا معقب لحكمه . . . ما يبذل القول لدى . . .

ولسنا في هذه الحال : حيال شخصين متشابهين : يفضل أحدهما الآخر ؛ بل نحن حيال خالق ومخلوق ، وعابد ومعبود ، وإله وإنسان !

ليست بينهما مشاكلة أو مقارنة : اللهم سوى علاقة عبد بسيدته الأعلى ؛ وذلك العبد : يفخر بعبوديته ، ويباهي بها !

إذاعة حديث المراج بالتليفزيون

هذا وقد فوجئت أخيراً في رمضان هذا العام (١٣٩٣ هـ) في التليفزيون المصري ؛ بأحد العلماء الأعلام : فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، .

وهو من خاصة من عرفت ، ومن أقدر فضلهم ، وعلمهم ، ودينهم ! فوجئت به يتكلم في موضوع المراج : بتوسع ، وإسهاب ، وطلاقة ؛ بل ويتأثر وتأثير روى بالغين !

حسن سمعت ، وطلاقة لسان ، وسعة علم ، ودقة فهم ! وكنت به معجباً أشد العجب ؛ حتى أنى كثيراً ما بكيت عند استماعى إليه ؛ وبالأحرى عند استماعى لذكر سيدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ! ولو كنت لا أقر ما أسمعه !

ولكن العاطفة : لا تغنى عن بحث الحقائق مجردة من الدوافع : لتوضع الأمور في مواضعها ؛ خصوصاً ما يتعلق منها بكرامة الدين ، وما يمس حرمة الأنبياء والمرسلين !

ولكنى ما إن استمعت إليه : إلا وأدركنى — رغم بكائى — من الغشيان ما يدركنى دائماً حين أستمع لأمثال هذه الأحاديث : التى أعتبرها سبة للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ لا مدحاً له ! ونقصاً فى الدين لا إعلاء لشأنه ! وحطماً لقواعد الذوق والأدب ؛ لا إرساء لها !

وقد ذكرت ذلك لأعز صديق ، وأحب ابن : الأستاذ الدكتور محمد عمر زبير : عميد كلية الاقتصاد ، وأمين جامعة الملك عبد العزيز (وهو صديق صدوق للأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى) فرأيت — للأسف — مؤيداً لما سمعه منه . وهو فى ذلك معذور . عذر الآلاف المؤلف من صالحى هذه الأمة ! الذين يعقلون أنفسهم بعقال غيرهم ، ويتقيدون بقبود من الأوهام !

نقض حديث المعراج

وقد دعاني كل ذلك إلى أن أدلى بما أراه صواباً : أثاب عليه ! فإن أصبت : فالحمد لمن وهبني الإصابة ! وإن أخطأت : فليأجرني الله سبحانه بقدر إخلاصي له ، وتمسكي بدينه ، وحيي لرسوله !

ورجائي السلامة من سخطه ، والطمع في عفوه ومغفرته !

ومن رأى صواباً غير الذي قلته : فليردني إليه ؛ وهو في ذلك مشكور مأجور ! وإن أعد من يفند رأئي ، أن أشره له : أمانة للعلم ، وبراءة من الجهل ! وأن ألتزم برأيه ؛ إذا هداني الهدى له ، ووفقني إلى قبوله !

ولنبداً الآن — بعون من المولى سبحانه — في ردّ هذه الأحاديث ، وإثبات ما رأيناه باطلاً فيها !

ونحن إذا ما تكلمنا فيها : فليس هذا بمنقص من أقدار أناس : وقفوا أنفسهم ، وقضوا حياتهم في حب الرسول عليه الصلاة والسلام ، واستقصاء أحاديثه الكريمة من مظانها ومنابعها ، وأحسنوا ترتيبها وتأويلها ؛ مخلصين في ذلك كل الإخلاص ، متعبدين به أسمى التعبد ؛ طالبين من الله مولاهم الحق : الرضا عنهم بما قاموا به ، وإحلالهم مستقر رحمته بما صنعوا ! وليس بمنقص من قدر البخاري ، أو مسلم رضى الله تعالى عنهما : بطلان بضع أحاديث وردت في صحيحيهما الحاويين لمشرات الآلاف من الأحاديث البالغة قمة الصحة ، وقمة الفضل والجودة !

وقد وعد المولى سبحانه بحفظ كتابه ، ولم يعدنا بحفظ كتب الصحاح من أحاديث رسوله ! والخطأ : جائز على كل مخلوق : عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ! فمن ادعى أن إنساناً ما — من غيرهم — لم يخطئ : لزمته الحججة ؛ وكان هو المخطئ في تصويره هذا !

والقرآن — الكريم — وقد وعد المولى سبحانه بحفظه — يجب تطويع العقول له ؛ لا تطويعه للعقول ! أما ما عداه : فيجب أن نأخذه بشريطة موافقته للعقل ، والعرف ، والدين ، والأخلاق .

قواعد مناقشة هذا الحديث

وعلينا — قبل أن تناقش أحاديث المراج — أن نضع أمامنا قواعد رابحة ، وأساساً ثابتة ؛ سداها ولختها : الأحاديث الصحيحة المعقولة المقبولة ، وآيات الكتاب العزيز الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ،

فقد قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ حينما سأله بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم : هل رأيت ربك ؟ قال عليه الصلاة والسلام « ذلك نور أنى أراه ، أى كيف أراه ! وقول عائشة رضى الله تعالى عنها « من قال : إن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية » . ثم قرأت « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

وقول المولى سبحانه « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء » .

فهذه هي الصور الثلاث : التي لا يكلم المولى سبحانه بشراً إلا في حدودها !

وتقييد الآية بالبشرية « ما كان لبشر » ولم يقل : ما كان لأحد ، أو ما كان لمخلوق .

هذا التقييد : يحتمل تكليم المولى جل وعلا لغير البشر : كالملائكة المقربين مثلاً ؛ الذين هم ليسوا من البشر .

وقربهم من الله عز وجل ، وتلقيهم لأوامره مباشرة : قد يقتضى مكالمتهم بغير هذه الصور الثلاث وقيودها .

وهذه الأسس التي ذكرت في الآية الكريمة ؛ والأحاديث الصادقة ؛ التي ذكرناها : لا يستطيع مسلم — مهما كابر — أن يخرج عن منظوقها ، ولا مفهومها ، ولا إطارها العام . وذلك لأن هذه الأحاديث الصحيحة — بمدلولها ومعناها — قد أجمعت ، وتواترت على عدم رؤية الرسول الكريم ؛ لمولاه العظيم « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

وقد جاءت الآية الكريمة بما يقطع كل شك وريب : إذ أوضحت أنه لا يجوز ، ولا يصح : ولا يعقل ؛ أن يكلم الله بشراً ؛ إلا في حدود الاستثناء الذي أوردته الآية : إلا وحياً ؛ أى إلهاماً ؛ في يقظة ، أو منام ، لأن من معاني « الوحي » لغة : الإلهام والكلام الخفي .

« وحياً ، كوحية تعالى لام موسى ، وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ، » .

« وكوحية جل شأنه للنحل ، وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون ، » .

« وكوحية سبحانه وتعالى للنخضر عليه السلام : بقتل الغلام ، وخرق السفينة ، وإقامة الجدار ، وما فعلته عن أمرى ، » .

ومنا ما : كوحية تعالى إلى إبراهيم ؛ حيث قال لولده إسماعيل عليهما السلام « يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبت افعل ما تؤمر ، » .

ومن يوحى إليه في المنام يسمى بالحدث — بفتح الدال المشددة — وقد رووا عن ابن عباس رضی الله تعالى عنهما : أنه قرأ « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث ، وهي قراءة شاذة : لعدم ورودها في المصحف الإمام .

وقد ذهب الإمام الشوكاني إلى أن المحدث : هو الصادق الظن ، المصيب الفراسة . وذلك تأويلاً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام « لأنه قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد منهم : فعمر منهم ، وذلك لأن عمر رضی الله تعالى عنه : قد جاء القرآن والوحى موافقاً لقوله في كثير من الأحيان : مثل اتخاذ الحجاب ، والأسرى ، والأذان ، وغير ذلك ؛ مما هو معروف .

أو من وراء حجاب : بظهور صوت كريم ؛ لإله عظيم لا يتصف هذا الصوت بصفة من صفات أصوات المخلوقين : ارتفاع ، أو انخفاض ، أو نعومة ، أو خشونة ، أو جهورة . بل صوت : يسمع ويفهم فحسب !

كسكليمه تعالى لموسى عليه السلام ؛ عند الشجرة ، وسكليمه جل شأنه لنبيينا محمد عليه الصلاة والسلام ؛ ليلة المعراج ، عند فرض الصلاة .

أو يرسل رسولا : يرسل المولى عز وجل خيرة ملائكته : جبريل عليه السلام ؛ لخيرة خلقه : الأنبياء جميعاً عليهم السلام ، وإمامهم وخاتمهم : محمد صلى الله تعالى عليه وسلم !

فإذا سرنا في مناقشة أحاديث العروج ؛ على ضوء ما قدمناه : ثبت لنا بما لا يقبل أدنى شك : أن الرسول الكريم ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه قد كلبه مولاه ؛ كما كلم موسى : صوت كريم ، بلا رؤية ، ونور بلا مصباح !

وفرض عليه وعلى أمته الصلاة ؛ كما فرض على موسى وأمه : ما فرض في الألواح
التي أنزلت إليه .

كيف يكون محمد كـموسى ؟

بقى اعتراض واحد : يجوس في خاطري ؛ قبل أن يجوس في خواطر الآخرين ؛ وهو :
كيف يكون محمد — وهو من هو : مكانة ، وقدراً ، وسمواً — في صف واحد مع موسى ؟
وكيف يكون محمد : الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ؛ كواحد من العالمين ؟

ولم أجد في نفسى عناء في الإجابة على هذا الاعتراض الجدلى
فستان بين من تجراً ؛ فطلب رؤية ربه « رب أرني أنظر إليك ، واحتاج
— في إقناعه — إلى دكدكة الجبل « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً ، .
ستان بينه ، وبين من طلب إلى السموات العلى ، فلم يرن بطرفه إلى ما جال بخاطره ،
ولم يطلب من مولاه مستحيلاً !

وستان بين من كلفه ربه في أرضه ، ومن كلفه سبحانه وتعالى فوق سمواته !
وستان بين من خاطبه المولى سبحانه بقوله « ولتضع على عيني » ومن خاطبه الكريم
بقوله « فإنك بأعيننا » .

العودة إلى أحاديث المعراج

ولنعد بعد ذلك إلى مناقشة ما جاء في هذه الأحاديث ؛ وهي كثر : يضيق المقام عن
ذكر بعضها ؛ وقد أصبحت محفوظة عن ظهر قلب للنخاص والعام ؛ فلا داعى لذكرها ؛
مكتفين بذكر ما تناولته اعتراضاتنا لحسب ؛ ومن أراد التفصيل ؛ فمكتب الأحاديث
ملاى بها ، وشق التفاسير خاصة بتفصيلاتها وتأويلاتها . وسنشير إلى بعضها إذا اقتضى
المقام ذلك .

شق صدر الرسول عليه السلام

١ — فقد جاء في بعض روايات هذه الأحاديث : أن جبريل عليه السلام جاء الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم ، فشق صدره الشريف ، وأخرج قلبه ؛ ففسله بماء زمزم . . .

قال : فأثبت بطست من ذهب ، مملوءة حكمة وإيماناً ؛ فخشى بهما قلبه الشريف .

وقيل : إن قلبه الشريف ؛ قد شق مرتين .

ورواية الحديث تقول « فخشى صدره ولغاديدته ، (أى عروق حلقة) .

وهنا يحق لنا ؛ بل امكّل عاقل أن يعترض :

هل تُتري الحكمة والإيمان في الطسوت ؟ ولو كانت هذه الطسوت من ذهب ،
أو ماس ، أو زبرجد !

وما الحكمة في أن المولى سبحانه وتعالى يجعل هذا أمراً مادياً ، ملبوساً ، محسوساً ؟
وقد أورد المولى جل شأنه ؛ في كتابه الكريم ؛ على رسوله الرؤف الرحيم ؛ في شأن
داود عليه السلام « وآتاه الله الملك والحكمة ، وقوله عز من قائل « يؤتى الحكمة من يشاء » .
فكيف يؤتى المولى سبحانه وتعالى الحكمة لداود ؛ بل لمن يشاء من خلقه ؛ بغير شق
صدره ، وإخراج قلوب ، وإدخال الحكمة فيها ؛ محمولة في طسوت من ذهب ! ؟

كل هذا وأمثاله : يجعلنا في حل من رد هذه الأحاديث وأمثالها !

ومن رأى قبولها : فليقبلها ؛ وأمره مفوض لربه !

٢ - وقد قيل : إن جبريل عليه السلام : صلى بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الظهر
(أول صلاة : تعليماً له) .

ويناقض هذا القول : حديث آخر جاء فيه : إنه صلوات الله وسلامه عليه ؛ صلى
في كل سماء ركعتين يوم أملاكها !

٣ - كما قيل : إنه عليه الصلاة والسلام : قد أسرى به مرتين ؛ إحداهما ؛ في نومه
- قبل النبوة - والآخرى : في يقظته .

وقيل : أسرى به : يقظة ، وعرج به مناماً . . . الخ .

فساد القول بربط البراق

٤ - قد أجمعت الأحاديث الواردة كلها على أن الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ حينما
وصل إلى المسجد الأقصى : نزل عن البراق ، ثم ربطه بحلقة باب المسجد . أو ربطه
جبريل بالصخرة كما قدمنا .

البراق ملكا، لا دابة

وهنا يحق لسائل أن يسأل : هل كان البراق دابة ؛ خشى الرسول الكريم أن تند ، أو تجفل ؛ وتنطلق في الصحراء ؛ كما يقع من شرار الدواب ؟ أم كان ملكا مكلفا بحمله صلوات الله تعالى وسلامه عليه « من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » كما ورد في الكتاب الكريم .

فإذا افترضنا أنه دابة ؛ فإن من الأفراس والدواب : من يقف عند صاحبه فلا يزول عن مكانه !

وإذا كان ملكا — كما جاء في الأحاديث — فكيف يعامل الملك ؛ معاملة الهائم العجاوات ؟!

وفي الخالين : أين جبريل وميكائيل عليهما السلام ؛ وقد كانا يسيران في ركابه كما ورد ؟ وقد جاء في إحدى روايات هذا الحديث : أن جبريل عليه السلام أتى الصخرة ببنت المقدس ؛ فوضع أصبعه فيها فخرقها ؛ فشد بها البراق .

جبريل : الذي يرفع البلدة بما فيها ومن فيها إلى عنان السماء ؛ فيعليها رأساً على عقب ؛ يخشى أن يند منه البراق ؛ الذي يعلم أنه ليس بحيوان جموح ، ولا لإنسان طموح ؛ بل ملكا من الأملاك ؛ الذين « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

ه — وجاء أيضاً في هذه الأحاديث : أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : صلى في بيت المقدس ؛ ليلة أسرى به .

وقد أنكر كثير من الصحابة هذه الصلاة .

وقال حذيفة بن اليمان رضی الله تعالى عنه : لو صلى فيه : لكتبت علينا صلاة فيه .

وقد رأى بعض الصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام في المنام — بعد لحوقه بالرفيق الأعلى — فقال له : يا رسول الله إن ناساً من أمتك يحدثون عنك في السرى^(١) بعجائب . فقال صلى الله تعالى عليه وسلم « ذاك حديث القصاص » .

١ — المراد بالسرى : الإصرار . والسرى ؛ كالفدى : سيرة غامة الليل .

طرق جبريل لأبواب السموات

٦ - ويأتي بعد ذلك : الصعود إلى السموات ؛ وكيف كان يطرق جبريل عليه السلام باب كل سماء منها . فيقال له : من ؟ فيقول : جبريل . فيقال : ومن معك ؟ فيقول : محمد . فيقال : أوقد أرسل إليه ؟ فيقول : نعم .

علم الملائكة : أوسع من علم البشر

هذا وإن من المقطوع به أن جبريل عليه السلام : رئيس الملائكة المكرمين ، وأن من في السموات يعلمون بصعوده إليها ، وهبوطه منها ؛ لأنهم ليسوا من البشر : الذين لا يعرفون وراء ما يرونه بأعينهم ، ويلسونه بأيديهم .

بل إن من البشر من يعلم من يطرق بابه ، ومن يكون مع هذا الطارق ؟

وعلى هذا أبسط المشتغلين بفن التنويم المغناطيسى .

ومن الواضح - عقلاً ونقلاً - أن ملائكة السماء : خير من سكان الأرض : معرفة لما يجرى ، وإدراكا لما يدور .

وإن أردنا أن نوضح ذلك نقلاً : فقد جاءنا جبريل الأمين ؛ بما أوحاه إليه رب العزة في قرآنه الكريم الحكيم ؛ على لسان الجن : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . »

فأين الحرس إذن ؟ وأين الشهب ؟ عند وجود غريب عن السماء ؛ في السماء . إن لم تكن هناك بشارة بمجيء هذا الغريب ، واستعداد مسبق للقائه وتلقيه !

وما ذكر في الحديث ؛ في هذا الصدد : استهانة بملك الله سبحانه وتعالى ، وامتهان لمخلوقاته ؛ التي اختصها بقوى ، وقدرات ؛ ليست بمقدور البشر ، ولا طاقتهم !

بكاء موسى عند لقاء محمد

٧ - وبعد ذلك : يذكر الحديث لقاء الرسول بموسى عليهما الصلاة والسلام ؛ وأنه بكى عند لقائه ؛ فقال له جبريل : ما يبكيك يا موسى ؟ فقال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدى : يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمي !

موسى عليه السلام : يقول عن الرسول عليه الصلاة والسلام : مثل هذا الغلام !
أف لمن يسمع هذا فيصدقه ! أو يسمعه فلا يحاربه !
وهذا الكلام الذى يزعمون أن موسى نطق به : ينبعث عنه دهماء الأمة وغوغاؤها ؛
الذين نسمع منهم مثل هذا الابتذال !
فكثيراً ما نسمع مثل هذا الهراء ، والبذاء ، من طغام الناس ؛ فيؤذى سمعنا وأذواقنا
ما يقولونه !

هذا فضلاً عما فيه من الحقد على من وهبه الله تعالى خيراً وفضلاً من لدنه !
وهذا الحقد الذى يروونه صدر عن ١٩
صدر من نبي من خيرة أنبياء الله تعالى ، وصفوة رسله ؛ وفى دار البقاء ؛ بعد أن أذهب
المولى سبحانه عن عامة الناس ودهمائهم : كل حقد ، وغل ، وحسد ؛ فما بالك بخاصة
الخاصة : من المرسلين والنبیین ١٩

وهذا القول : يتنافى مع قول الله تعالى « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من
كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . قال أقررتم وأخذتم
على ذلکم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . »
فمنطوق هذه الآية الكريمة : يتنافى مع ما قاله موسى لمحمد ؛ وقد أخذ الله تعالى على
موسى وعلى سائر الأنبياء معه : المواثيق والعهود على الإيمان به ونصرته !
وهل من الإيمان به ونصرته ، أن يقول عن محمد : « مثل هذا الغلام ، وفى هذا القول
ما فيه ؛ من الكفر بقدر محمد ؛ لا الإيمان به ! وخذلانه ؛ لا نصرته ! ونقض ميثاق الله
تعالى ؛ لا الوفاء به !

وبعد ذلك يلزموننا لإلزاماً بأن نتقبل هذا الحديث ، ونجعله أساساً من أسس
الدين والإيمان !

موسى لم يكن حاقداً على محمد

وموسى عليه السلام — وقد اختاره ربه رسولا نبياً — لم يكن فى حياته الدنيا بمن
يتصف بهذه الصفات الخسيسة ؛ وإلا لما اختاره الله تعالى لما اختاره له ! فكيف به ،
وقد لقي مولاه ، وصار بقره ممتعاً برضوانه ورضاه ! ؟

ووصف موسى لمحمد بالغلام ؛ فإنه فضلا عن مجافاته للأدب ، ومنافاته للذوق ! فإن الغلام لغة : الصبي حين يقارب البلوغ ، والخادم الصغير .

سن الرسول عند الإسراء

وقد أسرى بالرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : بعد نبوته بعشر سنين ، وقد بعث بعد الأربعين .

والراجع أن سنه عليه الصلاة والسلام حين أسرى به : إحدى وخمسين سنة ، وتسعة أشهر ، وثمانية وعشرين يوماً .

أما من قال : إنه أسرى به قبل بعثته ؛ فقد أخطأ خطأ واضحاً فادحاً !

إذ كيف تفرض على أمته الصلاة ؛ ولم يرسل لها بعد ، ولم يعلم بنبوته أحد .

بل لم يعلم هو نفسه أنه سيكون نبياً يوماً ما !

٨ - وجاء أيضاً في هذه الأحاديث : أن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى فوق

السموات السبع : النيل والفرات - أي والله النيل والفرات !

وكلنا يعلم أن النيل : في مصر . والفرات : في العراق .

وكلنا يعلم أيضاً من أين ينبع النيل ، وأين يصب ، ومن أين ينبع الفرات وأين يصب .

ومهما قيل من تعلات ؛ فهي حقائق ثابتة ، يجب النزول عليها ، والوقوف عندها !

فإن قيل : إنهما في السماء ؛ يغذيان بمائهما نيل الأرض وفراتها . قلنا : إن سائر أنهار

الأرض : ينزل ماؤها من السماء . حتى المسيسي « بأمریکا » والتميس « بانجلترا »

والراين « بفرنسا » .

تقدم محمد وتراجع جبريل

٩ - وقد جاء في هذه الأحاديث - المتسكرة الغريبة - أن محمداً وجبريل عليهما

الصلاة والسلام ؛ حينما وصلا إلى سدرة المنتهى : قال جبريل لمحمد : تقدم أنت يا محمد ؛ فإنك

إذا تقدمت : اخترقت ، وإذا تقدمت أنا : اخترقت (١) !

١ - هذه هي رواية الأستاذ الشعراوي ؛ كما رواها في محاضراته التي القاها بالتليفزيون . ولم أعر

على هذا المنطوق فيما بين يدي من المراجع .

وهي قاله : ليس لها معنى ؛ سوى إرادة تفضيل محمد عليه الصلاة والسلام ؛ على جبريل عليه السلام ، وهي مسألة — كما قدمنا آنفاً — مقطوع بها ، ولا تمبل حواراً ، ولا جدلاً ! وفيها من الغرابة ما فيها : إذ كيف يحترق جبريل في المكان الذي يلججه في كل وقت وحين ؟ ! والذي هو مكان رضاء ورحمة ؛ وليس مكان عذاب ونقمة !

أليس جبريل : رسول الله ؛ إلى رسل الله ؟

وكيف يتقدم المرسل إليه ؛ ولا يتقدم الرسول ؟

وفي إحدى روايات هذا الحديث : أن جبريل عليه السلام وقع مغشياً عليه ؛ ولأول مرة نسمع أن أحد الملائكة وقع مغشياً عليه في الدنيا ؛ وقبل قبض أرواح الخلائق جميعاً عند القيامة .

ومن المعلوم أن جبريل عليه السلام : له صورتان : صورة يلتقي بها مع محمد عليه الصلاة والسلام ؛ لإيلاف قلبه ؛ وصورته الحقيقية ؛ وهي كما جاء في الأحاديث التي وردت في وصفه : ساداً ما بين الأفق ! فهل كان — عند غشيته — في صورته الحقيقية ؛ أم في صورته الإنسانية ؟

وهنا يطرأ سؤال آخر : كيف يصعد جبريل إلى السماء مع الملائكة في صورته الإنسانية ؟
١٠ — وبعد ذلك التقى محمد عليه الصلاة والسلام ؛ بربه جل وعلا (كما يروون) .

فرض الصلوات

قال : فخررت ساجداً لله عز وجل ، فقال لي « يا محمد إني يوم خلقت السماء والأرض : افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك » .

عدم استطاعة القيام بهذه الصلوات

يا للهول ! رب العزة : الرؤف الرحيم ، اللطيف الكريم ؛ الذي أنزل في محكم كتابه « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، طاقتها . و « لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها » من القوة والجهد .

يفرض الرب تعالى — الذي هذه صفاته ، وهذا كلامه — على عباده الضعفاء — فوق وسعهم وطاقاتهم — خمسين صلاة في اليوم والليلة !

ومن المعلوم أن اليوم واللييلة : يحتويان على أربع وعشرين ساعة ؛ فينخص كل صلاة ثمانية وعشرين دقيقة !

فانظر بربك أيها المسلم العاقل ؛ وليس بغافل ! العالم ؛ وليس بجاهل ! العادل ؛ وليس بظالم !

يقول المولى سبحانه وتعالى « وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً ، فأين اللباس ، وأين المعاش ؛ في هذا الخضم الزاخر بالقيام والقعود ، والركوع والسجود ؟ !

وقد قال الرسول الحبيب عليه الصلاة والسلام « إن الله تعالى لا يمل : حتى تملوا ، .
وأى إنسان : لا يدركه الملل من صلوات خمسين يؤديها تبعاً : لا يكاد يجلس ؛ حتى يقوم ، ولا يكاد يقوم ؛ حتى يجلس ، وهكذا حتى تصعد روحه لبارئها ؛ لا أقول : راضياً مرضياً ، بل أقول : ضائعاً بما كلفه به الودود المجيد !

وأين الذى لا يمل من انقضاء ليله ونهاره فى العبادة ؛ التى لا تترك له وقتاً لمعاشه ، أو لرعاية أبنائه ؛ بل ولا لإنجابهم !

اللهم سوى رسل الله تعالى وأنبيائه ؛ وعلى رأسهم محمد بن عبد الله : الذى بات يصلح حتى تورمت قدماه !

يجب أن تكون الصلاة : أحب العبادات للمؤمن

وإن الصلاة : وهى أحب العبادات لدى المسلم : المؤمن بالعطاء والجزاء : ليؤديها مؤديها ؛ وهو راغم ! وهو بذلك يكفر ، أو يقارب الكفر !

فالصلاة : التى هى عماد الدين ، بل عماد الحياة : أصبح المصلح — بالتمام ما بلغ من ادعاء الإسلام ، وتقوى الله تعالى ومحبه — أصبح يؤديها ؛ وكأنه عائد من مكروه أصابه ، وغم نزل به !

الصلاة : التى كان الرسول الأعظم صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ يقول لمؤذنه : أرحنا بالصلاة يا بلال ! والثى كان عليه الصلاة والسلام : يفرغ لإيها إذا حزبه أمر ، أو لقيه مكروه !

هذه الصلاة نفسها ، وهذا أثرها ونفعها : أصبح المسلم — الذى ما فرضت الصلاة إلا من أجل راحته — يتعب من أدائها ، ويميل من وقتها !

وهي ما فرضت عليه ؛ إلا ليفزع إلى ربه - في ساحتها - إذا ناله مكروه ،
أو نابتة نائمة !

يلاقى المسلم إنساناً - وقد يكون هذا الإنسان كافراً : لا يؤمن بالله ، ولا باليوم
الآخر - فلا يزالان في حديث تلو حديث : على شوق منهما وتلف ؛ وحين يفترقان :
يمشى كلاهما سعيداً بما لاقاه من الآخر ؛ من حديث : قد يكون تافهاً ! وحب : قد يكون
رياء ونفاقاً !

يحادث صديقه : وهو منصرف إليه بكيته - في جده وهذره - فإذا ما وقف
للصلاة مع ربه . ومالسه ، وخالقه ، ورازقه : حلت بأفكاره كل شواغل الحياة : حرامها
قبل حلالها ، وسيئها قبل حسنها !

حق إنه ليفكر - حين صلاته - في مؤمن يؤذيه ، أو صالح يرديه ، أو فتاة يتعشقها ،
أو امرأة يسطو على عرضها !

فانظر - رحمك الله وهداك - إلى أي مدى : ينزل الإنسان - مدعى الإسلام -
بعلاقته مع ربه !

يفرح اللقاء صديقه ، ويحزن له ، ويرنو إلى حديثه .

أما الصلاة : فإنه يستكثر بضع دقائق : يقضيها في نعيم لقاء ربه ومناجاته . ويعود منها :
وكأنما هو عائد من معسكر تدريب شاق ، أو من لقاء خصم عنيد !
وكأنما خلص من العناء ؛ إلى الراحة ، ومن الشقاء إلى السعادة .

فأى كفر هذا ؛ وأي إثم : يسوقهما الشيطان اللعين ، إلى أصدقائه من المطرودين !

١١ - وجاء أيضاً في هذه الأحاديث : أنه عليه الصلاة والسلام ؛ عند نزوله - بعد
فرض الحسين صلاة - مر بموسى عليه السلام ؛ فسأله موسى : بم أمرت ؟ قال : أمرت
بخمسين صلاة كل يوم ، فقال له : ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف ؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك !
قال : فلم أزل أراجع بين ربي ، وبين موسى : ويحط عنى خمساً خمساً (كأنه راجع
ربه تسع مرات) .

قال : ثم احتبس موسى عند الخمس . فقال : يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل
قوى ؛ على أدنى من هذا : فضعفوا فتركوه . وأمتك أضعف أجساداً ، وقلوباً ، وأبداناً ،
وأبصاراً ، وأسماعاً ؛ فارجع فليخفف عنك ربك .

فرجع محمد — كما دته في اتباع موسى ، والاستماع إلى ما يقوله — إلى ربه ؛ قائلاً :
يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم ، وقلوبهم ، وأسماعهم ، وأبصارهم ، وأبدانهم ؛ فخفف عنها .
فقال الجبار تبارك وتعالى : يا محمد . قال : لبيك وسعديك ! قال : إنه لا يبدل
القول لدى .

فرجع إلى موسى ؛ فقال : كيف فعلت ؟ قال : خفف عنا . أعطانا بكل حسنة عشر
أمثالها ! قال موسى : قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ؛ فارجع
إلى ربك فليخفف عنك أيضاً . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يا موسى قد والله
استحييت من ربي عز وجل مما أختلف إليه ! قال موسى : فاهبط باسم الله !
وقد زعموا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد اختلف إلى ربه تسع مرات ؛ بغير حياء
ولا وجل !

ويروى هذا الحديث رواته : بغير حياء ولا وجل !

ويصدق من يصدق : بغير حياء ولا وجل أيضاً !

وكان موسى عليه السلام : فيما قاله نصحاً لمحمد عليه الصلاة والسلام : أرأف لعباد الله
من الرؤف الرحيم ؟ وأعرف بهم من خالقهم عز وجل !

١٢ — وفي بعض روايات الحديث : أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ مر على
موسى ؛ وهو يصلي في قبره (وأين قبره من السماء السادسة ؟)

ارتفاع صوت موسى على صوت مولاه !

١٣ — هذا : وفي بعض روايات هذا الحديث الغريب : أن الرسول عليه الصلاة والسلام
— وهو في السموات العلى — سمع صوتاً عالياً ؛ فقال لجبريل عليه السلام : ما هذا
يا جبريل ؟ قال : هذا موسى . قال : ومن يعاتب ؟ قال : يعاتب ربه فيك ! قلت : ويرفع
صوته على ربه ! قال جبريل : إن الله قد عرف له حديثه !

يا لهول ما يقال ! وبالفتح ما نسمع ! ويا حسرتنا لمن يصدق هذا الهراء !

يقول المولى سبحانه وتعالى في قرآنه المجيد ؛ تأديباً للأمة ، وتعريفاً لقدر رسولها عليه
الصلاة والسلام : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . »

والنبي عليه الصلاة والسلام : بشر مثلنا ؛ ولو أنه ليس كسائر البشر !
فيأتي موسى : فيرفع صورته فوق صوت ربه ، وخالفه ، ومالكه لأنها لإحدى الكبر !
وياحق من يصدق ذلك ؛ ويا بؤس من لم يدفعه ، ويحارب من أجل بطلانه !

ثم دنا فتدلى

وفي بعض روايات الحديث « ثم دنا الجبار فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » .
١٤ - وقد جزم الأستاذ محمد متولى الشعراوى - فيما ألقاه بالتليفزيون - بأن قول
المولى سبحانه وتعالى « ثم دنا فتدلى » ، يعنى أن الجبار القهار : دنا من محمد ، وتدلى إليه !
وزعم أنه دنو : لا كدنونا ! وتدلى : لا كتدلينا !

وهو قول قاله قلة لا يعتد بها ، وقد ردّ على ذلك فضلاء الصحابة جميعاً ، ونفوه نفيماً
قاطعاً ، وعابوه عيباً شديداً !

فهذا الدنو المزعوم : ليس كنزول المولى سبحانه إلى السماء الدنيا (كما ورد في
الاحاديث) وليس كقوله تعالى ؛ في الحديث القدسي « من أتاني ماشياً أتيتته هرولة ... الخ ،
فليس هذا حقيقة واقعة ؛ بل هو على سبيل المجاز .

وإلا إذا تصورنا أن المولى سبحانه يدنو من بعض عبيده ويتدلى إليه ، وينزل بنفسه ؛
لا بأمره . وأنه تعالى يمشى هرولة !

إذا تصورنا هذا حقيقة : لسكان بعدنا عن الصواب : بعد الله سبحانه وتعالى عن
مشابهة مخلوقاته !

ومن عاب هذا التأويل - الذى أيده الشيخ الشعراوى - جلة من الصحابة ؛ منهم
ابن مسعود ، وأبو ذر الغفارى ، وعائشة ، والبيهقى : من المتأخرين ، وغيرهم ، ولا يعرف
لهم مخالف من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ في هذا التأويل . وأكدوا أن المراد
بالدنو ، والتدلى ، والرؤية : جبريل عليه السلام ، ولا قول يقبل خلاف هذا !

وقد أثار أيضاً الأستاذ الشعراوى حديث « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد
الأكبر ، وكان هذا الحديث لم يرق لديه ؛ فتناوله ببعض النقد ؛ مقررراً ألا جهاد يفضل
الجهاد فى سبيل الله ! وقد غاب عنه أن جهاد النفس : هو السبيل الاوحد للجهاد فى سبيل
الله ؛ الذى لا يجيء إلا بواسطة مجاهدة النفس ، وقهرها عن شهواتها ! وبذلك ترخص
أمامها الدنيا ، وتغلو الآخرة بما فيها من نعيم مقيم !

١٥ - هذا ، وأنه لما لا شك فيه ؛ أن رسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم ؛
أفضل الرسل على الإطلاق ، وإمامهم !

إبراهيم والملوك

وإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؛ الذى أنزل المولى سبحانه فى حقه « وكذلك نرى
إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، .
قد يقول قائل : كيف لا يرى محمد : ما رآه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ؛ من
ملكوت السموات والأرض ؟

فإذا ما استوعبنا معنى الآية الخاصة بإبراهيم عليه السلام : وجدنا أنه رأى من
ملكوت الأرض : فساد عبادة غير الله سبحانه وتعالى « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر
أتتخذ أصناماً آلهة لى أراك وقومك فى ضلال مبين ، .

ورأى من ملكوت السموات : كبار الكواكب ؛ فظن أنها قد تكون أرباباً « فلما
جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر
بازغا قال هذا ربى . . . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال
يا قوم لى برىء مما تشركون ، (١) .

ولما تبين له فساد ما عليه صحيحاً ؛ لطروه التغير عليه ، والإله : يجب أن يكون ثابتاً
لا يتغير : طلب الهداية من مولاه ، الذى خلقه ورباه ا « قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن
من القوم الضالين . . . لى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا
من المشركين ،

فلما رأى لإصرار قومه على عبادة ما لا يجوز أن يعبد ؛ بعد إبداء الحجج الناصحة
القاطعة على فساد تلك العبادة : شرع فى إفهامهم بالطريقة التى لا يستطيع نفياً عاقل ! فأتى
أصنامهم وحطمها بيديه « فجعلهم جذاذاً ، .

١ - الراجع أن إبراهيم عليه السلام : فعل ما فعل ، وقال ما قال : ليجاج قومه ، ويعلمهم أن هذه
الكواكب - رغم عظمتها ونفاستها - لا يصح عقلاً أن تكون آلهة ؛ فسا بهم بأهتهم الخسيسة ؛ التى
هى من الحجر الأسم ! وسياق الآيات تقضى ذلك التأويل .

وهي الحجة الملموسة ؛ التي لا يتطرق إليها شك : مخلوق يحطم الخالق ويهشمه ،
فلا يستطيع الخالق أن ينال منه شيئاً !

هذا مبلغ مارآه إبراهيم من ملكوت السموات والأرض .

محمد والملوكوت

فإذا ما أردنا أن نتفهم مدى إراءة رسولنا عليه الصلاة والسلام لملكوت السموات
والأرض : نرى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن بربه جل وعلا ؛ فوق إيمان الملائكة :
جبلة ، وعصمة ، ووحياً !

آمن حين نزل من بطن أمه ؛ موحدآ ، رافعآ أصبعه إلى السماء ، موجهاً بصره إليها !
وظل صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ مخفواً بعناية ربه وكلاءته ؛ فلم يقع منه ما هو
خلاف الأولى ؛ ولم ينزل من علياته إلى عموم المباحات !

بل ظل طوال حياته ؛ يرتقى درجات الكالات ؛ مدفوعاً إليها بنفسه الطاهرة ، وبمعمونة
من ربه تبارك وتعالى ؛ حتى بلغ عنان السموات ! فاختمه مولاة بما اختصه ، وحباه بما حباه !
ولاقي بعد ذلك من عنت قومه وأذاهم ؛ مالاتي ! فلم يثن ذلك من عزمه ، ولم يفتر
في عضده !

بل جادلهم بالحجة والموعظة ! وكلما ازداد إيدأؤهم له ؛ ازداد عطفه بهم وعليهم !
وكلما زادوه حقماً وسفهاً ؛ زادهم حليماً ورفقاً !
ولم يزددهم وصفهم له بالجنون ، والسحر ، والكذب ؛ سوى دعاؤه لهم بالهداية
« رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

هذا هو خيرة أنبياء الله ؛ كما أراد له الله !

وهو ليس في حاجة إلى إعلاء شأن ، أو رفعة قدر ؛ فقد أعلى المولى الكريم شأنه ؛
ورفع قدره !

١٦ — هذا وقد تطرق الأستاذ محمد متولى الشعرأوى (في محاضراته التي ألقاها في
التليفزيون) إلى قوله تعالى « لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، وأن لفظ « الكبرى »

ليست وصفاً للآيات ؛ بل المعنى : لقد رأى الآية الكبرى من آيات ربه . مريداً بذلك المعنى : آية لقاءه ليلة المعراج بربه ، وفرض الصلوات عليه .

وهو معنى لا نوافقه عليه ؛ على استحياء منا ، لتقديرنا لمزيد فضله ، وغزير عليه ، وفائض تقواه !

فكما قال المولى سبحانه لمحمد « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » فقد قال نظيره لموسى « لنريك من آياتنا الكبرى » ، ولا فرق في الحالين بين اللفظين ؛ وبالتالي بين المعنيين .

فموسى : رأى آيات كثيرة من آيات ربه : مكالمة المولى سبحانه له ، وإبدال العصا حية ، وإزالة يده بعد وضعها في جيبه ، وفضح سحر السحرة الذين جمعهم فرعون لمحاربتة ، وإيمانهم به ! ومحمد : رأى أيضاً آيات كثيرة من آيات ربه : في أرضه ، وفوق سمواته : حيث أطلعه مولاه جل شأنه على عجائب خلقه ، وما لهم عنده !

فرأى — في سموات ربه عز وجل — عدل القضاء ، وصدق الوعد ؛ لمن استوجب الحسنى ! وتأكد الوعيد ؛ لمن استوجب السوأى !

ورأى جنة مولاه وناره « بغير قيد أنهما في السموات » .

ورأى من آيات ربه آيات وأى آيات !

ثم عاد إلى حيث كان ؛ وقد تجسدت أمام عينيه المعنويات ؛ فصارت حسية ؛ لا شبهة فيها ولا غموض !

كل هذه الآيات ، أراها له مولاه ؛ من غير طلب ولا مطمع !

فقد كان يطلب منه دون ما رآه ؛ فيؤمر أن يقول « قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً » .

فأبدله المولى المتفضل عن تضييق أهل الأرض عليه : شرف الصعود إلى السماء ، وسعته له !

رد هذه الأحاديث :

١٧ — وهذه الأحاديث التي أشرنا إليها : قدردها بعض أفاضل رواة الأحاديث ،

وعلمائهم :

فقد أورد الإمام ابن كثير أغلبها ، وأشار إليها بقوله :

مشمتم على أشياء منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو منكر !

إن بها غرابة ، ونسكاراً جداً !

سياق فيه غرائب عجيبه !

في بعض ألفاظه غرابة ، ونسكاراً شديدة !

وقد قيل عن بعض رواة الحديث : إنه اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ،

ولم يضبطه !

١٨ - وحين يقول المولى سبحانه وتعالى لنا معشر المسلمين « من يطع الرسول فقد

أطاع الله » : فإنما يريد منا أن نطيعه جل شأنه بطاعة رسوله ؛ الذي لا ينطق عن الهوى !

وطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم : واجبة فيما أمر به أو نهى عنه ؛ أو فعله بنفسه .

كل ذلك حال حياته .

ويستمر الأمر بتلك الطاعة ؛ بعد لحوقه بالرفيق الأعلى ؛ بشرط أن يصح ما ينقل عنه

صلى الله تعالى عليه وسلم صحة كاملة ، وأن يكون ما يروى عنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه

في حدود الأخلاق ، والمعقول ، والمقبول : ذوقاً وعرفاً !

بل في حدود ما عرف عنه عليه الصلاة والسلام : من كريم السجايا ، وحسن الخلال !

فإذا ما روى راو : أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قال « حبيب لى من

دنيا كم النساء » ، وجب أن نذيع كذبه ، وأن نشيع فسقه !

وإذا ما روى راو : أن الرسول المعصوم رأى زينب بنت جحش ؛ وقد كشف الهواء

ثيابها ، فأعرى ساقها ، وأنه هويها ، وبدا لها منه ما يدل على ذلك ؛ فذكرته لزوجها زيد :

فطلقها ليتزوجها الرسول !

إذا زعم ذلك زاعم ، قلنا له : كذبت ، وخسئت !

لذلك : لا يجوز أخذ مثل هذه الأحاديث على علاتها ، بغير ما تمحيص ،

وفهم ، وتدقيق !

لذا أنها مصدر من مصادر التشريع ؛ كالقرآن تماماً !

والقرآن : قد حفظه منزله عز وجل ! ونحن مهمما بالغنا في المحافظة على الأحاديث ،

فلن نبلغ ما بلغه القرآن من حفظ المولى له ! وأين حفظ البشر ، من حفظ خالق البشر ؟ !

الإفراط والتفريط

١٩ — هذا وإن آفة كل الأمم : الإفراط والتفريط .

اليهودية :

فالامة اليهودية : فرطت في كل شيء — حتى الاعراض — وأفرطت في حب المال وحده ، وجمعه : يسرقون في سبيل جمعه ، ويقتلون !
يجمعونه من حل أو حرام (وقد يحلو الحرام عندهم عن الحلال) ويهدرون في سبيل ذلك كل مقدساتهم (إن كانت لهم مقدسات) .

النصرانية :

والامة المسيحية : فرطت في حق ربها ، وأفرطت في حق رسولها : فجملت من رسولها إلهاً ، وما هو بإله ! وابن إله ؛ وحاشا للإله أن يلد ! وذبيحاً من أجل خطاياهم ؛ التي لا يضيئها صلب آلاف الأنبياء !

الإسلامية :

والامة الإسلامية — حفظها الله تعالى ، ونقى عنها أوضارها — فرطت في حق ربها من التكريم والتبجيل ، وأفرطت في حق رسولها : أكرم الرسل عليه الصلاة والسلام ؛ حتى قاربت أن تقول فيه ما قالته وتقولهُ النصرارى في نبيهم !

دع ما ادعته النصرارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم !

وما نحن أولاء نردم عما فرطوا فيه في حق ربهم ، وما أفرطوا فيه في حق نبيهم !

الطريق إلى نقض ما انجمننا إليه

وعلى من يريد أن يؤيد هذه الأحاديث ، وينقض ما قلناه فيها : أن يسائل نفسه هذه الاستئلة ، وأن يحسن الإجابة عليها :

١ — لماذا شق صدره الشريف ؟

وإذا كانت الإجابة : لإخراج حظ الشيطان منه . قلنا : ولم شق صدره الشريف مرتان — كما جاء في بعض الأحاديث — وهل حظ الشيطان يعود بعد الشق والغسل ؟
٢ — هل شقت صدور كل الأنبياء ؟ أم بقي فيها حظ الشيطان ؛ كسائر بني الإنسان ؟ أم كان الشق : خصوصية لمحمد عليه الصلاة والسلام !

وما تأويل قوله تعالى : عن يوسف عليه السلام « إنه من عبادنا المخلصين » وقول إبليس « ولاغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » .

فكيف كان يوسف : بمن لا سلطان لإبليس عليهم ؛ من غير شق صدور ؛ وكان صدر نبينا عليه الصلاة والسلام : فيه حظ للشيطان ؛ احتاج معه إلى شق صدره الشريف مرتين ؟
٣ — وإذا استسغنا أن صدره الشريف قد شق فعلا ؛ فكيف نستسيغ حشوه حكمة وإيماناً ؟!

٤ — وإذا سلمنا بجميع ذلك ؛ فكيف تعرف الحكمة والإيمان في طسوت ولو كانت هذه الطسوت من ذهب ، أو فضة ؟!

٥ — لماذا ربط الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم البراق في حلقة باب المسجد الأقصى ؟ أو لماذا يحرق جبريل عليه السلام صخرة بيت المقدس بإصبعه ، ويربط فيها البراق ؟ كما جاء في بعض الروايات ، وهل كان الرسول عليه الصلاة والسلام : يعلم أن البراق ملكا ، أو دابة ؛ أو لا يعلم ذلك ؟

٦ — لماذا سئل جبريل عند كل سماء عن نفسه ، وعن معه ؛ وهو معلوم لأهل السماء ؛ معرفة لا تقبل الشك ؟

٧ — وهل اعتاد الغرباء : طرق أبواب السماء ؛ ليفتح لمن يراد إدخاله ، ويرد في وجه غيره ؟

٨ — لماذا قال جبريل لمحمد عليهما الصلاة والسلام — عند بلوغهما سدرة المنتهى — تقدم يا محمد ؛ فأنت إذا تقدمت : اخترقت ، وأنا إذا تقدمت : احترقت ؟!

وإذا كانت الإجابة : لظهور فضل محمد ، وعلوه ، وذنوه على جبريل : فأين يكون جبريل إذن : عند تلقيه من رب العزة ؛ ما يلقيه إلى أنبياء الله تعالى ، وعلى رأسهم محمد عليه الصلاة والسلام !

٩ - كيف يكون النيل والفرات ؛ فوق السبع سموات ؛ وهما في الأرض : تحد منابهما ، وتعرف مصابهما ؟

١٠ - كيف يتصور إنسان أن يراجع إنسان آخر - فيما يقوله ، أو فيما يأمر به - ثلاث مرات ؛ بغير ما وجل ، أو استحياء ؟ فكيف بإنسان يراجع رب العزة تسع مرات ؟

١١ - ولماذا وضع موسى - في هذا الحديث - موضع المرشد لمحمد ، والناصح له ؟ ولم يكن ذلك الناصح لإبراهيم - مثلاً - وهو رأس الملة الحنيفية ، وأب الأنبياء ، وجد لتبينا : عليهم جميعاً الصلاة والسلام !

١٢ - كيف يستسيخ إنسان أن ينسب إلى موسى الحقد على محمد ، وامتهان قدره ؛ مع أنه برئاسته له ، وهيمنته عليه ؟ فيبكي - حقدأ وحسدأ - ويقول عنه : مثل هذا الغلام ؟!

١٣ - كيف يعقل عاقل ؛ امتهان موسى لعزة ربه وجلاله ؛ فيخطبه مخاطبة الغد للند ؛ بل أخط ، وأشد ؟!

١٤ - ما الرد على ما قاله أئمة المفسرين والمحدثين من كلام تناول هذه الأحاديث ؛ يبلغ حد الطعن في صحتها ، وإنكار ما حوته ، وتجريح بعض رواياتها ؟

كلمة أخيرة

لأنه لا يضير اللآلئ والجواهر ، ولا ينتقص من قدرها ، ولا يطمس من نورها وضوتها : أن يملوها غبار عابر !

ولا يطعن في أصالتها وجودتها أن يقوم مسلم بإزالة هذا الغبار ؛ الذي لحق بهذه الجواهر واللآلئ ؛ فتبدو أكثر لمعاناً ، وأشد بريقاً وتلألؤاً !

وإذا ما وازنا بين خدش ذلك الطود الشاخ الذي بناه جلة العلماء ، وأئمة أهل الفضل والصدق من المحدثين ؛ بعد أن أفنوا حياتهم في تحصيله ، والحرص على نفي الشوائب عنه ومنه !

إذا وازنا بين ذلك ، وبين هدم ما بناه المولى سبحانه وتعالى في رؤسنا من موازين : لا نؤاخذ إلا بها ، ولا نشاب إلا بنتائجها !

لا نجد مناصباً من اتباع ما أَرَادَهُ اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ مِنْ عِبَادِهِ ؛ حِينَ خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ « لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا » .

فَإِذَا عَرَضْنَا مَا وَرَدَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَلَى الْعَقْلِ : نَفَاهَا . أَوْ عَلَى الْفِكْرِ : أَبَاهَا ، وَإِذَا تَدَبَّرْنَاهَا : وَجَدْنَا الْحَقَّ فِيهَا سِوَاهَا !

فَكَيْفَ نَلْقَى يَوْمَ التَّلَاقِ رَبَّنَا ؛ وَقَدْ عَقَلْنَا أَنْفُسَنَا بِعُقَالٍ غَيْرِنَا ؛ وَاتَّبَعْنَا مَا لَا تَسْتَسِيغُهُ عَقْلُنَا الَّتِي وَهَبْنَاهَا ، لِنَتَفَرَّقَ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَالْعَالَمِ وَالْجَاهِلِ !

فَإِذَا قِيلَ : لِأَنَّهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ؛ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ! قُلْنَا مَا قَلْنَاہُ أَنْفَاءً : لِأَنَّ الْمَوْلَى سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَعِدْنَا إِلَّا بِحِفْظِ قُرْآنِهِ الْكَرِيمِ وَحَدِّهِ ، وَلَمْ يَعِدْنَا بِحِفْظِ غَيْرِهِ ؛ وَلَوْ كَانَ هَذَا الْغَيْرُ : الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ !

وَهَذِهِ سُنَّةُ الْمَوْلَى سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى ، حَقِّ كِتَابِهِ الْآخِرِيِّ ؛ الَّتِي أَنْزَلَهَا مَلَائِكَتُهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ : لَمْ يَحْفَظْهَا ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعِدْ بِحِفْظِهَا !

وَأَنْ يَضِيرَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ : أَنْ يَهَابَ بَضْعَ أَحَادِيثٍ مِنْ عَشْرَاتِ الْأَلُوفِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْبَالِغَةِ نَهَايَةِ الصَّحَّةِ ، وَغَايَةِ الدَّقَّةِ !

فَمَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلِّهَا كَسَفِي الْمَرْءِ نَبِيلاً : أَنْ تَعُدَّ مَعَايِيهِ !

وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ ؛ أَنْ يَأْتِيَ كُلُّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ ؛ فَيُعْتَرِضُ عَلَى أَحَادِيثِ سَيِّدِ الْخَلْقِ ؛ الَّتِي صَحَّتْ رِوَايَتُهَا عَنْ سَادَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ وَيَقُولُ : هَذَا الْحَدِيثُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، أَوْ هَذَا الْحَدِيثُ غَيْرُ مَقْبُولٍ ؛ لَهَوَى فِي نَفْسِهِ ، وَغَرَضَ قَذْفَهُ الشَّيْطَانَ فِي قَلْبِهِ !

فَإِنْ تَكْذِيبَ حَدِيثِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : كَالسَّكْذِبِ عَلَيْهِ تَمَاماً !

عَاقِبَاتُ الْمَوْلَى بِعِنْدِهِ وَكَرَاهَةٌ : مِنَ التَّكْذِيبِ وَالسَّكْذِبِ ! فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ عَمْدًا مُتَعَمِّدًا : فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

وَقَانَا الْخَنَانَ الْمُنَانُ : شَرُّ نَارِهِ ، وَبِوَأْنَا مَقْعَدَ صَدَقٍ مَعَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ! وَبِالَّذِي قَدَّمَاهُ مِنْ بَحْثٍ وَأَدَلَّةٍ : تَبْلُغُ فِي مَجْمُوعِهَا حَسَدَ الْيَقِينِ : نَخْرُجُ بِنَتِيجَةٍ وَاحِدَةٍ لَا مَنَاصَ مِنْهَا ، وَلَا مَحِيدَ عَنْهَا : هِيَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ وَأَمْثَالَهُ مَدْسُوسٌ عَلَى فَضْلَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؛ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ ؛ وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْيَهُودُ الْمَلَاعِينُ ؛ لِيَشُوهُوا بِهِ جَمَالَ الدِّينِ — وَهُوَ فِي قَمَّةِ الْجَمَالِ — وَلِيَحْطُوا مِنْ جَلَالِ الْإِسْلَامِ — وَهُوَ فِي قَمَّةِ الْجَلَالِ !

وقد أردنا بما قلناه ؛ ردّ سهامهم في نحورهم ، وكيدهم إلى صدورهم : لبيوءوا
دائماً بالخزي والخسران !

ولا يخفى على القارئ الحكيم : أن عتاة اليهود كانوا يملأون الجزيرة العربية :
سكنأ ، ومكرأ ، وكيدأ ، ولؤمأ وخبثأ ، وجبنأ !

ولم يكن لهم من سلاح يستخدمونه سوى هذا السلاح الذي أتقنوه ، ويتقنونه دائماً !

حمانا المولى سبحانه من كيدهم ، وأبان لنا سوء مقصدهم !

ولولا ضيق المقام ؛ لأتينا فوق ذلك بالعجب العجاب !

وحسبنا الله ونعم الوكيل ؛ نعم المولى ؛ ونعم النصير ! ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛

وسبحان الله ونحمده ، سبحان الله العظيم !

هذا وقد رأينا — إتماماً للفائدة — أن نلحق بهذا الباب : بعض أخطاء المفسرين ،
وسقطات المحدثين !

أَخْطَاءُ الْمُفَسِّرِينَ : قُدَامَى وَمُحَدَّثِينَ
وَسَقَطَاتِ الْمُحَدَّثِينَ

بعض أخطاء المفسرين ، وسقطات المحدثين ا

ذهب كثير من فضلاء المسلمين إلى عدم جواز ربط بعض الآيات الكونية بالعلم الحديث ؛ بحجة أن مفهومات العلوم الحديثة : تتغير بتغير النظريات العلمية التي كثيرا ما يخطئ .

فلا يجوز أن نربط معاني الآيات بهذه النظريات ؛ فننسب بذلك إلى القرآن الكريم : ما لا يصح أن ينسب إليه .

وهذا القول صحيح إلى حد ما ؛ بيد أن هناك نظريات علمية : بلغت حد المحسوسات والمرئيات :

فليس من أحد يستطيع أن يتشكك في كون الأرض كروية ، أو أنها متحركة ، أو أنها تدور في فلك الشمس . . . الخ هذه العمليات المقطوع بها .

هذا وقد حركت هذه الأفكار شجوني وأشجاني ، وبعثت في نفسي الأسى مما رأيته وقرأته في أمهات كتب التفسير — قديمها وحديثها — مما دسه بنو إسرائيل للملأين !

ولإني إذ أسوق بعض الأمثلة ، فإنما أسوق منها النزر اليسير ؛ الذي يتسع له المقام . ومن العجب أن مادسه اليهود : قديم قدم الإسلام . وقد أخذه عنهم نفر من كبار المفسرين ؛ جرياً وراء غريب القول ، ومعجب القمص !

وقد نقلها الناقلون ، ورواها الراوون ؛ حتى بلغت حد التواتر واليقين !

وجميع ما وقع فيه المفسرون : وقعوا فيه بحسن نية ، وفهم ساذج . بيد أنهم لم يزنوا ما روه ونقلوه ؛ بموازن الفهم الصحيح ، ولم يقيسوه بمقاييس القيم والأخلاق ، ولم يفرقوا بين صحيح الأقوال وسقيمها .

هذا وقد منى الإسلام : من بدء ظهوره ، وانبثاق نوره : بأعداء بغاة طغاة ؛ جبابرة في إعداد الشر ، وتدبير المكر !

فما فتوا — حين وأوا آياته البينات ، ومعجزاته الظاهرات — أن حاكوا الأحيال ، ونسجوا الأباطيل ؛ حول ما أنزله الله تعالى من قرآن كريم ، وهدى مستقيم !

ولم يكتفوا بذلك ؛ بل دسوا في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام : ما هو برىء من قوله ، أو التحدث به .

وإن ديناً يبدأ بمثل هذه القوة ، ويتغلغل في نفوس معتنقيه بمثل هذه السرعة : لجدير بأن يلفت أنظار خصومه للكيد ، ويحثهم على النيل منه !

فلجأ اليهود — وهم العدو الأول للإسلام والمسلمين ؛ بل هم أعداء كل ملة ودين — وقد كانوا يسكنون وقتذاك الجزيرة العربية ؛ وهم أبد الدهر : أهل مكر ، ودس وخداع ! لجأوا إلى افتراء الأكاذيب وإسنادها إلى إمام الأنبياء ، وسيد الأتقياء ، وخير أهل الأرض والسماء ، عليه الصلاة والسلام . ليطفثوا بذلك نور الله تعالى ، والله متم نوره ولو كره الكافرون . وأسندوا رواية هذه الأحاديث إلى فضلاء الصحابة ، الذين اشتهروا بالصدق ، وامتازوا برجاحة العقل وكمال الإيمان !

والذى يدعو إلى العجب والغرابة : أن العلماء الأعلام ؛ الذين تصدوا الرواية الأحاديث النبوية وشرحها ، وزعموا الدراية بها ، ومعرفة الصحيح والسقيم منها : لم يشيروا إلى هذه الأحاديث وأمثالها بالتجريح والتضعيف ؛ بل كان كل همهم : بحث حال روايتها ، وهل هم من لفيف الثقة الذين يركن إليهم ، ويسند عنهم ؛ أم ممن اشتهروا بالغفلة والسيان ؟ وقد فاتهم — أثابهم الله تعالى — أن الكافر الكذاب ؛ حين يسند حديثاً مفترى عن الرسول : إنما يسنده إلى أجل الرواة ، وينسبه إلى أتقاهم وأصدقهم .

فكم من حديث افتروه على الصادق المصدوق ، وكم من قصة اختلفوها وزيفوها ! ومن عجب أن هذه الأحاديث ، وتلك القصص : وجدت مرتعاً خصيباً ؛ في بيئة أجمية : اعنقت الإسلام — تقليداً لا اقتناعاً — فنقلتها في كتبها ، وأشادت بها في تأويلاتها ! ف وقعت في تلك الأحابيل ، وعللت مادوته بشق التعاليل . ونقلها عنهم ضعيفوا الفهم . فليلوا الدراية والعلم . فسارت بين المسلمين : سير النار في الهشيم ! وقد تصدى لدفعها والتبرئ منها بعض العقلاء المفكرين ، وتصدى للدفاع عنها بعض الأغبياء المتفهمين ! وإليك الدليل ، وعلى الله قصد السبيل !

قصة زينب بنت جحش

فن ذا الذي يصدق أن النبي الأمين — الذي بعث ليتمم مكارم الاخلاق — رأى زينب بنت جحش ، فبويها ، وراقت في نظره ، وقال « سبحان مقلب القلوب ، وهي زوج لرجل آخر مسلم ، من أفراد أمته ، والى بعث إليها لبيديها ، لا ليسيديها ١٩ » وأنه كان حريصاً على رؤيتها ؛ فحدث عند مروره : أن بعث الله تعالى ريحاً فرفعت الستر ، وزينب ما عليها إلا ثوب واحد ، فرآها فوقعت في نفسه ، فأظهر أنه آت لملاقة زيد .
والأغرب من هذا : أنهم يروون أن النبي صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، قال لزيد — بعد طلاقها — « ما أجد في نفسي أوثق منك فاخطب زينب لي . »
وأن ذلك كان من النبي عليه الصلاة والسلام : امتحاناً لإيمان زيد ، وشدة يقينه : أيقوم بالوساطة خير قيام ، أم لا ؟

أيقوم بالسفارة بين من أحب امرأته — وهي في عصمته — واشتهاها ، وهي حلاله وحده ، لا يشركه فيها لإنسان : استحلمها بكلمة الله ، وتملكها بشريعة الله !
هل يقوم زيد بالسفارة بينها وبينه ؛ أم تأخذه العزة بالإثم ، فيقول : لا إن ضميري لا يطاوعني ، ونفسي تتأني أن أخطب امرأتى ، التي طلقها ؛ لأن إنساناً آخر رآها فأحبها ، ولو كان هذا الإنسان نبياً ؛ ولو كان هذا النبي محمداً !

وروا أيضاً أن المولى سبحانه وتعالى قد أشار — بعد إيراد قصة زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من زينب — إلى جواز كل ما تقدم بقوله : « سنة الله في الذين خلوا من قبل » أى سنة الله في الأنبياء السابقين : كداود ، حيث جمع بينه وبين من فتن بها . كما جمع بينك وبين زينب ، وقد فتنت بها (١) !

والاعجب من هذا : أن يأخذ بعض من يشهد لهم بالتقدير والتقدير ؛ من كبار علماء الملة الحمديدية ومنهم الإمام الغزالي في كتابه «الوجيز» في فقه الشافعي — في كتاب النكاح — يأخذوا هذه الاسطورة القذرة ، فيقولوا : إن النبي إذا نظر إلى امرأة فأعجبته : طلق من زوجها وحملت له !

(١) انظر المزيد في تفسير القرطبي ، والطبري ، وغيرهما من أئمة المفسرين . عند تأويل قوله تعالى « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها » .

وفاتهم ذكر : هل عليها أن تهتد ، أو أن يحوزها النبي بغير عدة ، ولا لإبراء رحم ١٩
وكيف يحوز نسبة بعض ذلك لسيد الخلق ؛ وقد أمر أمته فيما أمر : لا تخطب على خطبة
أخيك ولا تسم على سومه ، فكيف ينهى عن خطبة المخطوبة ، ويحتطف المزوجة من
زوجها ؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

ويمثل هذا المنطق الفاسد ، والفهم الخاطيء المظلم : كانوا يعالجون هذه المسائل
الشائكة ، التي تذهب بكرامة الدين ، وتودى بجرمة فضلاء الأنبياء والمرسلين !

قصة داود عليه السلام

ومن ذا الذي يصدق أن داود ، عليه السلام : فعل ما لا يفعله أقل الناس خلقاً
وديناً : فنظر إلى امرأة عريانة ، فشغف بحبها ، ولما سأل عنها : علم أنها زوجة أحد
جنوده ؛ فأرسله على رأس جيش — ليقتل لا لينتصر — فعاد منتصراً ظافراً ، فأرسله
مرة أخرى ، وأخرى ، حتى قتل فتزوجها ١٩

قصة سليمان عليه السلام

ومن ذا الذي يصدق أن سليمان ، عليه السلام : فعل فعل السفهاء الجهال ، فقتل من
الجياد — التي أعدت للجهاد — عشرات الألوف ١٩

موسى ومحمد ، والمعراج

ومن ذا الذي يصدق أن أكرم الرسل وإمامهم : رأى ربه رأى العين ، وراجعه
مراجعة الند للند — بإيعاز من موسى — عند فرض الصلاة خمس مرات .
ولأمر ما : كان موسى آمراً ، ومحمد مأموراً ١ وكان موسى هادياً ، ومحمد مهدياً ١
وكان موسى ناصحاً ، ومحمد منتصحاً ١

ولأمر ما : كان موسى يتجوأ مكان المرشد لمحمد : الذي أرسله ربه : رحمة للعالمين ؛
وموسى من العالمين ١

زيادة ما ليس في القرآن

ومن ذا الذي يصدق أن الرسول عليه الصلاة والسلام — الذي لا ينطق عن الهوى —
يذكر من القرآن ما ليس في القرآن . فيقول : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الأخرى ، تلك الغرانيق العلى ، وأن شفاعتهن لترتجى !
فآمن من المشركين خلق كثير : لمدح آلهتهم في الكتاب الذي أنزل على محمد !

سحر الرسول عليه الصلاة والسلام

ومن ذا الذي يصدق أن الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد أنزل عليه ربه فيما أنزل
« والله يمصمك من الناس ، قد سحره لبيد بن الأعصم اليهودى . حق أنه ليخيل إليه أنه
يأبى الشيء فلا يأتيه .
وليس بصعيد على مثله — وحاله كما وصفوا — أن يخيل إليه أنه قد أوحى إليه ،
ولم يوح إليه شيء ! أو أنه قد بلغ : ولم يبلغ !
ويصدق عليه قول المشركين والكافرين : « إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » .

يوسف عليه السلام

ومن ذا الذي يصدق أن يوسف الصديق عليه السلام : قد همَّ بامرأة العزيز هما
لا يقوم أن يقع فيه أحط الفساق ، وذكروا في تفصيل ذلك : ما أنزه لسانى عن ذكره ،
ولا أودى الأسماع بقوله !

نسبة الفحش إلى أذى خلق الله !

ومن يصدق أن الرسول الكريم : يجلس بين صحابته ، فيقول : « أوتيت قوة أربعين
في البطش والجماع » .
ويقول أيضاً : « حجب إلى من دنياكم الطيب والنساء » والله تعالى يقول في كتابه
الذي أنزله عليه « زين للناس حب الشهوات من النساء » .
والمزين طبعاً : هو الشيطان . أو النفس الأمارة بالسوء !
باللهمة الدهيما ، والفتنة العمياء : الرسول عظيم الشأن ، جليل القدر : يقول على ملا

من الناس : أنا أحب النساء ! هذا في حين أن القرآن الكريم المنزل عليه من ربه العظيم ؛ يقول في معرض الذم والقدح « زين للناس حب الشهوات من النساء » .
ولم يكف هذا الكافر المفتري على أفضل الخلق تلك الفرية ؛ بل مسندها بأخرى أشد منها وأخزى .

إذ يروى عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه أنه قال « أوتيت قوة أربعين في البطش والجماع » .

يا للهول ! الرسول المبرأ من كل عيب ، البعيد عن كل ذنب يقول لصحابته : أنا في قوة أربعين منكم في الجماع . فتصور — يا هداك الله — رجلاً يقول لك مثل هذا القول التافه السقيم البذى ؛ أكنت مصاحبه أم بجانبه ؟ أكنت محابيه أم معاديه ؟ أيستوجب بقوله هذا احترامك أم سخريتك ؟ والنظر في أى موضع يضعون من وصفه ربه بالخلق العظيم « وانك لعلى خلق عظيم » .

إن مثل هذا الكلام لو نسبته لإنسان كائن من كان ؛ لاحظ الناس : لثار وغضب ؛ فما بالك بنسبته لأعلى الناس قدراً ، وأسماهم خلقاً !

ولم تقف هذه الأحاديث عند حد المساس بكرامة الرسول عليه الصلاة والسلام فحسب ، بل تعدته إلى محيط الشرائع ؛ فقد رووا فيما رووا « حديث الرضاع » (١) .

ومثل هذه الأحاديث الكاذبة ، والأقاويل الباطلة يضيّق المقام عن ذكرها ؛ فانظرها إن شدت مستوفاة في كتابنا « الفرقان » .

والرسول عليه الصلاة والسلام : محفوظ — بأمر الله تعالى — من الشيطان ، ونفسه أزرى من نفوس الملائكة !

وجميع ما قدمت : تكاد تجمع عليه أمهات كتب التفاسير المتقدمة ، مع توثيقه وعنفته .

وهذا قل من كثير ، وغيبض من فيض ؛ فلو أردنا أن نسوق كل ما ياباه العقل ، والذوق ، والدين ، والقرآن : لما وسعنا هذه العجالة .

فإذا كان هذا حال فضلاء البشر وهداتهم : فكيف بعامة الناس ودهماتهم !

(١) أنظر هذا الحديث في مبحث الإسراء والمعراج المتقدم .

التفاسير المحدثه

أما التفاسير المحدثه : فقد رأينا فيها ما يتنافر ومعاني القرآن : التي أرادها الرحمن !
فقد قرأنا في بعضها — على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر — قرأنا تأويلا لقوله تعالى :
« قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، أن المراد
« عذاباً من فوقكم ، هو ما تلقيه الطائرات ، من قنابل ومهاتكات .
وأن المراد « أو من تحت أرجلكم ، هو الديناميت : الذي يدسه الأعداء
في باطن الارض .

وهو قول بادى التشكف ، ظاهر التعسف !

لأن الله جلّت قدرته : قد أنزل الصواعق من فوق الرؤس ، وبخز البراكين : تلقى
بالاحجار والحجم ، وبعث الزلازل والحسف من تحت الأرجل : فأهلك بما أنزله من
فوق الرؤس ، وما بعثه من تحت الأرجل : أمماً شقى مكذبة !

تشهد بذلك آثارها ، وأطلالها ، وأخبارها !

ورأينا — من بعض علمائنا المحدثين — من يقول على ملأ من المسلمين : إن المراد
بقوله تعالى : « وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ، : جمع أهل السماوات والارض ، في الدنيا .
جرباً وراء من يزعم أن اختلاط سكان الأرض بسكان الكواكب : صار قاب
قوسين أو أدنى !

وهو قول لا نرى كبير عناء ، في الرد عليه ، سوى : إيراد قول الحكيم العالم :
« هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ... فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ... ونفخ
في الصور فجمعناهم جمعاً ... ليجمعنكم إلى يوم القيامة ... وتندر يوم الجمع ، .
إذن فالجمع المقصود — بين سائر المخلوقات — في الآخرة : لا في الدنيا . وأن اليوم
الآخر : من أسمائه « يوم الجمع ، .

ورأينا أيضاً — في بعض التفاسير المحدثه والقديمه — تأويلا لقوله تعالى عن أصحاب
الكهف : « ولبسوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، أن « ثلاثمائة » بالتاريخ
الميلادى . و « ٣٠٩ » بالتقويم الهجرى .

وهو تكلف لا داعى له ألبته : يتنافى مع لغة العرب التى نزل بها القرآن .

قال الشاعر : كانوا ثمانين وازدادوا ثمانية .

ولا يعقل إطلاقاً أن مقصد الشاعر العربى : كانوا ثمانين . بالتقويم الشمسى ، وثمانية وثمانين ؛ بالتقويم القمرى !

ولإنما المعقول المقبول فى التأويل عند ذوى العقول : أن الله تعالى بعثهم من مرقدهم على رأس الثلاثمائة من السنين : وكان من أمرهم ما كان ! ثم أنامهم تسع سنين فى كهفهم ؛ ثم أمانهم كما يميت غيرهم .

وكذلك رأينا من يقول : إن قيام الساعة سيكون فى تمام عام ١٨٠٢ هجرية : استناداً إلى قوله تعالى : « لا تأتاكم إلا بغتة » .

وحساب لفظ « بغتة » بالجل ١٨٠٢ الباء ٢ والغين ١٠٠٠ والتاء ٤٠٠ والتاء الثانية ٤٠٠ أيضاً ؛ فيكون المجموع ما ذكرناه .

وهو قول هراء : ينفيه صريح القرآن : بأن وقت الساعة لا يعلمه إلا الله تعالى وحده : « قل إنما علمها عند ربى ... إن الله عنده علم الساعة ... إليه يرد علم الساعة » .

وهذه الأقوال التى أوردناها : بما نزهه قرآننا المجيد عن السقوط إليه ، ونزهه أنبياء الله تعالى عن الوقوع فى مثله !

وما هو إلا انحذار فى الخلق والمفاهيم : أدى إلى اتباع أقوام ؛ يذسبون فى كتبهم المنزلة : المبدلة : إلى أنبيائهم : أحط الدنيايا والخطايا !

فقد ذكروا عن لوط عليه السلام : أنه سكر حتى ثمل ، ثم زنى بابنتيه ، وأنهما خمتا منه ؛ بتحريض من أمهما !

وليس بغريب منهم أن يدسوا علينا في ديننا ما ليس فيه ؛ لتساوى مهمم في هذا الإفك والبطلان !

ولأنما العيب كل العيب : أن نرى الخطأ فلا نحوه ، والباطل فلا نزيله ، والكفر فلا نحاربه !

الذين ينتسبون إلى الإسلام

وهو منهم براء

ويأتى بعد ذلك دور إناس : زعموا أنهم مسلمون ؛ وما هم بمسلمين ! وأنهم عالمون ؛ وما هم بعالمين ! وأنهم مفسرون لآيات الله ؛ وما هم بمفسرين !

لقد أرادوا بجهلهم ؛ أن يخضعوا آيات الكتاب الكريم لأفهامهم ، وأن يذيعوا ذلك الإفك في كلامهم : المكتوب ، والمسموع ، والمنظور .

وما يدعوا إلى شديد الأسى والأسف : أن تفتح لهم أجهزة الإعلام أبوابها — في الدولة المسلمة — بغير رقيب ، ولا حسيب !

فتسمع نعيمهم في الإذاعة ، وترى صورهم الكالحة البغيضة في التليفزيون .

ويظهرون في جميع ذلك بمظهر المرشد المستبصر ؛ الذى يريد هداية المؤمنين ، ويحفظهم من الأخطاء التى وقع فيها سلفهم من خير العصور حتى الآن !

فالصحابة جميعاً كانوا مخطئين بما ارتكبوه من مخالفة صريحة للقرآن : بإباحتهم التعدد : قولاً وعملاً !

ألم يقل المولى سبحانه وتعالى « فإن يخفتم ألا تعدلوا فواحدة » وقوله « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » وبذلك يكون المولى جل وعلا : أباح التعدد « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء » . ومنعه بقوله « ولن تستطيعوا أن تعدلوا » .

يمثل هذا الإفك والهراء : يتكلم بعض العلماء والكتاب ، ويذاع في محطات الإذاعة المصرية .

(انظر المزيد في مبحث تعدد الزوجات)

ويأتي بعد ذلك إنسان : مفتون بعله ، مدلل بنفسه ؛ وهو يدعى (الدكتور مصطفى محمود) وهو ليس بالمصطفى ، وليس بالمحمود !
فينسکر فی صراحة — لا تقبل الشك — وجود جنة ، أو نار ؛ بالمعنى المفهوم لدى المسلمين ، والمبين صراحة في القرآن الكريم .

ويكتب هذا المغرور في المجلات السيارة هذه المعاني بأقبح صورها ؛ وبتبجح لم يرتكبه مسيلمة الكذاب في أوج كفره !

وقد نصحناه كثيراً — يطريق أحد الفضلاء — فلم يرعو ؛ بل سار في غيه وبغيه ؛ وقد سمعناه أخيراً بالتليفزيون بدمه ولحمه ؛ يذيع ألقه المعاني ، وأقبح المفاهيم ؛ ويخوض في معاني القرآن الكريم خوفاً يستأهل معه اعلان كفره ، وفسقه ، وخروجه عن دائرة المسلمين !

فهو يبدأ حديثه بإيهام المستمعين أن سائلاً سألته ، وأنه سيجيب على هذا السؤال .
وبعد ذلك يدلي بسؤال تافه ؛ أعد الإجابة عليه ، ويجيب بما يحلو له ، ويحلو أيضاً استماعه ؛ لما حواه من زيف ؛ يسر بعض المستمعين .

فن ذا الذي يعترض على أن الله : غفور ، رحيم ، ودود ؟
ومن ذا الذي يخالف في أن التأمل في خلق السموات والأرض ، والأفلاك ، والآنجم ؛ واجب على كل مسلم ؟

وبعد ذلك يدس من الإلحاد والكفر ما يدس !
حق أنه في بعض أحاديثه : أراد أن يطعن في الحدود التي أقامها الله تعالى لعباده ؛ ليربهم بها ، ويكف أذاهم بتوقيفها ؛ شنع عليها بقوله : كيف نستطيع قطع يد السارق ؛ وقد أصبح المجتمع كله لصوص : فمن يقطع من ؟ (يقصد المجتمع العربي الإسلامي طبعاً) لأن الحديث كان منسباً عليه .

وعرج بعد ذلك إلى رجم الزاني ؛ فقال : إن القرآن اشترط لثبوت الزنا شهود أربعة ؛ فن ذا الذي قبل أن يزني يدعو أربعة أشخاص (يتفرجوا) عليه ؟

وقس على ذلك باقي الآثام المستحقة للحدود ؛ وهكذا يسير بنا هذا المصطفى محمود في خضم من الكفر ، والإلحاد ؛ الذي يدبر لها ويبيت !

ومن الغريب - مع الأسف الشديد - أن يعاونه في لشر هذه السخائم ، والسخافات :
أرقى أجهزة الإعلام في الدولة ؛ بغير ما تحفظ !

والأعجب من هذا : أن من بين مستمعيه طبعاً كثير من العلماء الاعلام : فلا يتعب
أحد قلمه بدعوة هذا المغرور إلى الكف عما يذيعه ؛ أو يطلق لسانه لدى المسئولين بمنعه
عن هذا الهراء ، والبذاء !

وكان ضمن ما قاله أيضاً : إن النار والجنة ؛ ليستا بالنار المعلومة لنا ، ولا بالجنة
التي وعدناها .

بل لهنما : نار التفكير ، وجنة الضمير !

وأنه ليس من المعقول أن يعذب الله - رغم عظيمته ورحمته - عباداً ضعفاء أمثالنا ؛
وأن النار المحرقة : كيف يكون فيها شجر يظل ، وماء يشرب ، وحديث يتبادل أهلهما ؟
مستدلاً بقول القرآن الكريم « إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم » وقوله جل شأنه
« وسقوا ماء حميا ، وقوله سبحانه وتعالى « كلما دخلت أمة لعنت أختها » .
وتكلمهم في النار ، وتلاعنهم ؛ وأشباه ذلك .

وغاب عن هذا الغر أن النار ذكرت في القرآن ١٢٦ مرة . والجحيم - وقصد بها
النار - ٢٦ مرة . وجهنم - وقصد بها النار أيضا - ٧٧ مرة . والهاوية ، ولظى ،
وغير ذلك من الأسماء ؛ التي تعبر عن النار ، فيصير ذكرها أكثر من ثلاثمائة مرة :
لا يؤخذ من أحدها ما فهمه ذلك العبقرى ؛ الذي يؤكد أنها ليست بنار محرقة !

أما الجنة : فقد صال في معناها وجمال : ونعى على من فهم أنها : أنهار ، وأطيار ،
وأشجار ؛ قائلًا : إن الجنة ليست بسوق خضار ؛ وكرر هذا اللفظ عدة مرات .

ولمى لن أدعو عليه بأكثر من أن يحرمه الله تعالى هذه الجنة ، ولذينة ما فيها ؛ إذالم
يسارع بالاستغفار والتوبة !

وكأنى به ؛ وقد أراد أن يطوع القرآن الكريم لمعان جالت بخاطره ؛ أوحى بها إليه
الشیطان اللعين ؛ ليكون من جملة أوليائه الفاسقين !

هذا وإن ما نادى به الدكتور مصطفى محمود : لم يكن هو أول من نادى به ؛ فقد نادى
به من قبل بعض الفرق التي اشتهرت بالمروق عن الإسلام !

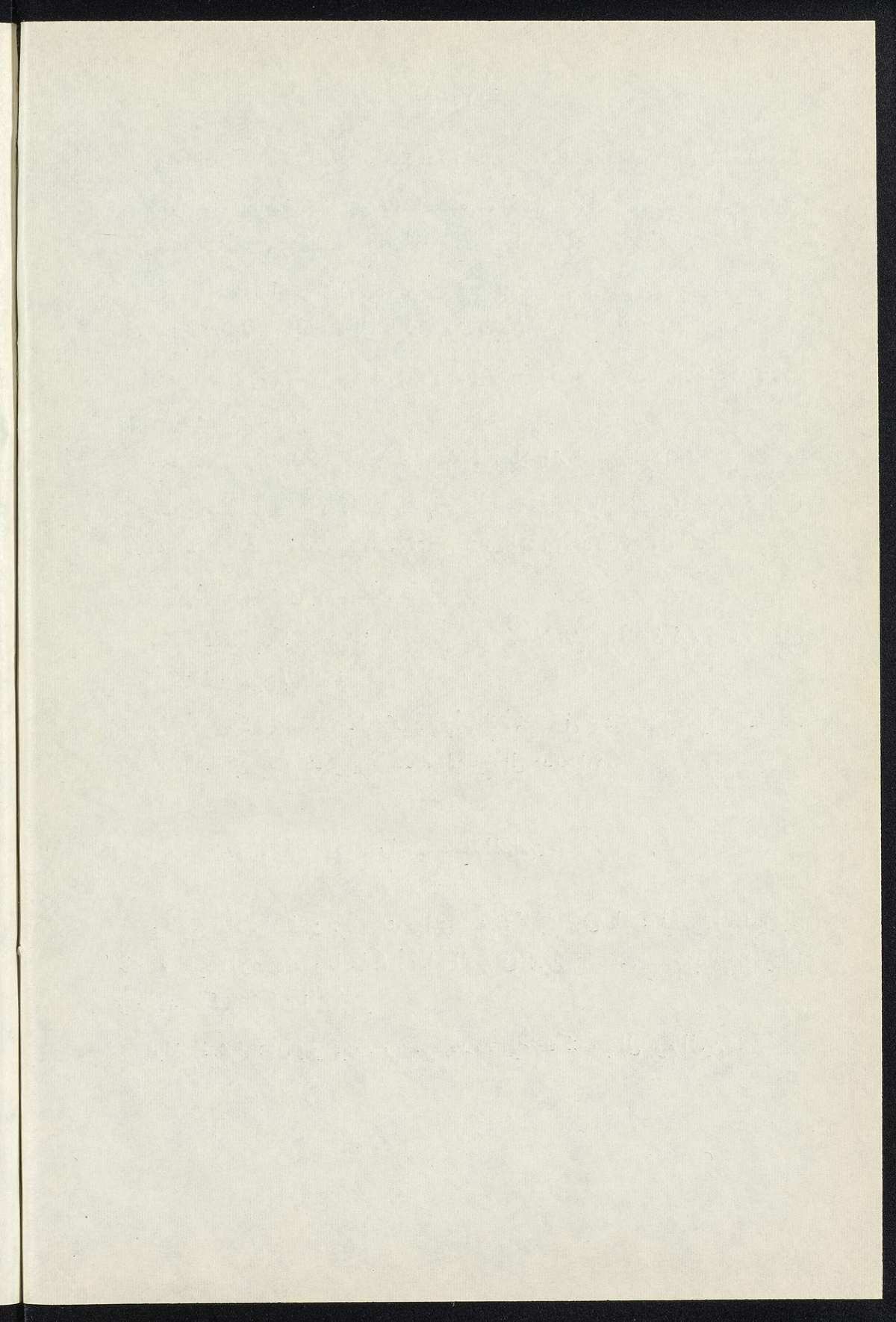
بل وزادت عما قاله : إنكار وجود آدم وإبليس ؛ وزعمت أنهما رمزان لا أصل لهما !
ولم يأت أحذر كل من يصغى إلى هذه السفساف والترهات ، وأنذره بغضب الحليم الجبار ؛
وبالانتقام الديوى ؛ فى النفس ، والمال ، والأهل !
وفى الآخرة يقال لهم : ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ... هذه النار التى
كنتم بها تكذبون . . انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ، .
وأقول لهم اليوم ، بهدى من الله ! ، ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحقكم بعذاب
وقد خاب من افترى ! »

وحسبنا الله ونعم الوكيل ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !
هذا وجميع أقوال من ذكرناهم - باسمهم أو برسومهم - إن دلت على سوء ؛ فإنما
تدل على سوء فهمهم ، وعدم إلمامهم بما فى كتاب الله ، وحديث رسول الله !
هذا إذا أحسنا الظن بهم وبعقائدهم !
وقد اكتفينا بذكر بعض ما قالوه ؛ من غير رد ولا تفنيد ؛ لأن ذكره وحده : كاف
لهدم أركانه ، وظهور بطلانه !
ولا أدرى كيف يقحم مصطفى محمود ، وأمثاله أنفسهم فى خضم تأويل القرآن الكريم ،
وهم أول الجاهلين به ، المنكرين لأسسه ، الداعين إلى هدمه ؟ !

واجب علماء المسلمين

وجدير بعلماء المسلمين : أن يجتمعوا فى شبه مؤتمر إسلامى عام : فينبهوا المسلمين إلى
مادسه اليهود الملاحين ، وما حاكه أعداء الدين فى الدين : بقصد هدم بنيانه المتين !
وتقويض ركنه الركين !

والله المسئول : أن يهز دينه ، وينصر جنده ، ويحفظ كتابه ؛ إلى يوم الدين !



اللهم معنا! فضل نحن مع الله؟

میں ان کے لئے لکھتا

لقد جرت سنة المولى سبحانه : أن ينصر من ينصره ، إن تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم .

ونصر العبد لله تعالى : أن يعمل ما أمر به ، ويجتنب ما نهى عنه ! وهنا يتحقق نصر
المولى سبحانه له ؛ كما جاء في كتابه الكريم ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ،
كما جرت سنته تعالى أيضاً أن يسكون مع من اتقى من عباده ، وأحسن مع عباده
، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ،

وتقوى المولى جل وعز : خشية غضبه ، وابتغاء مرضاته ، والتماس عفوه وغفرانه !
هذا وقد ذاق الشعب المصري الأمرين ؛ في انتظار نصر المولى سبحانه له على أعدائه
وأعداء الله ؛ وأنى يأتيها النصر ؛ وقد ازددنا بعداً عن أسبابه المؤدية إليه ، والموجبة له !
فالفجور : هو الفجور ! والتفاني في الإثم : هو التفاني في العصيان :
هو التفاني !

والبعد عن الله سبحانه ، واستمرار معاصيه ، والمجاهرة بها ؛ كل ذلك كان
شاغلنا وديدنا !

فلما ضاقت بنا السبل ، وضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت علينا أنفسنا ،
وأيقنا ألا ملجأ من الله إلا إليه !

وقد قال الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم ، صنفان من الناس ؛ إذا صلحا :
صلح الناس ، وإذا فسدا : فسد الناس : العلماء والأمراء ، لجماً حينذاك علماءنا ،
وذوو الرأي والأمر فينا إلى الله ، وحكموا بسياسة العلم والإيمان ، وسيادتهما !
فاستجاب الغفور الودود لعباده الضعفاء ! فجعلهم من الأقوياء ، وأخذ بأيدي المساكين ؛
إلى النصر المبين !

وكانت بداية نصره تعالى في يوم العاشر من رمضان المعظم عام ١٢٩٣ حيث عبر
جنودنا الأشاوس قناة السويس ، واجتازوا خط بارليف ؛ بعد تحطيمه وتمزيقه !

وبعد أن استمر اليهود لإملاء الله تعالى لهم ، وأمنوا كيدهم ، وظنوا أنهم ما نعمتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، .

وصار جند الرحمن يحرزون النصر تلو النصر ؛ حق اشرا بآبت الاعناق لإيهم ، وصاروا موضع المجد والفخر طوال الدهر !

هذا وقد سرت — أثناء القتال — أنباء ؛ أثارها انتصار الجيش المصرى المجيد ، على قوى الشر والعدوان ؛ التي لا تقهر : فقهرتها !

فمن قائل : إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد روى في المعركة !

ومن قائل : إن جنوداً مجهولة اشتركت في القتال مع المقاتلين !

ومن قائل : إن مقاتلات العدو : كانت تلتقى حولتها المهلكة بعيداً عن أهدافها !

وقد أثار ذلك بعض الكتاب ؛ الذين ابتعدوا عن الروحانيات ، التي تحس بالحس ؛ لا باللمس . وترى بالبصيرة المدركة . لا بالبصر الزائف !

ولم يتحقق لديهم إلا ما يدرك باللمس ، ويرى بالعين ، ويسمع بالأذن !

وغاب عنهم أن الإيمان : مشروط بالغيب ، الذين يؤمنون بالغيب ، .

وقد كسب الدكتور فؤاد زكريا ، الأستاذ بكلية الآداب ؛ مقالا مطولا ؛ بعنوان

(مركزتنا والتفكير اللاعقلي) نشرته له جريدة الأهرام بعددها الصادر في يوم الاثنين

٢٦ نوفمبر ١٩٧٣ بين فيه أن مثل هذه الإشاعات : انتقاص من قدرة الجنود الذين قاتلوا ،

وامتهان لعقول العقلاء ! وأن هذا تفكير لا عقلى ، وأنه بدعة ، وخرافة ، وتصديق ساذج !

القول بما جاءت به الشريعة المطهرة ، وأنزله الله تعالى في محكم كتابه : امتهان للعقول ،

وبدعة ، وخرافة ، وتصديق ساذج ؟!!

لقد وقع في كل هذا — من حيث لا يشعر — بتفكيره اللامعقول ، وحرصه على نشر

هذه السخافات في بلد : شرع في العودة إلى الله ، وفي الانتصار بالله ، والإجابة لله !

وقد غاب عن هذا الكاتب الساذج أن التفكير اللاعقلي : معترف به لدى سائر العقلاء !

فإن جنودنا — أحم الله تعالى عليهم نعمة النصر — قد قاموا بواجبهم خير قيام :

لركونهم إلى مولاهم ؛ الذى خلقهم ورباهم ، وملا قلوبهم قوة وعزماً وإقداماً !

فلو أنهم تركوا التوكل على الله ، والاستعانة به : ما أتاهم النصر بالصورة التي تم بها ،
والتي أشاد الأعداء قبل الأصدقاء بدقتها وروعها !

وهذا الكاتب الساذج : أراد أن يدافع عن الجنود وقدرتهم ؛ في حين أنه قد نفى
عنهم أسمى وأعلى الصفات : وهي تقوى الله تعالى ، والاستعانة به !

وهي أعلى من رتب البسالة والإقدام ؛ بل هي الوسيلة الوحيدة للحصول على البسالة
والإقدام !

وهل التوكل على الله سبحانه وتعالى : قد أصبح في هذا الزمان ينافي استجماع القوى
الذاتية والمادية ؟ كما أشار إلى ذلك حضرة الكاتب اللاعقل !

يقول المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : وما النصر إلا من عند الله العزيز
الحكيم ، فنفى جل شأنه النصر إلا عن طريقه .

وحين يقول المولى في كتابه العزيز : فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت
ولكن الله رمى .

وما جاء في هذه الآيات البينات : ثابت دينياً وتاريخياً . فهل لأحد من العقلاء ، أن
يقول : إن ذلك يدخل في عموم اللامعقول ؟

وحين يقول جل شأنه : ومن يثق بالله يجعل له مخرجاً ، فجعل سبحانه المخرج من
الشدائد : مقابلاً للتقوى ! ومفهوم المخالفة يقتضى : أن من لم يثق بالله : لا يجد مخرجاً
ما يقع فيه من الرزايا والشدائد !

وهذا من الأمور المعقولة عند سائر العقلاء ؛ ولكنها غير معقولة عند ذلك
الكاتب الفذ !

وحين يقول المولى في كتابه المجيد : سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب ، .

والإلقاء في القلوب : لا يرى بالعين طبعاً ؛ ولكنه يرى بانتهام قوى الشر ! فيصير
أمراً معقولاً ؛ بل ملموساً محسوساً — في حدود ما علمناه ، وتعلمناه من الدين بالضرورة —
ولكنه في نظر هذا الكاتب : غير معقول !

وحينما يأتي شتاء هذا العام (١٩٧٢ - ١٩٧٤) في أمريكا وغيرها ، قارساً قارصاً ؛
ببرودة شديدة غير عادية . مع ملابس قطع البترول العربي عن هذه البلاد .

أليس من حق المؤمن بربه ، الواثق بعبده ، أن يقول : إن ذلك منة من المولى على عباده
المتقين ، ونقمة على الخارجين عن طاعته ، المعاوين لأعدائه !

وإذا فكر في ذلك المؤمن ؛ فهل يكون تفكيره عقلياً ، أو لا عقلياً ؟

وحين يأتي بعض الفضلاء ؛ فيقول : إنه رأى الرسول عليه الصلاة والسلام مع
المجاهدين ؛ فأى غرابة في هذا ؟ وأى انتقاص من قدر المجاهدين ؟

وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام ، من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان
لا يتمثل بي .

إنسان يزعم أنه رأى الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ فأى غرابة في هذا ؟

وإذا كانت رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ مستحيلة ؛ فبم تفسر قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم ، من رآني في المنام ؛ فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي .

وقد رآه عليه الصلاة والسلام : البر ، فازداد برأ ؛ ورآه الفاجر ؛ فأقلع عن فجوره !

ولعل لا أذيع سرّاً إذا أنا قلت : إنى — ولست من خيار القوم ، ولا أواسطهم —
قد رأيت سيدي رسول الله في المنام ؛ وحلت بي بركاته وفاضت علي فيوضاته ؛ وظهرت
آثار ذلك واضحة في صرى وجهرى ، وجسمى ، ومالى ، وأهلى ؛ وقد أعطاني ربي كفايتي ؛
بل وفوق الكفاية !

فإذا قال واحد من فضلاء القوم : إنه رأى الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو أنه صحبه
إلى المعركة . فأى غرابة في حدوث ذلك !

وإذا قال ذلك الفاضل : إنه رأى الرسول مناماً ؛ فإياك بمن يروونه بقظة ، ويكلمونه
شفاهاً ؟ أفتأرونه على ما يرى .

هذا وقد حاجني بعضهم : بمن لا يرون مواقع أقدامهم ، ولا يفهمون أكثر مما فهمه
هذا السكاتب .

وكانت محاجتهم تنصب على أنه كيف يمكن للرسول عليه الصلاة والسلام أن ينصر غيره
بعد موته ؛ وقد كان لا يستطيع نصر نفسه حال حياته ؟

وهو احتجاج : إن دل على شيء ؛ فإنه لا يدل إلا على قصر الفهم ، وقصور الإدراك ؛
والبعد كل البعد عن حقيقة الإيمان !

فالرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ في حال حياته : يقع عليه ما يقع على البشر : من نصر وهزيمة ، وعافية ومرض ، وتكريم وإيذاء : ليتأسى به من حلت به مصيبة ، أو نزلت به نازلة : « لقد كان لهم في رسول الله أسوة حسنة ، » .

أما وقد لحق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالرفيق الأعلى : فقد انقلبت صفاته البشرية حال حياته ؛ وصار له من القدرات ما لا يحده حد ؛ ومنها : ما يتسع لنصر غيره ! فقد أمكنه أن يعين أحبائه بالنصر الذي أرادوه ! بأمر ربه سبحانه وتعالى ! وكيف ينكر هذا منكر ؛ وقد أصبحت قدرته عليه الصلاة والسلام : تتناول شفاعته في عصاة أمته ؛ فينجيهم من النار !

هذا وقد منع حال حياته من الاستغفار لأقرب أقربائه ، وأحب أحبائه ! كما نهي إبراهيم من قبل عن الاستغفار لأبيه ، فتعالى المفضل على من شاء بما شاء ! فعمليكم ياسيدي يا رسول الله صلاة الله تعالى وسلامه : حياً بين الأنبياء ؛ في ملكوت السماء ؛ وحياً بيننا معشر الأحياء : تهدينا — بأمر ربك — النصر تلو النصر إن شاء الله ! ليؤمن بحقيقةتك ؛ من وقف عند صورتك !

واست أدري لماذا سمي المكاتب جميع ذلك تفكيراً لا عقلياً ؟ في حين أن التفكير : لا يكون إلا بالعقل ، ولا يصلح التفكير بدونه .

والتفكير لا يكون إلا فيما وراء المنظور بالعين ، المحسوس بالحواس .
فإن البهائم مثلاً : تؤمن بالمنظور بالعين ، المحسوس باللمس . فإذا رأت طعاماً : علمت أنه طعام فالتهمته بلا عقل ولا تفكير .

وإذا رأت عصاً في يد إنسان : خافته ، وجفلت منه ؛ لأنها علمت — بلا تفكير — أنه يريد إيذاها .

أما الإيمان بالغييب : وهو ما وراء المنظور ؛ لأنه لا يرى بالبصر ؛ بل يرى بالبصيرة : فهو شأن الإنسان وحده ؛ وهو ما نسميه نحن بالتفكير العقلي ، والذي أسماه المكاتب بالتفكير اللاعقلي !

ولأنه لمن المسلم به : أن سائر الديانات تؤمن بالغيبيات : المعقولة عندنا ، اللاعقولة عند المكاتب .

فمن الذي يجرؤ أن يقول : إن الله سبحانه وتعالى لا يستطيع أن يد عباده بما يشاء ،
جالباً النصر لهم متى أراد ؟

فيذا قال الله تعالى لعباده المحاربين « يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين »
هل هذا الإمداد : يدخل في عموم المعقول ، أو اللامعقول ؛ يا ذوى العقول ١٩

وإني أقسم — غير حاث ولا آثم — أن كثيراً من أبنائنا الضباط البواسل :
قد أقسم لي — أيماناً مغلظة — أنه قد رأى بنفسه ، وبعين رأسه المقاتلين في المعركة
من حوله : لا يعرف أكثرهم ، ولا ينتسبون إلى وحدته ؛ التي تحارب ، والتي يعرف
أفرادها واحداً واحداً !

فأى غرابة في هذا عند ذوى العقول ؛ حين يسمعون خالقهم يقول « يمددكم ربكم » ،
وكيف تؤمن بها من المولى سبحانه ؛ حين يقولها ؛ ونكفر بها حين نراها بالعين ،
وئلسها باليد ١٩

وقد جاء على لسان المقدم رئيس أركان حرب القوات المسلحة ؛ في حديث له نشرته
جريدة الأخبار ما نصه :

ولكنها — أولاً وأخيراً — رعاية الله تعالى لنا ؛ التي مكنتنا من تحقيق المفاجأة
بالصورة التي تمت بها . وأن بعض قنابل طائرات العدو : كانت تقع على بعد كيلو متر من
هدفها المراد ! « انتهى » .

يا الله ! كم أنت يامولاي رحيم بعبادك ، لطيف بهم : تحددوهم بحفظك ، وتكلاهم
بعنايتك ، وتبعد عنهم أذى أعدائهم : بقذف الرعب في قلوبهم ؛ فلا يرون أهدافهم ،
ولا يهتدون إلى مقاصدهم !

أما ما أشار إليه ذلك الكاتب اللاعقل : من انتصار أعداء الله « اليهود » في معارك
سابقة ؛ فهو أمر معلوم لمن عنده أدنى للمام بالتاريخ :

فالمغول ، والتتار ، والهكسوس ، وأضرابهم : لقوا من الانتصارات ملاحده ،
وأخيراً لاقوا من الهزائم ملاحده أيضاً ؛ وهي سنة الله تعالى في خلقه ، ولن تجد لسنة
الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

وقد يكون انتصار اليهود في عام ١٩٦٧ راجعاً إلى إعجابنا بكثرتنا ؛ كما أعجب

المسلمون بكثرتهم في احدى المواقع ، ويوم حنين إذ أعجبتمكم كثرتكم فلم تهن عنكم شيئاً وضاعت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين .

وقولهم : لن تغلب اليوم عن قلة ا فكان جزاء هذا العجب : الهزيمة !

أما اليوم فقد نصرنا المولى سبحانه : لا بقوتنا وحدها ؛ بل بتقوانا وإنايتنا إليه !

والله تعالى يقول : إن تقوا الله : يجعل لكم فرقانا ، أى نصرأ مبينا !

الله أكبر

ولماذا نذهب بعيداً : فقد جاءنا أن المجاهدين كانوا في هذه المعارك : لا يخطون خطوة إلا وقالوا ، الله أكبر ، فتنفتح لهم أبواب النصر ، وتنهار أمامهم الحصون ، وتهاوى الطائرات ، وتفتت الدبابات ! بل ويمشون على الماء !

فهل كان تفكير جنودنا وقتذاك : تفكيراً عقلياً ، أو لا عقلياً ؟

وكان جنودنا — في كثير من الأحيان — حين يرون فئة من اليهود يكبرون أمامهم ؛ فيلقون بأسلحتهم ، ويرفعون أيديهم فوق رؤسهم ! وحينذاك ينبثق نور القرآن بقول الحكيم العليم ، سألت في قلوب الذين كفروا الرعب .

هذا وقد كان المسلمون — في العصر الأول — قلة لا يعتد بها : عددأ وعدة . ولكن تقواهم ، وطاعتهم لمولاهم : دفعتا بهم إلى ملاقاته فارس والروم ؛ وهما أمتان عظيمتان ؛ موفورتا الرجال والسلاح ؛ فهزموهما — في عقر دارهم — شر هزيمة عرفها التاريخ : قديمه وحديثه !

وإذن يستبين لنا ما قدمناه : أن تقوى الله سبحانه : جالبة للنصر الواقعي الحتمي ! وأن التوكل — لا التواكل — مدعاة للرفعة والمجد والسؤدد !

وأن رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام : ليست بعيدة ، ولا غريبة ؛ عند ذوى العقول والبصائر !

ومن عجب أن جريدة الأهرام ؛ وقد نشرت هذا المقال المليء بالجهل والإلحاد — وهو مقال أطول من ليالى الشتاء — قد بخلت — على سمعتها — بنشر ما أرسله لها خيرة المسلمين والكتتاب ؛ من رد على هذا المقال ؛ وكلهم مشهور الإسم ، موفور العلم !

بل نشرت بضعة أسطر ؛ لا تنكفي ، ولا تشفي ! جعلت من الكتاب خصماً وحكماً :
فسمح بنشر ما أراد ، واستبعد ما لم يرد ؛ وسمحت له بالتعقيب على ما نشر ، فمكأن جهله
والحاداه : أول ما يقرأ ، وآخر ما يسمع ! وليكنه إذا أفلت من غضب الأرض ؛ فلن
يفلت من بأس السماء !

ومن العجيب : أن يعود هذا الكتاب إلى إلحاده وجمله : فينشر في أهرام ١١/٢٨
١٩٧٣ مقالا بعنوان « إلى متى نغترب عن حاضرنا ؟ » وهو مقال : لا يقل عن سابقه
جهلا وزندقة !

فقد دعا فيه دعوة صريحة : إلى التنكر لماضينا ، والتمسك بحاضرنا .

ولاني أريد أن أسأله ، وأسائل من يناصره : هل يجب التنكر لماضينا — ولو كان
مشرفاً — ونتمسك بحاضرنا — ولو كان مؤسفاً ؟

أنتنكر لماضينا ؛ ولو كان فيه محمد بن عبد الله ؟ ونتمسك بحاضرنا ؛ ولو كان فيه
فؤاد زكريا ؟

أنتنكر لماضينا وفيه أمثال خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ؟ ونتمسك بحاضرنا ؛
ولو كان فيه من الخونة والمارقين ما فيه ؟

ولم يفته في هذا المقال : أن يشيد بما كتبه في مقاله السابق ؛ ويؤكدده ، ويصر عليه !
وزاد عليه : إنكار بعث الروح ، أو عودتها ؛ وهذا الحديث الأخير : ليس هو
أول من تكلم فيه ؛ بل سبقه إليه كثيرون ممن لا يدينون بدين سماوي !

لأن القرآن الكريم ؛ وهو كتاب يزعم المؤمنون أنه من عند الله ! والإنجيل : وهو
كتاب يزعم المسيحيون أيضاً أنه من عند الله ! والتوراة : وقد زعم بنو إسرائيل أنها من
عند الله ! كل هذه الكتب تتحدث بما ينافي ما يقوله علامة العصر الحاضر ، وإمام
اللامعقول ؛ فادركونا يا ذوى العقول !

هذا وقد شفي غلة المسلمين ، وأعلى كلمة الدين : العلامة ، المسلم : الاستاذ عبد المنعم
النمر : مدير البحوث الإسلامية بالأزهر . بكلمة قيمة نشرت في الأهرام بعدده الصادر
في ١٩٧٣/١٢/٣ بعنوان « النصر والهزيمة في ميزان الإسلام ، قضى فيها على أراجيف
الملحدن الزائفين ، ووضع الإسلام في موضعه الذي أقامه الله تعالى فيه ! فله الشكر منا ،
والأجر من الله !

هذا وليعلم من لم يكن يعلم : أنه ليس فخراً لجنودنا أن ننسب لهم القوة والعزيمة والإقدام ؛ وننفي عنهم فضيلة التقوى والتوكل !

بما تقدم : يتضح لنا جلياً : أن الله تعالى معنا ؛ يحدونا بلطفه وعطفه ، ويميننا
— مق استوجبنا العون — ويمدنا : إذا استحققنا المدد !

فهل نخون مع الله ؟ !

وإذا لم نكن معه : بالطاعة ، والالتقياد ، والإنابة ؛ في وقتنا الحاضر ؛ ألا يقتضينا
الواجب نحو أنفسنا ، ونحو أبنائنا ، ونحو وطننا : أن نجاهد أنفسنا ، ونحويها من جديد :
لنكون معه ؟ !

والله سبحانه وتعالى يثبت دائماً وجوده بجوده ، وقدرته بأخذه ، وسلطانه بعفوه ،
ولطفه بهدايته ، وبطشه بمغفرته !

« ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ۗ ١٤ ،

فمدأ لله سبحانه على ما وهبنا من نعمة رضاه ، ومنة معونته ؛ ونرجوه سبحانه أن
يفخر لنا ما فرطنا في حقه ، وأن يرزقنا التقوى ، والإيمان الصحيح ؛ حتى نلقاه سالمين
آمنين ، راضين مرضيين ، ووهبنا النصر على الأعداء ؛ بشفاعة خاتم الأنبياء ؛ صلى الله
تعالى عليه وسلم !

والحمد لله في البدء والختام ؛ وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم !

زَجْرُ الْمُؤَلَّفِ لِلْمَارِحِ

ياسيدي : إن كنت تمدحني إرضاء لي : فقد جانبك الصواب ، ووجب عليك المتاب !
وإن كنت تمدحني إرضاء لله : فحسبك الله ؛ الذي يرضيك ، حتى يكفيك !
أما أنت ديا إلباس^(١) ، يا أعز الأبناء وأوفاهم : فقد جاوزت في مدحى حدأ أضربني ،
وشغلتني بنفسى عما خلقت له !

عنى الله تعالى عنك يا بنى فيما رميتنى به من علم : أرجو أن أحوزه ! وفضل : أتمنى
أن ألحقه !

فقد قتلتنى بما امتدحتنى به : من مدح لا أستحقه ، وأثقلت كاهلى بمجمل : إن شكرتك
عليه : أسأت إلى نفسى ! وإن لم أشكرك : أسأت إلى خلقى !

شكر الله لك نيتك ، وأعطاك بغيتك ، وأراني فيك ما أنت له أهل !

أما ما خالفتنى فيه : فإنى أشكرك عليه ؛ لصراحتك ! ولكنى لم أرد عليه
— لا استخفافاً بك ، ولا غمطاً لحقك — بل أطلب منك أن تعيد النظر فيما قرأت .

وإنى أتمس لك العذر كل العذر ؛ لأن ما تقدمته : قد رسخ رسوخ الدين ، فى صدور
أكثر المؤمنين !

هذا ولا ينعنى ذلك عن جزيل شكرك على حسن نيتك ، وصدق طويتك !

(١) الدكتور إلباس محمد العتي : الذى كتب مقدمة لهذه المباحث . تعرفت عليه عام ١٩٥٠
— على ما أذكر — وكان نموذجاً للجد والتقوى . وقد سرنى انقياده لى ، واستجابته لسكل ما يراه حقاً ،
بيد أنه قد ساهنى منه مقالاته فى مدحى ، وإطراؤه لى إطراء لا إرضاء منه ، ولا أستسيغه لنفسى !

زجر المؤلف لللقاح

يا سيدي : إن كنت تدمني : ابتغاء مرضات الله : فلك الله ؛ لصدق نيتك ، وحسن طويتك !

وإن كنت تدمني : لهوى في نفسك ، وسمعة ترتجيبها ، وشهرة تبتغيها : فتبأ لك ، وسحقاً لفعلك !

وسنأتى يوم الدين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون : فيأخذ الحكم العدل من حسناتك فيضنها إلى حسناتي ! أو يأخذ من سيئاتي فيضنها على سيئاتك !

وإني — علم الله — لم أبتغ فيما كتبت : سوى وجه الله تعالى ، وإقرار ما ارتضاه ؛ لمن خلقهم لعبادته ، واصطفاهم لخلافته !

وإن أردت البرهان : فلك البيان !

١ — عصمة الرسول : من ذا الذى يستطيع أن ينسب إلى الرسول الكريم ؛ سوى المعصمة المطلقة ؛ بأجلى معانيها : قبل البعثة وبعدها !

وهي خصوصية له وحده : اختصه المولى سبحانه وتعالى بها ؛ فمن ذا يخالفني في هذا ؟

٢ — تعدد الزوجات : لم أقل فيه ؛ سوى ما قرره القرآن الكريم ، وأقره الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسار عليه صحابته الاجلاء من بعده ، وتابعهم عليه التابعون الأوفياء ، وتابعوا التابعين ، إلى يوم الدين !

وهل يستطيع عاقل أن يقول : إن تعدد الخليلات : خير من تعدد الزوجات ؟
فمن ذا يخالفني فيما قلت ؟

٣ — زوجات الرسول : أمهات المؤمنين ، وسيدات نساء العالمين ! لم أقل فيهن : سوى ما قاله التاريخ الصادق الأمين !

فكلن : ثيبات ، مكتهلات ؛ سوى عائشة .

ولم يكن ثمت هوى دافع ، أو رغبة جامحة ؛ لشهوة طامحة ! فمن ذا الذى يكفر بقول غير الذى قلت ؟

٤ — أم المؤمنين خديجة : وما أدراك ما خديجة لم أوفها حقها ؛ الذي أوفاه المولى سبحانه وتعالى لها ! فهي سيدة نساء العالمين ؛ ولا فخر ! فمن يعارضني فيما قلت ؟

٥ — الطلاق : يقول المولى جل وعلا ، الطلاق مرتان فإمساك بمهره أو تسريح بإحسان ، وأعطى سبحانه حق الطلاق لمالكه (وهو الزوج) فقال عز من قائل ، أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، فأى قوة تنقل هذه العقدة من مالكها إلى القاضى ؟

٦ — تحديد النسل : من ذا يقول : إن القلة : خير من الكثرة ! وإن الذلة خير من العزة ! وينكر ما جاء في القرآن : ، واذكروا إن كنتم قليلاً فكثروا ، . فاعتبروا يا أولى الأبصار ، .

٧ — التبرج والفسور : أروني رجلاً واحداً — يتصف بالرجولة — يرضى بأن تكون زوجته ، أو بناته : نهياً للأبصار ، وموطناً لمتعة الغير !

ويخالف بذلك قانون الله ؛ وبالتالي قوانين الشرف والفضيلة !

٨ — التعطيل : تعساً لمن ينكر وجود الإله ! وسحقاً لمن يعيش في هذه الحياة : أعمى ؛ بغير هادٍ يهديه ، وراعٍ يكلؤه ويرعاه !
ونفسه هو تشهد بأن لها موجد !

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد !

٩ — أين الله ؟ سؤال ساذج ؛ فالله موجود في كل الوجود ! وآية وجوده : جوده !
ودليل كرمه : عقوبته ! ودليل بطشه : عفوه !

وهو جل شأنه : لا يشابه مخلوقاته ؛ لذا فإنه تعالى لا يتعرف عليه باللمس ؛ بل بنور القلب ، وصفاء العقيدة !

أنار المولى قلوبكم ؛ لتعرفوا أين هو .

١٠ — الله معنا ؛ فهل نحن مع الله ؟ الله معنا ؛ بلطفه ، ونصره وتوفيقه ! أما نحن : فلستنا معه : لانصرافنا عن تدبر آياته ، وبعدنا عن مرضاته !

ينصرتنا : فننكر وجوده ! ويزقنا : فننكر غناه ! ويقرب منا بعونه : فنزداد بعداً عنه بكفرنا وطغياننا !

١١ - الإسراء والمعراج : الإسراء : حق لا مرية فيه ، والمعراج صدق ؛ ولكن
لنظن في حواشيه !

فإنه تعالى هو الله : خالق الكل ! ومالك الكل ! ورازق الكل !

لا قدر - مهما علا - يقارب علوه ! ولا مخلوق - مهما سما - يدنو من سموه !

والنبي - عليه الصلاة والسلام - هو النبي : خير المخلوقات ! وسيد الكائنات !

فلم أغال مع المغالين ، ولم أنزل بقدره مع النازلين !

والأنبياء - عليهم السلام - هم الأنبياء : اصطفاهم مولاهم ؛ من صفوة خليقته ؛

ووقاهم من كل منقصة ؛ خاصة منقصة الحقد والحسد !

فعاشوا - كما أراد بهم ربهم - كراماً خيرة ! وماتوا كراماً بررة !

وإن شئت : صدقتي ولك الأجر ، أو خالفتي وعليك الوزر !

١٢ - أخطاء المفسرين والمحدثين :

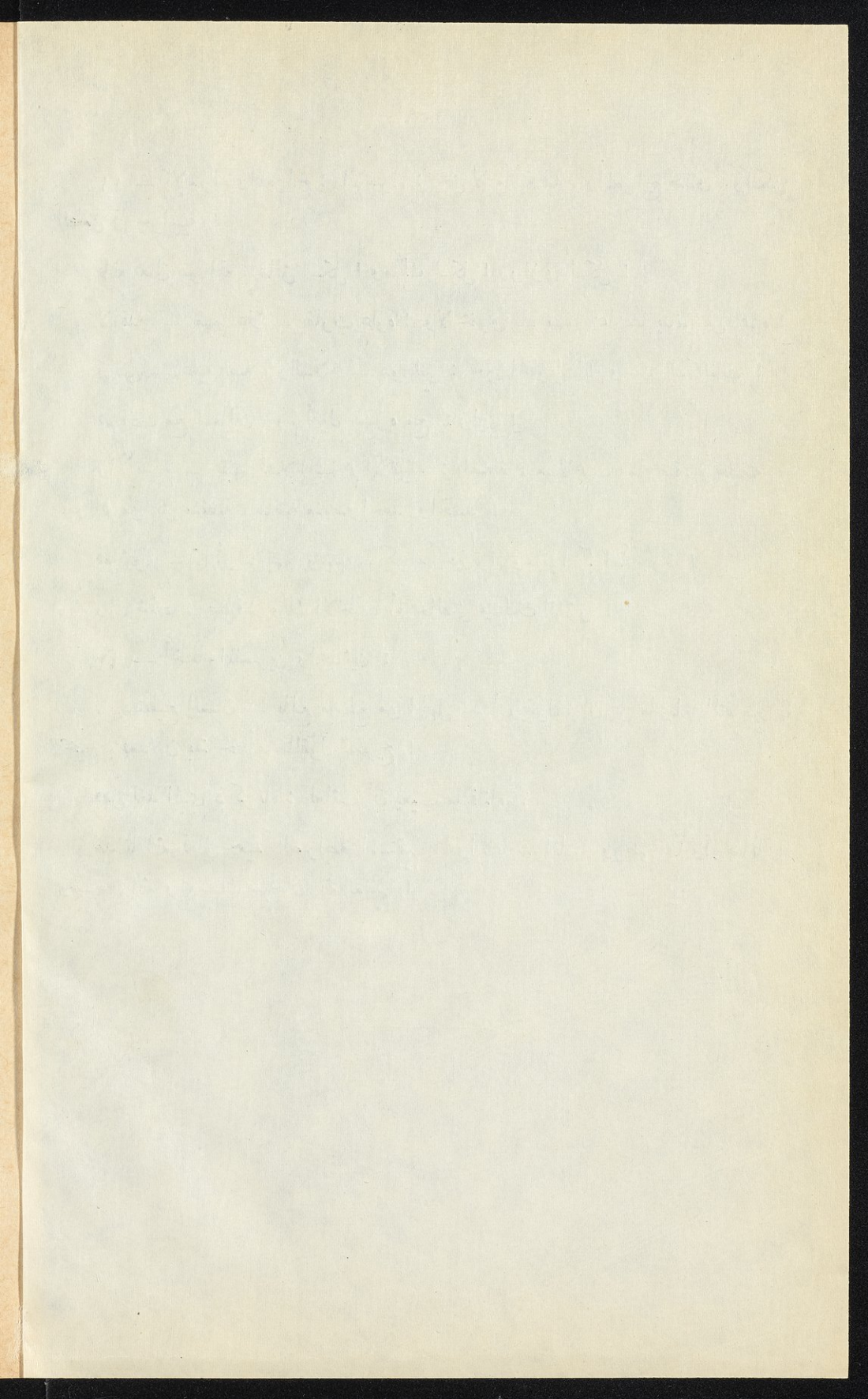
لا يستطيع إنسان - بالغ ما بلغ من الجهل - أن يقول : إن كل ما جاء بالتفسير :

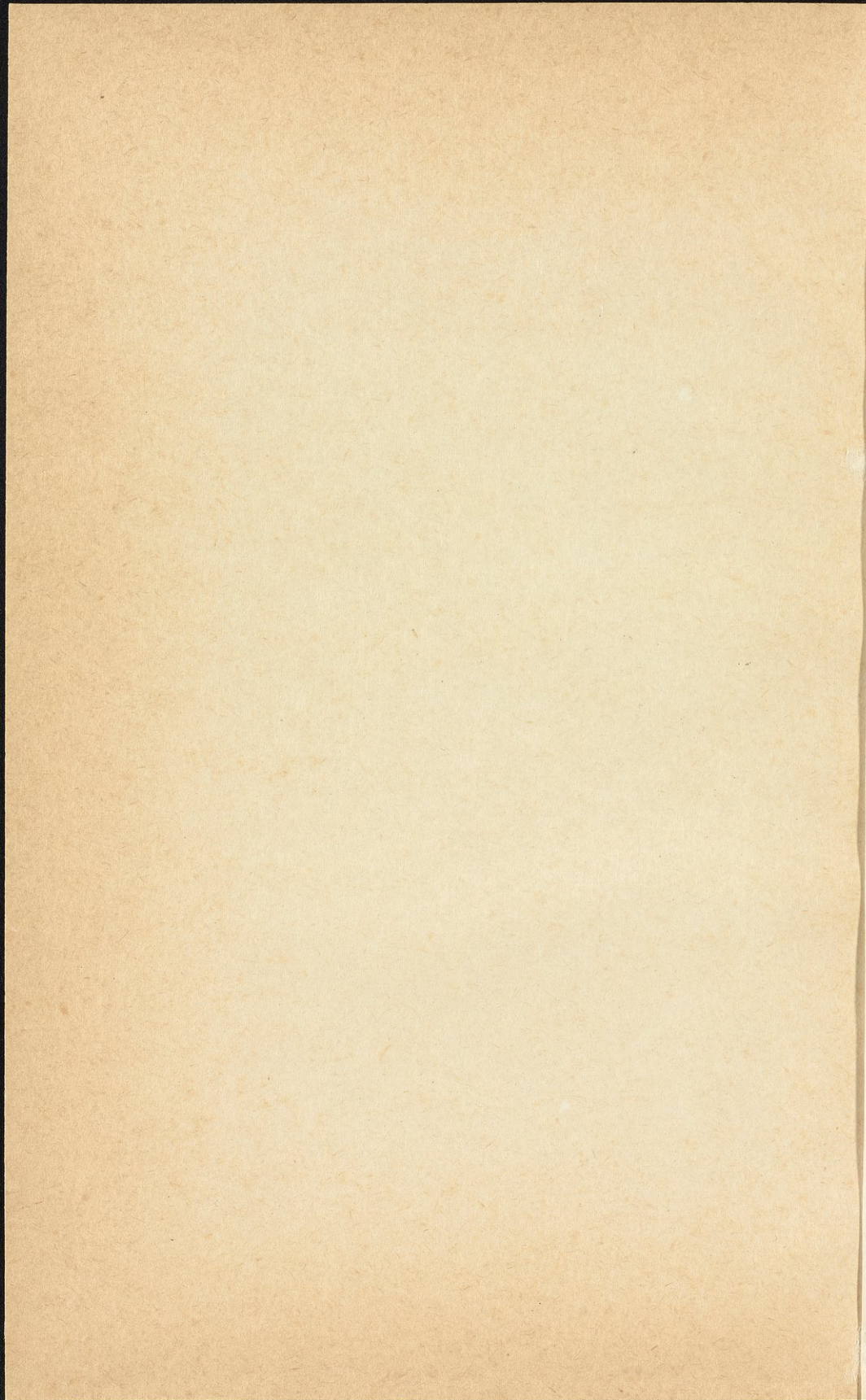
صحيح ؛ بعد أن بينا خطأها بالقول الصريح !

فهل بعد الذي ذكرناه : لعائب أن يعيب ما قلناه ؟

هدانا الله تعالى جميعاً لصراطه المستقيم ، وآتانا تقوانا ، ورضى عنا وأرضانا !

وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم !



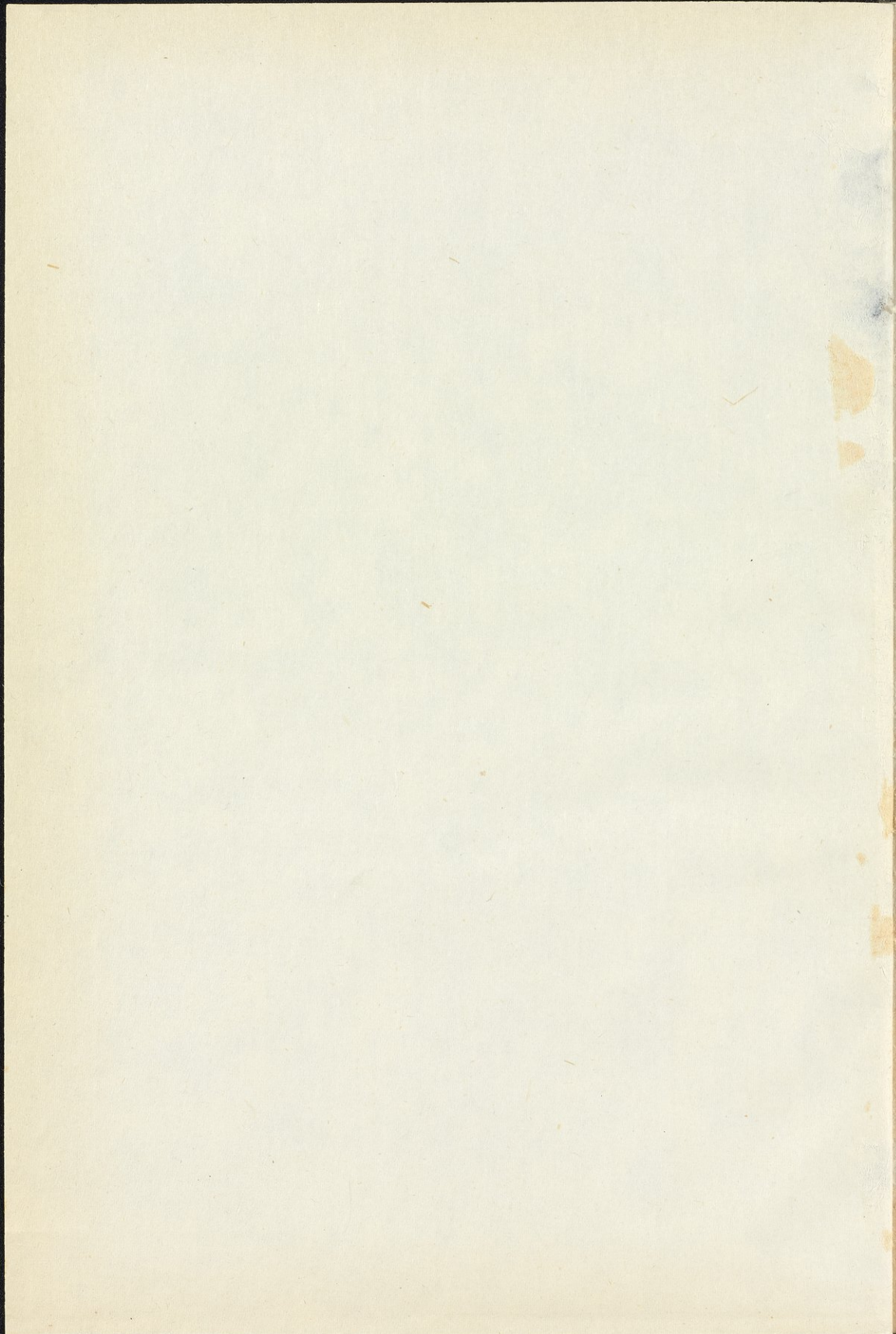


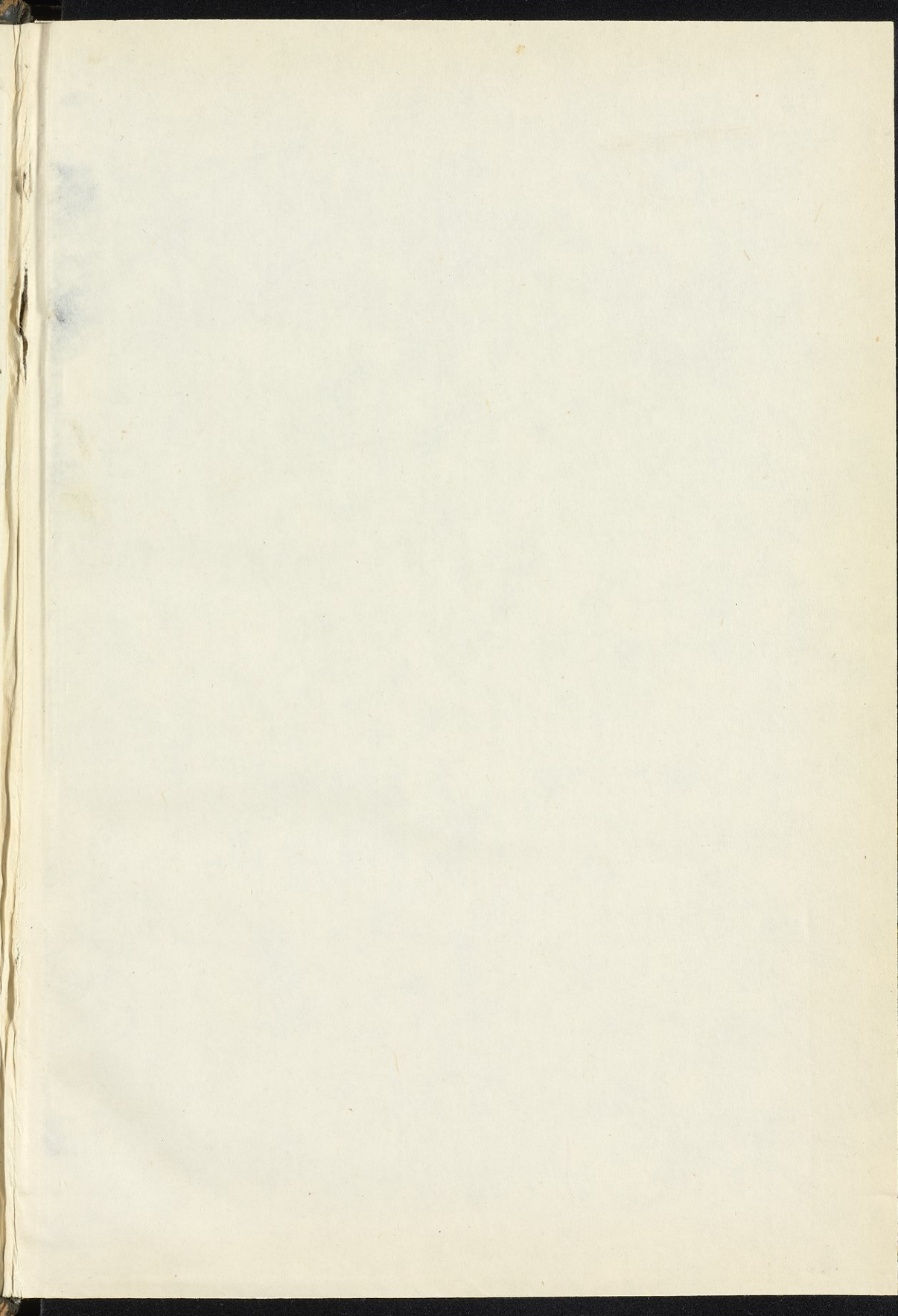
١٩٤١٥٦

١٥



أسست عام ١٩٢٤
 سوت الأوقاف بأمر من شريف . مش عبد العزيز
 تليين ٩٠٠٥٢٨ - مجلد ١٠١٤٤٦





BP
88
.I23
H36

NOV 26 1975

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU55312659

BP88.I23 H36

Haqiq thabitah fi a